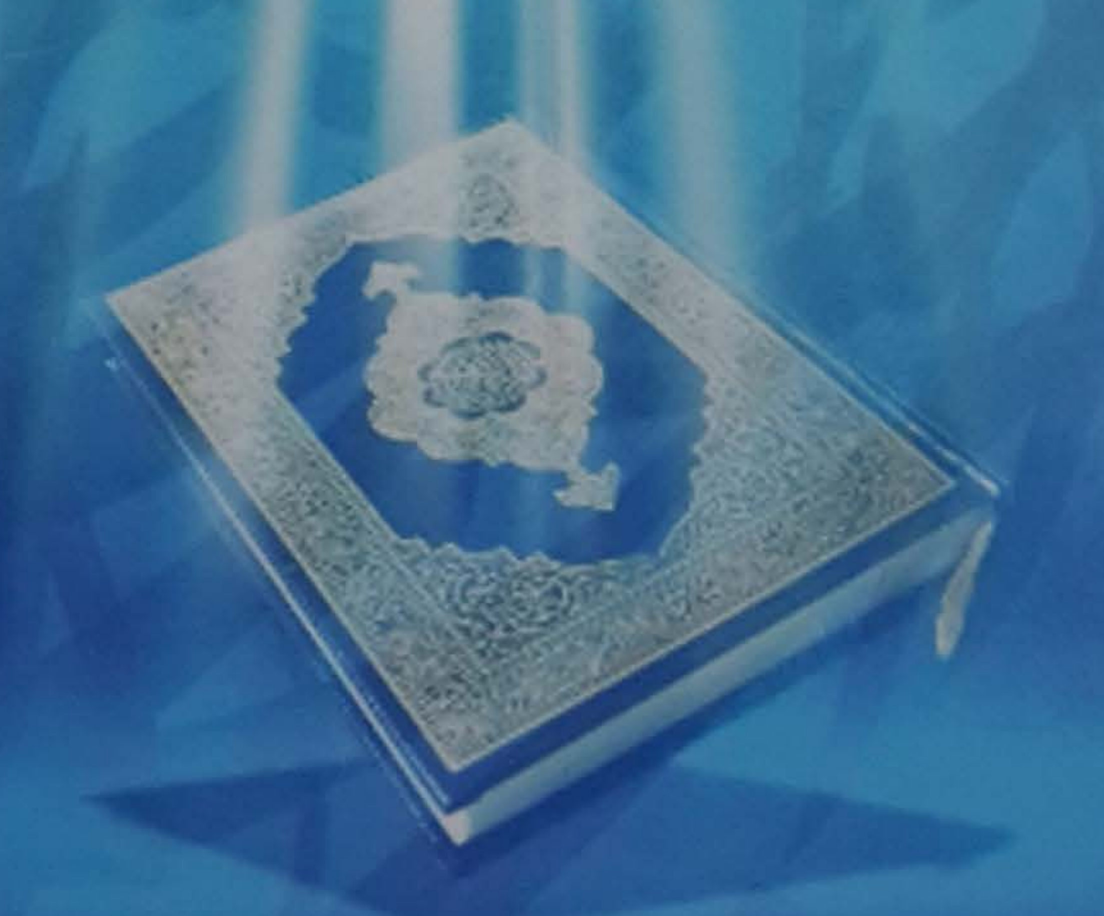
المَعايير النصِّية في السور القرآنية

دراسة تطبيقية مقارنة



د. يسري نوفل

كلية الآداب - جامعة طنطا - مصر





دار النابغة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م

رقم الإيداع : ١٩١٩٩ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي : 978-977-6475-31-1

حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأى شكل من الأشكال أو حفظه أونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى إلا بعد الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار النابغة للنشر والتوزيع

٥٦ ش ثروت أمام كلية التجارة جامعة القاهرة

ميامي بجوار معهد سيدى بشر - الإسكندرية

ت : ٠٠٢٠١٠٦١٤٤٦٣١٩ - ٠٠٢٠١٠٦٩٤٦٣٢٩١٦

darelnapegha@yahoo.com

المعايير النصية

بين السور المكية والمدنية

دراسة تطبيقية

(الأعراف والنساء نموذجا)

د. يسري السيد إبراهيم نوفل

كلية الآداب – قسم اللغة العربية

جامعة طنطا

Scanned by CamScanner

أصل الكتاب رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه من
كلية الآداب- جامعة طنطا - مصر.

الكتاب يعبر عن رأي مؤلفه ولا يعبر بالضرورة عن رأي دار النابغة

Scanned by CamScanner

إهداء

إلى رُوح أختي الحبيبة الشهيدة: (منى)

(فقد كانت...)

بَسمةٌ مُشرِقَة كَضِياءِ الشَّمس ** تَجلُو عنِ القَلبِ مَا قَد رَانَ مِن نكَدِ

ورُوح زوجها الحبيب الشهيد: (عثمان)

(فقد كان...)

طَلِيقَ الوَجهِ لَيسَ به التواء ** وَذَا الطَّبعِ الكرِيمِ تَرَاهُ سَهلا

سائلاً ربي – عزوجل– أن يتغمدهما بعظيم عفوه، وواسع رحمته، وأن يدخلهما فسيح جنته ، وأن يجزيهما خير الجزاء .

وصلي الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم .

Scanned by CamScanner

شكر وعرفان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللَّهَ»[1]. وانطلاقاً من قول النبي - ﷺ - أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء والعرفان الجميل إلى فضيلة العالمين المتواضعين الجليلين أستاذيَّ:

- **فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور: محمود سليمان ياقوت**
- **فضيلة العالم المتواضع الأستاذ الدكتور: صبحي إبراهيم الفقي**

فلم يألُوَا - سيادتهما - جهداً في إسداء النصح والتوجيه والإرشاد، والإمداد بالمصادر والمراجع؛ حتى خرج البحث على هذه الشاكلة؛ فجزاهما الله عنِّي وعن بحثي وعن جميع طلاب العلم خير الجزاء، ورقَّاهما في قمم الأمجاد، ورزقهما الله الصحة والعافية .كما أتقدم بالشكر لكل من له عليَّ حقٌّ :

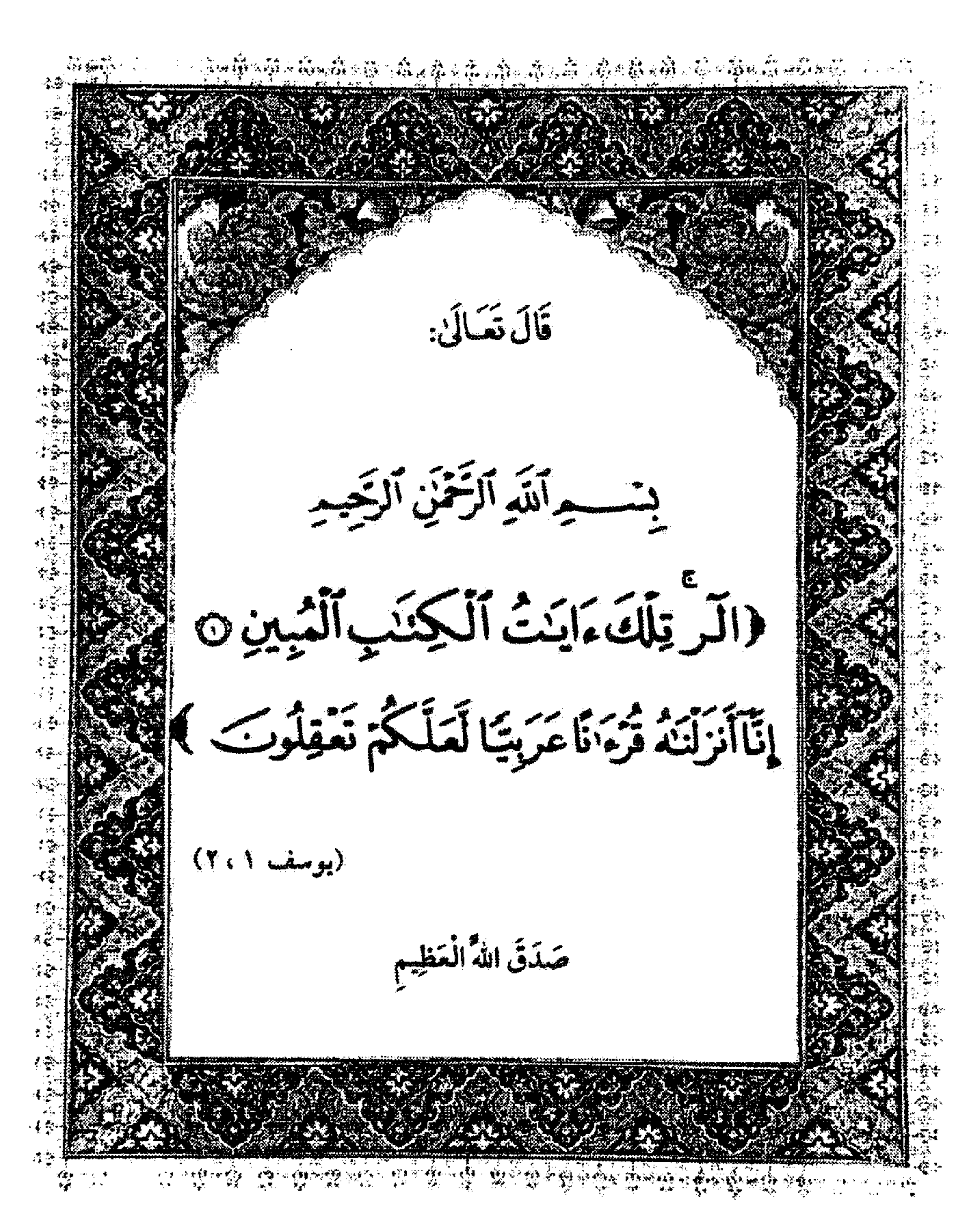
- إلى الوالدين محبةً وتبجيلاً...،
- إلى زوجتي وأبنائي الأحباء...،
- إلى إخواني وأخواتي الأعزاء...،
- إلى كل أصدقائي وجيراني المخلصين ....،
- إلى كل شهداء مصرنا الحبيبة...،

جزاكم الله عني خير الجزاء ....،

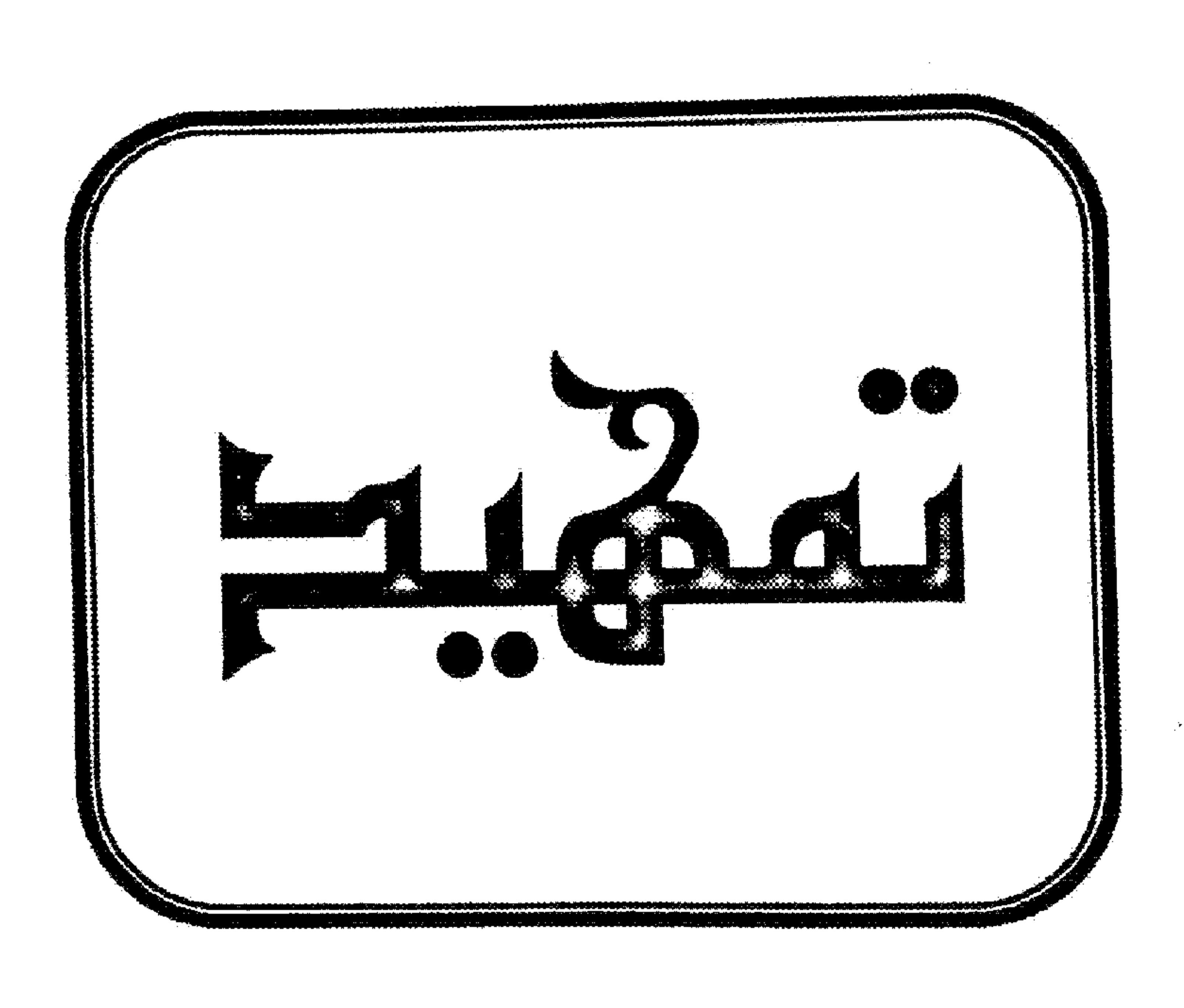
---

(١) الترمذي: (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث (١٩٥٤)، ٤/ ٣٣٩.

Scanned by CamScanner



Scanned by CamScanner



Scanned by CamScanner

بادئ ذي بدء نشير إلى أن مصطلحات علم اللغة – في الغالب يقترب معناها اللغوي من معناها الاصطلاحي ؛ إذ يدور الأول حول مجالات دلالية معينة يمكن من خلالها التقريب بينها وبين المعنى الاصطلاحي ومصطلح النص من بين مصطلحات علم اللغة ينطبق عليه نفس القاعدة السابقة.

النص لغة:

يقول ابن منظور: «النَّصُّ رفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ...، ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها رفَعَتْه ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور والمَنَصَّةُ ما تُظْهَرُ عليه العروسُ لتُرَى...، ونصَّ المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض...، وأصل النَّصّ أقصى الشيء وغايتُه»(1). وفي المعجم الوسيط: «والنصُّ: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف والنص ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً، أو لا يحتمل التأويل»(2).

من خلال القراءة المعجمية السابقة يتبين لنا مجموعة من المعاني المحورية لمادة: «نصص» وهي: الرفع، والإظهار، وضم الشيء إلى الشيء، وأقصى الشيء منتهاه. كما يرى الباحث في تعريف النص: بأنه لا يحتمل التأويل يجافي التحليل النصي – كما سيتبين لنا إن شاء الله – الذي يراعي أن النص له مبدعان هما: الأول (مرسل/ منشئ النص)، والثاني (مستقبل/ متلقي النص). ومن ثمَّ نجد الدكتور صبحي الفقي يربط بين تلك المعاني وبين مستويات علم اللغة بطريقة لغوية فنية منطقية ؛ فيقول: «وكون النص أقصى الشيء ومنتهاه، فهو تمثيل لكونه أكبر وحدة

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٧/ ٩٧ (مادة: نصص).

(2) مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م، ٢/ ٧٧٢ (باب: النون).

Scanned by CamScanner

لغوية يمكن الوصول إليها ؛ إذ نُعِدُّ النص ممثلاً للمستوى السادس من مستويات علم اللغة المتعارف عليها[1].

النص اصطلاحاً:

وتحديد دلالة مصطلح «النص» يختلف علماء «نحو النص» حوله؛ وذلك لما يحيط به من الغموض الذى يحول دون الرؤية الواضحة لمدلوله، الأمر الذى يمثل حجر عثرة فى سبيل التفهم الحقيقى لطبيعة القضايا، والمواقف التى تتردد فيها أمثال تلك المصطلحات الغامضة. ومن ثم كانت الحاجة ماسّة إلى ضبط هذا المصطلح النقدى والنحوى وتحديد مدلوله تحديداً دقيقاً يقوم على استقراء النصوص، والتفهم الواعى لأنماط السياق وطبيعة المواقف التى تتردد عليه، فهذا التحديد يمثل خطوةً مهمةً فى هذه الدراسة النصية التطبيقية وبدون تلك الخطوة الجوهرية يعتبر الدخول فى ميدان هذه الدراسة أو تفسير ما فيها من قضايا ضرباً من التعسف، وعملاً قائماً على غير أساس. وبناءً على هذا، وقبل البدء فى هذه الدراسة النصية التطبيقية، أرى واجباً علىّ أن أحدد أولاً: ما هو النص؟ وما المقصود به؟ وماأشكاله؟ وما طوله؟ وما حدوده وأبعاده؟ غير أن تعريف النص، أو محاولة وضع حدٍ له يبدو أنها مسألة ليست يسيرة، أو هينة، هذا إن لم تكن صعبة لدرجة تصل فيها بعض هذه المحاولات إلى حد التناقض.

(١) المستويات المتعارف عليها هي: الصوتي- الصرفي - المعجمي- النحوي- الدلالي، والمستوى السادس الذي يقترحه أستاذي الدكتور صبحي الفقي يتمثل في المستوى النصي. د. صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ١/ ٢٨.

Scanned by CamScanner

يقول الدكتور سعيد بحيرى معبراً و مصوراً لهذه المسألة: «لا توجد مصاعب تواجه علماً من العلوم مثلما هى الحال بالنسبة لعلم لغة النص، حيث إنه حتى الآن وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية- ما يربو على أربعة عقود في وقتنا الحالي- لم يتحدد بدرجة كافية| بل إنه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية فى التباين ؛ ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاقٍ بين الباحثين إلاَّ بقدر ضئيل للغاية... وأبسط مثال يضرب فى هذا المقام عدم وجود قدر مشترك من ملامح التوافق حول مصطلح «النص» ذاته بل إننا قد نجد لدى باحثٍ واحدٍ بعينه فى عملٍ واحدٍ بعينه| فى أكثر من موضع عدداً من التعريفات، ويختلف محتوى كل تعريف عن الآخر»[1].

وقبل الدخول فى محاولة للبحث عن تعريف النص، نود أن نؤكد: أن النحاة العرب لم يستعملوا هذا المصطلح (النص) للدلالة على ما يدل عليه اليوم، يدلك على ذلك أنه فيما اعترضنا من استعمالاته كان دالاً على الحدث، ولم يتمحض للاسمية، وبالتالى يمكن أن نقول: إن استعمال النحاة للكلمة (النص) لا يكاد يمت بصلة إلى ما نعنيه اليوم بكلمة «نص»فنصُّهم مختلف عن نصنا؛ بدليل أنهم لم يعرف عندهم الثنائية المعنوية القائمة على التقابل بين معنى الحدث ومعنى الاسم التى عرفها الكلام والخطاب... فـ: «النص عند النحاة القدامى لفظ دال على معنى الحدث لا يفارقه، ومن أدلة ذلك عدم عثورنا على استعمالات عمدوا فيها إلى جمع النص على نصوص؛ باعتبار أن الجمع أفضل دليل على مفارقة المفردة لقسم المصادر، وانتقالها لقسم الأسماء، أما النص عندنا اليوم: لفظ تمحض للاسمية، ويدل على معنى الاسم لا يكاد يفارقه، وبالتالى فإننا نعتقد أن استعمالات النحاة لعبارة النص كتلك التى وردت فيها

(١) سعيد بحيري، علم لغة النص| المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، (لونجمان) القاهرة،: ص ١١٥.

رأيناه من أقوالهم لا يمكن أن تركب مطية للاستدلال على استعمال هذه المفردة بالمعنى الذى أصبحنا نستعملها به اليوم»[1]. هذا، ولم يكن النحو الغربى القديم – كما أوضح أحد الباحثين المعاصرين– بأسعد حظاً من النحو العربى فى هذه المسألة، بل كان النحو العربى أسعد حظاً منه؛ حيث عرف هذه الكلمة (النص) مفهوماً، وإن لم يعرفها مصطلحاً، وأقصد بذلك معرفة النحو العربى لمصطلحات، الكلام، والخطاب، والقول.

يقول الدكتور محمد الشاوش: «إن تصفح عينات من مؤلفات النحو الغربى القديم يبين أن الكلمة (نص) لم تستعمل فيها لا من حيث هى مصطلح، ولا من حيث هى مفهوم تم التعبير عنه بطرق أخرى، كما يلاحظ ضحالة المباحث المتناولة للظواهر اللغوية المتجاوزة للجملة، والتى اعتبرت مجسمة لمظاهر الترابط، والاتساق النصى كمبحث العلاقات بين الجمل أ أما المباحث التى من قبيل أدوات الربط أو مباحث التعريف، والحذف، والإضمار فتناوُلها كاد يقتصر على نطاق لا يتعدى حدود الجملة الواحدة، فإذا انطلقت على سبيل المثال من كتاب Grevissel bonusage وهو مؤلف يعتبر المرجع الأساسى فى النحو الفرنسى الكلاسيكى، ونظرت في فهارسه، ومسارد المصطلحات فيه؛ لاحظت أنها رغم اتساعها وثرائها وتفصيلها لم ترد فيها كلمة النص، فأنت فى مسرد المصطلحات والمفردات التى تم التعرض إليها تجد (ص١٥٠): Tete,Terre,Tenailles ثم ينتقل بك المسرد إلى Thermos فلا تذكر كلمة Text حتى بمجرد الذكر، وهو دليل على أن هذه الكلمة كانت تعد حتى زمان تأليف Grevisse لهذا الكتاب (سنة ١٩٣٦م) غريبة تمام الغرابة عن المباحث اللغوية[2].

---

(١) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، ط١، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١م، ١/ ١٨٣– ١٨٧ بتصرف.

(٢) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ١/ ٢٥بتصرف.

Scanned by CamScanner

وخلاصة القول فى هذه المسألة: إن مصطلح (النص) بالمفهوم الذى له فى الدراسات الحديثة أمر غريب عن النحو العربى وعن نحاته، فقد أطلقوا لفظة (النص) على نوع خاص من الكلام اعتبروا فيه جهة خاصة فى حصول المعنى، فاللفظ المحكم فى نظرهم هو النص أما اللفظ المتشابه فليس نصا، لكننا إذا قارنا بين ما حدثنا به من غياب النص مصطلحاً ومفهوماً من أمهات النظريات اللسانية الحديثة بحديثنا عن غيابه فى النحو العربى لاحظنا فرقاً بعيداً، فهو فى الأولى غياب من حيث المصطلح والمفهوم، وهو فى الثانى مجرد غياب هذه التسمية الخاصة فيما استعملوا من المصطلحات؛ وذلك لرسوخ مفاهيم أخرى فى صورة مصطلحات قائمة بنوا عليها نظريتهم كمفهوم الكلام والخطاب والقول.

تعريفات النص:

أما تعريفات النص فمنها:

قول جوليا كريستيفا إن النص: «ترحال للنصوص، وتداخل نصى، ففى فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»[1].

ولافت للنظر هنا أن كريستيفا تركز على معيار مهم من معايير النصية: وهو معيار التناص، وهو ما عبرت هى عنه بقولها: إنه (ترحال للنصوص)، و(تداخل نصي)، ونصوص عديدة تتقاطع ملفوظاتها مع بعضها البعض. هذا عن النص عند جوليا كريستيفا أما عند غيرها، فمنهم من يعد النص «تتابعاً منظماً أفقياً من الإشارات اللغوية التى تُفهم على أنها توجيهات من مرسِل معين إلى مخاطَب معين...، ويقع استيعاب النص من خلال المتلقى على أساس بيانات النص والموقف والذاكرة...،

---

(١) جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهى، دار توبقال للنشر، ط٢، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢١.

Scanned by CamScanner

والنص عنده كذلك يمكن أن يكوَّن من كلمة واحدة، ويمكن أن يكون نصاً كلياً لرواية متعددة الأجزاء»[1]. واضح أن تعريف النص هنا يحاول إبراز أمور منها:

- أن النص تتابع أفقي منظم من الإشارات اللغوية، وهذا لا يكون إلا بتوفر التماسك النصي بشقيه السبك والحبك سواء قصد إلى ذلك صاحب التعريف السابق أو لم يقصد.
- إبراز أهمية الأمور التداولية (المرسِل، المتلقي، الموقف بكل ما يحيط به).
- أن النص يمكن أن يكوَّن من كلمة واحدة، ويمكن كذلك أن يكوَّن من رواية متعددة الأجزاء.

ويذكر عدنان ذريل أنَّ: «(قاموس الألسنية) الذي أصدرته مؤسسة لاروس يُعرِّف النص على النحو التالي: إن المجموعة الواحدة من الملفوظات، أي الجمل حين تكون خاضعة للتحليل، تسمى: نصاً؛ فالنص عينة من السلوك الألسني؛ وإن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة، أو محكية...، انتهى كلام القاموس...، وإن اعتبار (النص) عينة، يعني أن يعكس بحد ذاته (ملاك) اللغة، أي: كل ما يتعلق بها بصفتها نظام علامات لغوية تستخدم كوسيلة اتصال بين المتكلمين بها، فأياً كانت اللغة التي تنتمي إليها المادة اللغوية التي ندرسها، فالعينة منها عندما تكون محل الدراسة تسمى نصاً... وإن العالم الألسني (هيالمسليف) يستعمل مصطلح (نص) بمعنى واسع جداً فيطلقه على أي ملفوظ قديماً كان أو حديثاً، مكتوباً أو محكياً، طويلاً أو قصيراً...، فإن عبارة: **stop** أي قف. هي في نظر هيالمسليف (نص)، كما أن جماع المادة اللغوية

---

(١) زتسيسلاف و أورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص ترجمة د. سعيد بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١ القاهرة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

لـ (رواية) بكاملها هي أيضاً نص[1]. أما تودوروف فإنه يبدأ مقالته عن النص فى مؤلفه «القاموس الموسوعى لعلوم اللغة» بقوله:«تحد الألسنية بحثها بدراسة«الجملة»ولكن مفهوم «النص»لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه«الجملة»، أو القضية أو التركيب وكذلك هو متميز عن الفقرة التى هى وحدة منظمة من عدة جمل...»[2]. أما هاليداى ورقية حسن (١٩٧٦م) فيصفان مجموعة من الجمل بأنها«نص متى توفر فيها شرط الترابط النصي -أو قل إنهما يريان- «أن أهم ما يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصاً يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل وفيما بينها مما يخلق بنية النص.

ويوضحان ذلك بالمثال التالى:(اغسلى ونقى ست تفاحات للطبخ ضعيها فى إناء ليحتمل حرارة النار) حيث يقولان عن هذا النص: من الواضح أن الضمير (ها) فى الجملة الثانية يحيل إلى الوراء على التفاحات الست فى الجملة الاولى، هذه الوظيفة الإحالية إلى ما سبق للضمير (ها) تضفى ترابطاً على الجملتين بحيث تفهمهما على أنهما كلٌ لا يتجزأ، أو يكونان معاً نصاً[3].

للنص إذن عند هاليداي ورقية حسن مقومات نصية تميزه عما لا يعد نصاً، هذه المقومات النصية تتمثل فى علاقات الترابط النصي التى تظهر بين الجمل أبل إنها

---

(١) عدنان ذريل، نقلا عن النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق من منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٠م، ص ١٥: ١٦.

(٢) ديكر ووتودوروف، القاموس الموسوعي لعلوم اللغة، باريز، سوى ، ١٩٧٢م ، نقلاً عن النص والسلوبية، ص٣٧٥: ٣٧٦

(٣) ج. ب براون ج يول، تحليل الخطاب، ترجمة د محمد لطفى الزليطنى د. منير التريكى. النشر العلمى، جامعة الملك سعود ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م، ص ٢٢٨.

المصدر الوحيد لخاصية النص عندهما[1]. هذا ولسائل أن يسأل: إذا كانت علاقات الترابط النصي هي أهم مقومات النصية عند هاليداي ورقية حسن. فأين يبدأ النص عندهما؟ وأين ينتهي؟ وهل للنص طول محدد؟ والغريب أنهما رغم تنبيههما على أن علاقات الترابط النصي هي أهم مقومات النصية فإنهما يقولان بإمكانية تحقق النص في جملة واحدة أو أقل؛ فالنص عندهما يمكن أن يكون له أي طول؛ لأنه ليس سلسلة قياسية من الوحدة النحوية، وليس محتوياً على جمل، إنه لا يرتبط بالجملة إلا بوصفه محدد القانون. وبعض النصوص تتشابه في الحقيقة من حيث إنها يمكن أن تكون أقل من جملة واحدة في التركيب النحوي مثل: التحذيرات، العناوين، الإعلانات، الإهداءات... من أجل ذلك كله تميل النفس وتطمئن إلى أنه ليس للنص طول محدد وليس ينبغي أن يكون له طول محدد، فقد يطول ويقصر وهو يمكن أن يتكون من كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة من الجمل، أو رواية كاملة،أو قصيدة كاملة مكونة من مئات الأبيات ؛ هذا بشرط أن يتوفر في النص معايير النصية، وسوف تتضح -إن شاء الله- هذه المعايير النصية في تعريف النص الذي ستعتمده هذه الدراسة فيما يلي من سطور. أما رولان بارت Rolan Barthe فيعرف النص،أو بعبارة أكثر دقة. يصف ما يمكن أن يكون نصاً بأنه «تميمة، وأنه لا ينشأ عن رصف كلمات تولد معنى وحيداً...، وإنما هو فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة، وتتعارض من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة،فالنص نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة»[2].

(١) براون ويول، تحليل الخطاب ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٢م، ص٢٣٤.

(٢) رولان بارت، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا- الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، ط٢، ٢٠٠١م، ص٣٣.

Scanned by CamScanner

ويقول في موضع آخر: «إننا نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى أن النص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم؛ تنفك الذات عبر هذا النسيج كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها»[1]. ورولان بارت في كلامه السابق يشير إلى عدة أمور:

أولها: فكرة موت المؤلف، ويفهم ذلك من قوله: «إن النص يصنع ذاته»، ومن قوله «تنفك الذات عبر هذا النسيج كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها».

ثانيها: أنه ينطلق في تعريفه للنص من الدلالة الاشتقاقية لمصطلح Text أي النص والتي تعني في اللاتينية (النسيج) Textus[2].

ثالثها: أن النص عنده هو «مجموعة شفرات» أو قل هو نتاج مجموعة متعددة من الخطابات الثقافية التي يتوقف فهم النص بوصفه كلاً على فهمها. وإذا كنت أشرت إلى أن النص يوصف بأنه نسيج عند رولان بارت«Rolan Barthes»، وعند غيره من النقاد الأوربيين، فالأحرى أن أشير إلى أن الدلالة المعجمية لكلمة النص عند العرب تلتقي في بعض دلالتها مع كلمة النسيج[3]؛ فالنص نسيج من الكلمات والجمل والتراكيب يترابط بعضها مع بعض من خلال الروابط اللفظية: كأدوات العطف، والإحالة، وغيرها -كما سنرى في فصل السبك-، وترابطاً دلالياً كتفصيل مجمل، وتفسير جملة لأخرى وغير ذلك - كما سنرى في فصل الحبك - إن

---

(١) رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٣، ١٩٩٣م، ص٨٥.

(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص١٧، وانظر: عمر أوغان، مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، ط٢، ١٩٩٤م، ص٤٥. و رولان بارت، نظرية النص، ترجمة د. محمد خيري البقاعي ص٣٠، وقد جاء ذلك ضمن كتاب يتضمن مجموعة من المقالات جمعت تحت عنوان آفاق التناصية المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

(٣) لسان العرب، ٢/ ٣٧٦ مادة (ن.س.ج).

Scanned by CamScanner

شاء الله -، وهذه الآليات التي تبنى السبك والحبك في النص تشكل خيوطاً تجمع بين عناصر النص المختلفة، والمتباعدة في كل واحدٍ هو ما نطلق عليه مصطلح «نص»[1].

هذا، ويرى آخر أنه متى وجدت فكرة أساسية أو رئيسية، واشتملت هذه الفكرة على عدد من القضايا المترابطة منطقياً ودلالياً عُد ذلك نصاً، فالنص عنده: «كم منظم من القضايا التي تترابط من خلال علاقات منطقية - دلالية استناداً إلى الأساس الموضوعي للنص»[2]. ويعول آخرون في فهمهم للنص على القارئ أو المستمع، فيرون أنه ليس ثمة «فائدة في تحديد عدد من الخصائص النحوية الأساسية التي لابد أن تتوفر في النص حتى يكون النص نصاً، فالنصوص هي ما يعده المستمعون والقراء نصوصاً»[3]. هذا وقد تحدث ز. س. هاريس Z S. Harris عن النص في كتابه (تحليل الخطاب1952«Discourse analysis»)، بوصفه تتابعاً من جمل كثيرة ذات نهاية[4]. ولعله بهذا يقصد إلى التأكيد على ضرورة التماسك النحوي للنص، وهناك من أكد على ضرورة التماسك النحوي والدلالي للنص أفوصفه بأنه «تتابع متماسك من الجمل»[5].

ويوضح الدكتور سعيد بحيري الاعتبارات والأسس التي راعاها آخرون مثل: شميت s.schmidt في تعريفه للنص، فيذكر: «أنها اعتبارات مختلفة بعضها تداولي مثل: الحدث الاتصالي، ومنتج النص، ومتلقي النص، وعمليتي الإنتاج والتلقي، ومواقف وسياقات ومقامات الاتصال، ومقاصد الاتصال وغير ذلك،

---

(١) الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م، ص١٢، بتصرف.

(٢) فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، مدخل إلى لغة النص، ترجمة:سعيد بحيري، زهراء الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م ص٤٣.

(٣) ج.ب براون،ج. يول، تحليل الخطاب، ص٣٢٨.

(٤) زتسيسلاف واورزنياك،مدخل الى علم النص، ص ٥٤.

(٥) المصدر السابق، ص٥٤.

وبعضها دلالي مثل: مضمون النص، والدلالة الإحالية والبنية العميقة للنص، وغير ذلك»[١]. وقد عُدَّ أيضاً «من قبيل النصوص ظواهر لغوية قد لا يتسع لها مفهوم النص إلا على حساب تلاشي معالمه، ومقوماته كاعتبارهم مؤلفات الكاتب كاملة، أو ما أودع في مكتبة من المكتبات برمته نصاً بل إنهم اعتبروا من النصوص حتى الظواهر غير اللغوية مثل: لافتات المرور وأنماط التهيئة العمرانية ؛ وبذلك لم يعد للمفهوم عندهم حدود واضحة»[٢]. وعلى الرغم من التعدد، والتباين في تعريفات النص عند علماء لغة النص[٣]؛ تبعاً للتعدد والتباين في المدارس اللغوية التي ينتمون اليها، فإن هناك قاسماً مشتركاً بين جُلِ هذه التعريفات، إن لم يكن بينها جميعاً، هذا القاسم هو التأكيد على خاصية ترابط النص؛ ومن هنا كان النص – عند كثير منهم– عبارة عن «نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض»[٤]. والحق أن كل هذه التعريفات السابقة تعريفات على جانب كبير من الأهمية، غير أنني لا أجد بينها تعريفاً جامعاً؛ إذ إن كلاً منها يُضيءُ جانباً واحداً، أو قل صفةً واحدةً من صفات النص، ويترك صفاتٍ أخرى مهمة، كان ينبغى أن يشير إليها ويلقي الضوء عليها؛ فبعضها يؤكد على أهمية التناص، ويكاد يحصر النص فيه كتعريف جوليا كريستيفا ورولان بارت، فليس النص عندهما عبارة عن مجموعة من الجمل المنسجمة أو المتماسكة على نحو ما نادى به آخرون.

---

(١) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص٨١.

(٢) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ١ / ١٥.

(٣) ولمزيد من التفصيل، ومزيد من التعريفات انظر:

- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٦٤، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م، ص٢٥٢.
- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٠٤: ١٠٣.

(٤) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م، ص ٦٩ و ٧٠ بتصرف.

Scanned by CamScanner

معايير النص:

ومهما يكن من أمر فالذى تميل إليه النفس هو أن للنص بنية تتآزر لأجل قيامها وانبنائها عناصر شتى يؤدى كلٌ منها مهمةً داخل مجموع النص غير مستقلة عن سواه، ولا يمكن معاينتها منفصلة عن الوظائف الأخرى. بهذا تكون للنص صفات عامة نجملها فيما يلي:

- النص بنية.
- مركبة العناصر.
- موحدة، بمعنى منضمة إلى بعضها.
- كلية. يتكامل بعضه مع بعض.
- متجانسة ومتسقة.
- ذات أفق دلالي تؤدي إليه المستويات المتعدد للبنية[1].

وقد أجمل أستاذي الدكتور صبحي الفقي أهم المعايير التي لا تخرج عنها معظم المفاهيم والتعريفات للنص، وهي كالتالي:

- كون النص منطوقاً أو مكتوباً أو كليهما.
- مراعاة الجانب الدلالي.
- مراعاة التحديد الحجمي.
- مراعاة الجانب التداولي.
- مراعاة جانب السياق، وهو متعلق بالجانب السابق.
- مراعاة جانب التماسك، وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي.

---

(١) انظر:

- حاتم الصكر، ترويض النص الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م، ط١، القاهرة، ص ٤٢.
- الأزهر الزناد، نسيج النص ص ١٦٩.

- مراعاة الجانب الوظيفي للنص.
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.
- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل: الكفاءة والأداء...وغيرهما.
- إبراز كونه مقيداً.

وتعد هذه المعايير سمات للنص الكامل، وإذا اختلت سمة من هذه السمات يمكن أن نطلق عليه نصاً ناقصاً، ولذا يمكن أن نُعدها شروطاً ينبغي توافرها حتى يمكن أن نطلق عليه نصاً كاملاً[1]. لذا فقد آثرت من بين تعريفات النص تعريفاً اشتمل بين جوانبه على كل هذه الصفات العامة للنص، بل معظم هذه المعايير، وأعني بذلك تعريف روبرت آلان دي بوجراند Robert Alain De Beaugrand و ولفجانج اولرخ دريسلر Wolfgang Ulrich Dresslar لمفهوم النص، من حيث إنه حدث تواصلي Communicative Occurance يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

١- السبك Cohesion

٢- الحبك Coherence

٣- التناص Intertextuality

٤- السياق Situationality

٥- الإعلامية Informativite

٦- القصد Intentionality

٧- القبول Acceptability

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ٢٩.

Scanned by CamScanner

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في:

١- ما يتصل بالنص في ذاته Text-centered وهما معيارا السبك والحبك.

٢- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وذلك معايير التناص و السياق والإعلامية.

٣- ما يتصل بمستعملي النص سواءً أكان المستعمل منتجاً أم متلقياً User centered وذلك معيارا القصد والقبول[١].

بين نحو الجملة ونحو النص:

لا يفوتنا أن نوضح باختصارٍ غير مخلٍ العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص؛ حيث اقتصر الدرس اللساني القديم على الجملة، فبيّن مكوناتها وقواعدها التي تحكمها، واعتمد المنهج الوصفي الذي يقوم على تحليل المستويات اللغوية المختلفة، سواءً أكانت شكلية أم دلالية، كالبنيات الصوتية، والصرفية، والتركيبية، وما يتصل بها من دلالات معجمية، ومعان وظيفية نحوية بين الوحدات الصغرى للغة ذات الأنساق التركيبية والعلاقات السياقية، وينصب اهتمام أصحاب هذا المنهج على وضع الأنظمة اللغوية والقواعد النحوية الممثلة لما يعرف ب «الصحة اللغوية» لأي لغة من

(١) انظر:

- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، ضمن كتاب: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٥:٢٢٦.
- النص والخطاب والإجراء: ص ١٠٣: ١٠٦.
- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص ١٢.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص ١٤٦.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ٣٤:٣٣.
- إبراهيم محمد الدسوقي، نحو النص، دراسة تطبيقية لمفاهيم علم النص، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د.تمام حسان، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤٣.

Scanned by CamScanner

اللغات، بصرف النظر عما إذا كانت القواعد تصوراً افتراضياً من المحلل الذي يخضع له المادة اللغوية – موضوع بحثه – أم أنها موجودة داخل اللغة ؛ ومن ثم يقوم المحلل باستنتاجها عن طريق الملاحظة الدقيقة للتركيب. ثم اتسعت دائرة البحث اللغوي لتبحث أبنية النص وصياغته، ويرتكز هذا النمط من الدراسات على الوظيفة التواصلية للغة، حيث يتصور أن النص ما هو إلا لغة في موقف تواصلي حركي بين المتداولين لها ؛ فالمتكلم يعمد إلى لغته ليعبر بها عن أغراض معينة يتواصل بها مع الآخرين، فلا يعنيه عندئذٍ أن يقف محللاً لأدق تفاصيل اللغة، كتحليل الأصوات، أو الأبنية الصرفية والنحوية – وهي أيضاً من الأهمية التي لا يمكن الاستغناء عنها – لأنها تدخل ضمن قدرته وكفاءته اللغوية ؛ تلك التي تمكنه من إنتاج التراكيب اللغوية الصحيحة الملائمة لموقف التواصل الاجتماعي، كما تمنحه أيضاً مساحة من الحرية في توظيف لغته، فلا يلتزم بحرفية القواعد لإجراءات تداولية استعمالية يفرضها المقام وملابساته.

بيد أنَ هناك علاقة تكامل بين الجملة والنص، فعلم اللغة الجُملي تمهيدٌ ضروريٌ لعلم اللغة النصي؛ فلا يمكن أن يلغي أحدهما الآخر؛ لما فيه من تجاهل لحقب فكرية مديدة من البحث اللغوي وتجاهلٍ – أيضاً – لأهم مكونات النص الشكلية التي تتمثل في الجملة؛ ففي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين؛ ذلك أن من مأثوراتنا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأن السنة تفصل ما في القرآن من إجمال «فالغاية هي الانتفاع بالنص في جملته؛ لبيان وفائه بما تعلق به من أغراض، ثم بيان انتفاع النص بالنص في جلاء ما غمض من مراميه، غير أن اتحاد القصد لا ينفي اختلاف المنهج»[1]؛ نظراً لاختلاف معطيات كل دراسة.

(١) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، مقدمة المترجم، ص٤.

فمفهوم النحو في لسانيات النص يأخذ أدواراً أخرى غير أدواره في لسانيات الجملة؛ فلا يراد منه مجموعة القواعد القسرية والقوانين التي تطبق على النص، وإنما هو القوانين الاختيارية المستنبطة من النص ذاته، ولذلك فإن نحو الجملة غير كافٍ لوصف الظواهر التي تتجاوز حدود الجملة، حيث إنه يُعِدُ «قواعدها –أي الجملة– منتهى همه ومبلغ علمه، لا يُقر للنص بكينونة متميزة تُوجب معالجة تركيبه مجموعة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته، وتكون مؤهلة لتشخيصها ووصفها، وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي، ويبدأ التحليل النحوي باجتزاء الجمل وعزلها تقريباً عن سياقها في النص أو الخطاب، ويصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لا نهائي لعدد من نماذج الجملة، وما على النحوي إلا الكشف عن هذه النماذج، وتحديد قوانينها على مكوناتها التركيبية ليصير الكلام جميعه قيد الضبط»[1].

وقد ظلت الجملة في أنحاء اللغات –ومنها النحو العربي في بعض الأحيان[2]– قديماً وحديثاً أكبر وحدة لغوية في التحليل اللساني؛ لارتباطها –كما ذكرنا سابقاً– بغاية الصواب والخطأ في إنتاج المتكلم للجمل والتراكيب، ومن ثم كانت العناية بوسائل تأليف الأصوات والأبنية الصرفية والنحوية، وتقديم الصياغة والنظم على حساب العناية بالمعاني والدلالات، ناهيك بالدلالة الاجتماعية للجمل عن طريق ربطها بالمقامات المختلفة التي تُنجز فيها.

---

(١) سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث ضمن الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية – جامعة الكويت، عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً، إعداد وديعة طه نجم، وعبده بدوي، ١٩٨٩م – ١٩٩٠م، ص٤٠٧:٤٠٦.

(٢) فالنحو العربي – في كثيرٍ من الأحيان– لم يفصل بين أداء الجملة والموقف المحيط بها، وأمّا القصور المنهجي كان في اكتفائهم بالجملة – غالباً – على أنها الوحدة اللغوية الأكبر في التحليل ولم يتطرقوا إلى نحو النص بصورته المثالية. انظر: سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٧٩م، باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل ١/ ٢٥٧، وباب الذي يكون المبتدأ فيه مضمراً ويكون المبنيّ عليه مظهراً ٢/ ١٣٠.

Scanned by CamScanner

وحيال ذلك القصور المنهجي في دراسة اللغة داخل المواقف الأدائية كان من الضروري أن يُيمم البحث اللساني وجهه نحو النص، «وهونمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة ؛ تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة «Intra sentential constituents»،وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل «Intra sentential relations»، ثم الفقرة «Paragraph»، ثم النص «Text» أو الخطاب «Discourse» بتمامه»[1]. وقد أجمل بعض الباحثين[2] العوامل التي نقلت البحث في اللغة من مجال الجملة إلى مجال النص وهي كالتالي:

- اجتذبت النصوص علم النحو بناء على وجود مذاهب نقدية ترتكز على النص كبنية كلية، لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية،حيث صنع ذلك تطوراً واضحاً في التحول من نحو الجملة إلى نحو النص، وسياقه، ومعانيه المتعالقة، وظروف التواصل...إلخ.
- كثير من الظواهر التركيبية لم تجد في إطار نحو الجملة تفسيراً كافياً مقنعاً، وربما يتغير الأمر إذا اتجه الوصف في الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة هي النص، وذلك من خلال دراسة أشكاله البنائية، ومعايير التماسك والترابط والانسجام بينها.

(١) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص٤٠٧.

(٢) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صحيفة دار العلوم، العدد١٦، مكتبة زهراء الشرق، ط١، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠١م، ص٤٣:٣٧.

- غلبة النظرة الاجتماعية على الدرس اللغوي، والعناية بدور اللغة التواصلي مما ساعد على توسيع مفهوم النحو؛ ليصبح مكوناً من مكونات نظرية شاملة تُفسر السلوك الإنساني من خلال ربط النص بسياقه التواصلي، لا من خلال الجملة.
- الإفادة من نحو النص في خدمة الترجمة من لغة إلى لغة أخرى؛ لحاجتها إلى الترابط في استعمالات اللغة، وذلك من المهام المنوط بها نحو النص، وهو ما لا توفره الدراسات التقليدية التي تعني بالنظم الافتراضية للنحو وللمعاجم الخاصة باللغات.
- إنه من خلال نحو النص يمكن أن نُعيد النظر في فهم بعض المفاهيم اللغوية السائدة، وذلك إما بتعميقها أو تعديلها؛ ومثال ذلك: إعادة دراسة مفهوم الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية من خلال وسائل التماسك الشكلية والمفهومية بين الأغراض الشعرية المتعددة، ومن ذلك أيضاً تغيير النظرة إلى التضمين العروضي الذي عُدَّ قديماً من عيوب القافية؛ إذ يمكن أن يُدرس النحو كوسيلة للتماسك الشكلي والدلالي بين أجزاء القصيدة.

ويذكر الدكتور الأزهر الزناد سبباً آخر فيقول: «الاتصال الوثيق بين كل من علم النحو وعلم البلاغة وعلم النقد وعلم الشعر أيضاً، من بين الأسباب التي أدت إلى الإحساس القوي بضرورة توسيع الدراسات القائمة على الجملة إلى دراسات ذات إطار أوسع يتمثل في النص»[(١)]. ويضيف أستاذي الدكتور صبحي الفقي سبباً آخر - لما سبق - فيقول: «ونرى من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية كذلك العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية؛ فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية بمفهومها الواسع»[(٢)].

---

(١) نسيج النص، ص٥.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ٥٢.

Scanned by CamScanner

مهام نحو النص:

يجب ألاَ نبالغ في أحكامنا عند التمييز بين نحو الجملة ونحو النص، ومحاولة إلغاء، أو إقصاء الأول لقصوره المنهجي في حل كثير من مشكلات اللغة؛ لأن صفة التكامل بينهما قائمة في البحث اللساني، والصلة بينهما وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما، إلاّ أن ذلك لا يعني الإخفاق في وضع تصورات واضحة عن مهام نحو النص. فقد رأى فان دايك Van Dijk «أن نحو الجملة يشكل جزءاً (كما) غير قليل من نحو النص»[1]. ومن ذلك أنه يمد نحو النص في الحكم على النصوص بالتماسك والانسجام بالروابط اللغوية، كالإحالات الضميرية والإشارية، وحروف العطف...إلخ –كما سيتبين لنا في فصل السبك[2]– إن شاء الله– وكذلك يمدنا نحو الجملة في الحكم على النصوص من خلال الروابط الدلالية، والعلاقات المفهومية بين الجمل والعبارات المكونة له وغيرها مما سنفصله أيضاً في فصل الحبك[3] –إن شاء الله-. وفي سبيل وضع تصورٍ واضحٍ عن مهام نحو النص عمد بعض علماء النص مثل: دي بوجراند «Debeaugrande» إلى بيان مجموعة من الفوارق الجوهرية بين النص وبين الجملة، سوف نجملها فيما يلي:

- من ذلك أن الجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، أما النص فحقه أن يُعرف تبعاً للمعايير الكاملة للنصية، كالسبك، والحبك، والقصد، والقبول، ورعاية الموقف، والتناص، والإعلامية، وهذه المعايير ضمينةٌ بأن تتغلب على قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص، وخاصة عند تفعيل معيار السياق –وبالأخص رعاية

(١) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص١٣٥.

(٢) فصل السبك، ص٨٦:١٦.

(٣) نفسه، ص١٤٠:٨٧.

الموقف أو ما نسميه السياق الخارجي- الذي يحافظ على الطاقة التواصلية في النص، ومن ثم لا ينبغي للصواب النحوي أن يُعدُ قانوناً بل يُعدُ بديلاً معيارياً عندما تغيب القرائن الأخرى.

- ينبغي للنص أن يتصل بمقام يكون فيه، وتتفاعل داخله مجموعة من المرتكزات، والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف -ويسميه البحث: السياق الخارجي- أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية -ويسميه البحث السياق الداخلي-؛ ولذلك فإن الأعراف الاجتماعية، والعوامل النفسية أوثق صلة بالنص منها بالجمل، فالوعي الاجتماعي ينطبق على الواقع لا على أنظمة القواعد النحوية التي تجعل الجملة صياغة ذهنية.
- النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل، وهذا الاختلاف هو المحك في التفرقة بين تعلم اللغة، وبين استعمال اللغة، فعندما نتعلم اللغة نعتمد في استخدامنا للجمل على معرفة القواعد من نظام افتراضي عام، في حين نكون بحاجةٍ عند استعمال النصوص إلى معرفة عملية بالأحداث المشابهة لها، وهوما يعرف بالتناص[1].

نخلص مما سبق أن بنية النص شاملة للبنى النحوية التركيبية، والدلالية، والتداولية؛ إذ هي في واقع الأمر أبنية صغرى تترابط فيما بينها بعلاقات منطقية على المستوى السطحي، والمستوى العميق للنص.وقبل أن نشرع في دراستنا التطبيقية على النص القرآني من خلال سورتي النساء والأعراف كأنموذجين للسور المكية والمدنية، **أود أن أؤكد:** أنه ليس معنى سعينا للإفادة بما استجد فى الغرب من دراسات لغوية ونقدية معاصرة -أقول ليس معنى هذا- أن نأخذ بكل ما أتت به هذه الدراسات

---

(١) انظر هذه الفروق وغيرها: النص والخطاب والإجراء، ص٩٤:٨٩.

بغثه وسمينه، ولكن ماينبغى أن نأخذ به هو ما يتفق من هذه الدراسات مع لغتنا العربية، وما اختلف عنها، وعن مبادئها، وقوانينها تركناه ؛ وذلك كله مبنيٌ على مبدأ صريح مفاده أنه «إذا كان مايجيئنا من الغرب ليس خيراً كله فهو أيضاً ليس شراً كله»[1]، وذاك لا لشيءٍ إلا أن لكل لغة خصائصها التى تختلف فى كثير منها عن خصائص غيرها، وذاك يعنى أننا لن نتقبل فى رضا أو فى غير رضا مبالغات أية نظرية لغوية أو نقدية حديثة. أي أنه لا ضير من الاتصال بالآخر الثقافى، غير أنه يجب علينا فى اتصالنا به ألا ننسى الاختلاف، وأنه ليس كل ما ينتجه ذلك الآخر اتساقا مع انتماءاته الثقافية يتفق مع الانتماءات أو حتى الولاءات التى تفرضها الثقافة العربية، وفى الوقت نفسه. فإن ذلك لا يعنى أن كل ما ينتجه ذلك الآخر يختلف بالضرورة مع انتماءات الثقافة العربية، ومرة أخرى إذا كان ما يأتى من الغرب ليس خيراً كله، فهو أيضاً ليس شراً كله ، ولا يخرج عن ذلك القرآن الكريم، فهو أيضاً نصٌ واحدٌ يتصف بتماسك أجزائه وترابطها واتساقها، وأخذ بعضها بحجز بعض ؛ فالقرآن الكريم كله -كما سنرى من خلال الدراسة التطبيقية إن شاء الله- نصٌ واحدٌ متصل الأجزاء يفسر بعضه بعضاً ومما يدل على ذلك كما يقول ابن الشجري: «إنه قد يذكر الشيء فى سورة فيجيء جوابه فى سورة أخرى ؛ لأن القرآن يجري مجرى السورة الواحدة»[2].

وأخيراً وليس آخراً وعند هذه النقطة، وبعد أن ارتضيت تعريف روبرت دي بوجراند و دريسلر للنص ؛ فإنه قد حان الوقت لبدء الدراسة التطبيقية لهذه المعايير النصية من خلال اتخاذ سورتي النساء والأعراف – نموذجاً للتطبيق أوأول هذه المفاهيم هو مفهوم السبك، وهو موضوع الفصل التالي.

---

(١) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة فى سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٨، نوفمبر ٢٠٠٣م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ص ٢٧٨.

(٢) ابن الشجرى: أماليه، تحقيق محمود محمد الطناحى، مكتبة الخانجى، ط١، القاهرة ١٩٩٢م، ٢/ ١٤٢، ١٤٥، ٥٢٤.

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

(السبك)

«Cohesion»

Scanned by CamScanner

مصطلح السبك:

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن المعنيّين باللسانيات النصية انقسموا على أنفسهم في وضع صياغة دقيقة ومحدَّدة لترجمة المصطلح الأجنبي «Cohesion» على النحو التالي:

١- السبك: سعد مصلوح[١]، ومحمد العبد[٢]، وتمام حسان[٣]، وجميل عبد المجيد[٤]، وأشرف عبد البديع[٥]، ومحمد سالم صالح[٦]، حسان أحمد فرج[٧]، إبراهيم الدسوقي[٨]، وأحمد عبد الراضي[٩].

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (نحو أجرومية للنص الشعري)، ص ٢٢٧.
(٢) محمد العبد، حبك النص، منظورات من التراث العربي، مجلة النقد الأدبي (فصول)، العدد ٥٩، ربيع ٢٠٠٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٥٤.
(٣) النص والخطاب والإجراء، ص ٢٩٩.
(٤) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيةاالهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م، ص ٧٧.
(٥) أشرف عبد البديع عبد الكريم،الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٤٢.
(٦) محمد سالم صالح، صور التماسك النصي في سورة القتال، مجلة فكر وإبداع، الجزء ٤٦، يوليو ٢٠٠٨، دار الإبداع، القاهرة، ص ٩٧.
(٧) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٧٨.
(٨) نحو النص، دراسة تطبيقية لمفاهيم علم النص، ص ٤٥.
(٩) أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٠١.

Scanned by CamScanner

٢-الاتساق: محمد خطابي[١]، وفريد عوض حيدر[٢].

٣- التماسك: الأزهر الزناد[٣]، وصبحي الفقي[٤]، وجودة مبروك[٥].

٤- الربط: سعيد بحيري[٦]، وعزة شبل[٧]، وأحمد عفيفي[٨].

٥- التضام: تمام حسان[٩]، وإلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمدي[١٠].

٦- الالتحام: تمام حسان[١١].

وأود أن أقرر بداية أنني آثرت استخدام مصطلح السبك «Cohesion»دون غيره؛ لأنه ليس غريباً عن أدبيات النقد العربي القديم، ويمكن توضيح هذا القرب وهذا الشيوع بالرجوع إلى التراث النقدي

---

(١) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء -المغرب، ص ١١

(٢) فريد عوض حيدر، اتساق النص فى سورة الكهف، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م، ص١٣.

(٣) نسيج النص، ص ١٥.

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١ / ٩٣.

(٥) جودة مبروك محمد، التكرار وتماسك النص (قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجاً)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص١١.

(٦) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص ١٢٣.

(٧) عزة شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٩٩

(٨) نحو النص، ص٢٢٤.

(٩) نحو الجملة ونحو النص، الموسم الثقافي لجامعة أم القرى، ١٩٩٥م، ص١.

(١٠) إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد، مدخل الى علم لغة النص، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٢، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٧.

(١١) النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

Scanned by CamScanner

والبلاغي عند العرب، حيث نجد النقاد يستخدمون مصطلح السبك[1]، كما أنها الترجمة الأكثر قبولاً وشيوعاً.

وسائل السبك:

ويختص معيار السبك بالوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية «surface text»، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها، بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته. ولذا، فإن أهمية السبك تكمن في خلق نصية النص، وتحقيق الاستمرارية والاطراد، والإفادة، وفهم النص وتفسيره، وأبرز من ذلك جعل النص مجموعة من الوحدات المتداخلة والمتشابكة والمتكاملة يسري من خلالها تدفق دلالي

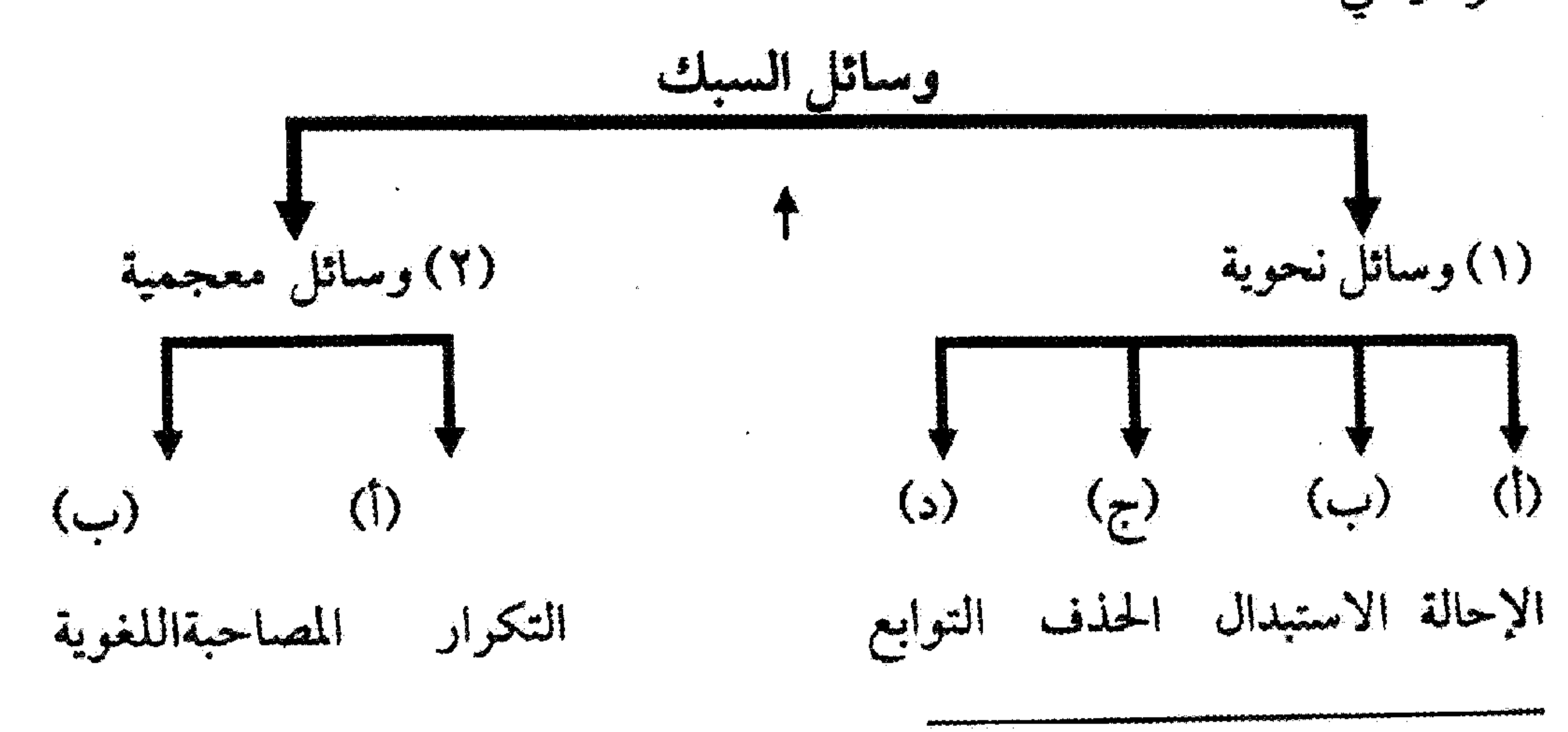
---

(١) انظر:

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط ٣، القاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ٣٩.
- الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ١/ ٦٧.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م، ص ١٦٨.
- أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ت: عبد الله علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ص ١٠٠.
- ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٢٤٨ .
- ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، نهضة مصر، ط ٢، القاهرة، ١٩٧١م،ص ١٦٦.
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ت، عباس عبد الستار، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٢ - ١٩٨٢م، ص ١٣١.

Scanned by CamScanner

تفضي فيه كل فكرة إلى أختها، مع التركيز على صحة النشاط اللغوي من خلال صحة المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية[1]. وعلى هذا النحو ينبغي إدراك أن السبك مأخوذ بعين الاعتبار هو السبك المبني على الترابط الشكلي، ولكنه يسهم –لا شك– في تحقيق التماسك الدلالي (الحبك)، فوسائل السبك وأدواته ليست هي الضمان الوحيد للنصية، وإنما هي نص ظاهر يعكس باطناً، أو علاقات في ظهر النص تشير إلى علاقات دلالية في عالم النص. وقد بينت الدراسات الحديثة أن هناك آليات مختلفة تعمل على سبك النص، منها: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأداة التعريف، والأسماء الموصولة، وأدوات العطف، والمناسبة المعجمية، وغير ذلك من الوسائل التي تربط بين مكونات النص ربطاً خطياً أو ملفوظاً أو سياقياً يعمل على تتابع النص وتواصله. ويمكن تقسيم وسائل السبك إلى قسمين من خلال الشكل التوضيحي:



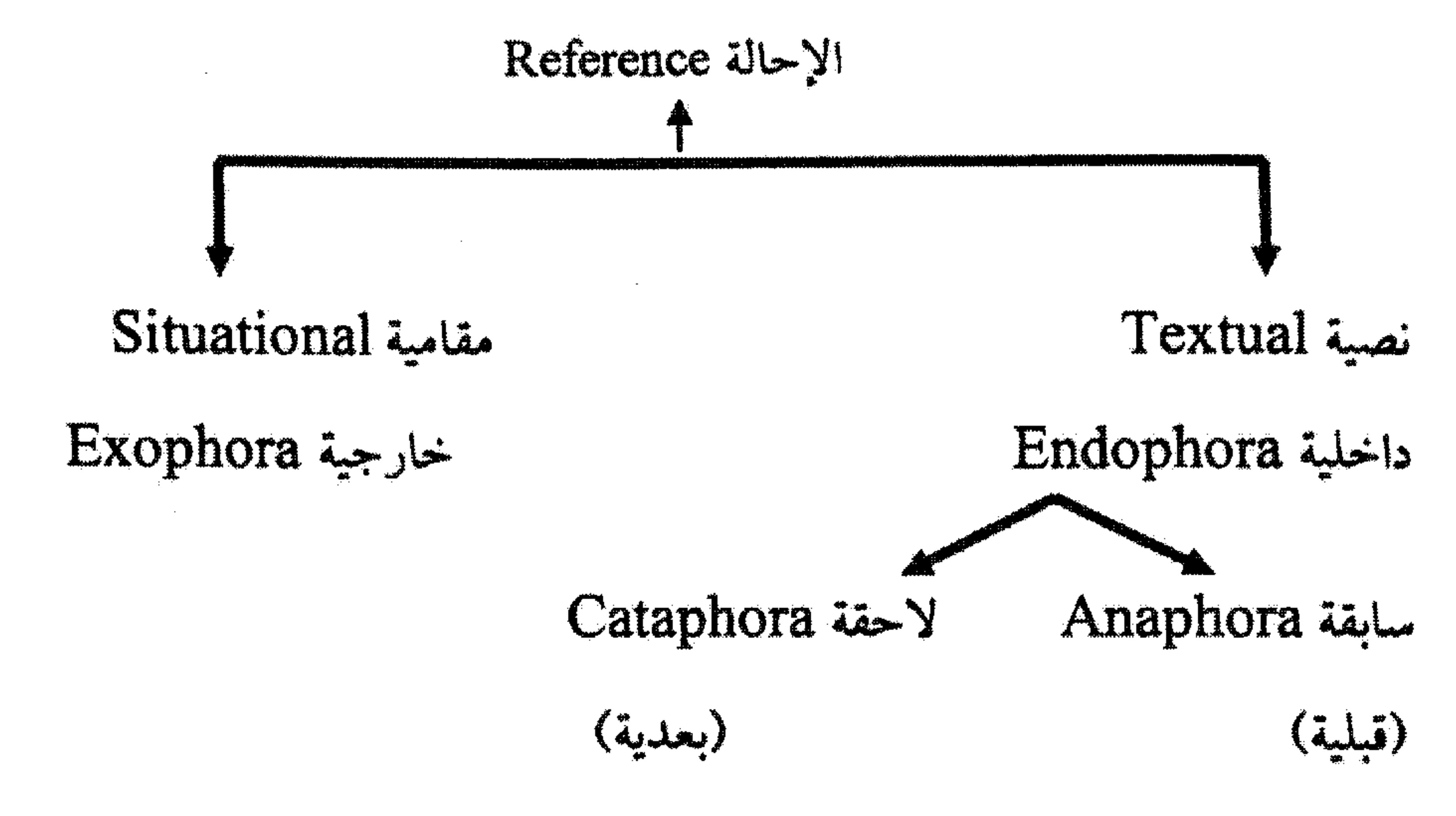
(١) انظر:

- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٨٩.
- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص ٩٩.
- فايز أحمد الكومي، أثر الروابط في البناء النصيّ، دورية علوم اللغة، مجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٠٨م، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢١.

Scanned by CamScanner

أولاً: وسائل السبك النحوي:

(أ) – الإحالة Reference: إن الروابط الإحالية تعد أمراً مهماً في سبك النص، وتحقيق تماسكه وترابطه، وللإحالة أكثر من وجه: فهناك إحالة بالضمائر، وإحالة بأسماء الإشارة، وإحالة بالأسماء الموصولة، وإحالة بإعادة الذكر أو التكرار.



(أ-١) الإحالة بالضمائر:

(أ-١-١) سورة النساء:

بالرجوع إلى ملحق الجداول، جدول (١) ضمائر سورة النساء يتبين لنا أهم العناصر الإشارية العاملة في سورة النساء مرتبة حسب عدد العناصر الإحالية المتعلقة بها؛ كما يوضحها الجدول التالي:

م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية	م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية
١	المؤمنين – الذين آمنوا – عملوا الصالحات – المجاهدين	٣٤٦	٢	جهنم	٥

م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية	م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية
٣	المنافقين– الخائنين – المختانين– المختال	١٤٦	٤	المستنكفون	٥
٥	لفظ الجلالة	١٤٩	٦	الأمر	٤
٧	الكافرين – الظالمين– المشرك	١١٥	٨	القتيل	٤
٩	رسل الله جميعا	٩٣	١٠	التوابين	٣
١١	الذين هادوا – الذين أوتوا نصيبا	٨٠	١٢	القربى	٣
١٣	الناس	٤٨	١٤	الملائكة	٣
١٥	الوارثين (رجال –آباء – أبناء– أزواج– الزوجين –اليتامى)	٤٧	١٦	الوجوه	٣
١٧	النساء– المرأة– الأخت–البنت – الزوجة......	٤٠	١٨	القنطار	٣
١٩	الزاني والزانية	٨	٢٠	الأكل	٢
٢١	جنات	٦	٢٢	أهل القتيل	٢
٢٣	النكاح	٥	٢٤	الشفاعة	٢
٢٥	الشيء	٥	٢٦	الآيات	٢
٢٧	السفهاء	٥	٢٨	النفس	٢
٢٩	القرآن	٥			

Scanned by CamScanner

هذا بالإضافة إلي كثيرٍ من العناصر الإشارية التي عمل كل واحدٍ منها في عنصرٍ إحالي واحد، ومنها:(الفاحشة – الأموال – ذرة – الحسنة – الكذب – إبراهيم – جلود – الأمانات – الطاغوت – القتل – التحية – أرض الله – الحديث – المظلوم – القلوب – الطيبات – الخ). وبالرجوع إلى جدول الضمائر(١) في الملحق يمكن تصنيف العناصر الإحالية (الضمائر المتعلقة بالعناصر الإشارية) على النحو التالي:

نوع الضمير	العدد	نوع الإحالة	العدد
الغائب	٧٥٤	السابق	١١٩٤
المخاطب	٤٤٣	اللاحق	٥
المتكلم	٧٦	الخارجي	٧٤
المجموع	**١٢٧٣**	**المجموع**	**١٢٧٣**

- يلاحظ على هذه العناصر الإحالية في الجدول السابق ما يلي:

١ - ضمائر الغائب تمثل ٦٠ ٪ تقريباً؛ وهذا أمر طبيعي في عموم النص القرآني؛ حيث تمثل ضمائر الغائب الأغلبية.

٢- إن نوع الإحالة النصية بنوعيها (السابقة واللاحقة) تمثل حوالي ٩٨٪ تقريباً؛ وهذا أمر طبيعي أيضاً؛ إن الإحالة النصية -بنوعيها- أكثر أنواع الإحالات في النصوص عامة.

وبعد استعراض هذا الإحصاء للعناصر الإشارية العاملة في سورة النساء، وما يرتبط بها من عناصر إحالية مختلفة نجد أن هذه العناصر الإشارية في السورة يتجاوز(٤٤) عنصراً بمترادفاته، وأن العناصر الإحالية (الضمائر) التابعة يصل إلى (١٢٧٣) عنصراً إحالياً ومعني ذلك أن مجموع العلاقات الإحالية بالضمائر فقط (١٢٧٣)علاقة. فإذا قسم

هذا العدد على آيات السورة الكريمة البالغة (١٧٦) آية وجـدنا أن كل آية تشتمل على سبع علاقات -تقريباً- إحالية بالضمائر فقط.وإذا قسمنا مجموع هذه العلاقات على عدد جمل السورة الكريمة والتي تبلغ حوالي (١٣٥٠) جملة تقريباً، وجدنا أن كل جملة تكاد تشتمل على علاقة إحالية واحدة على الأقل من هذه العلاقات[1].

هذا عن العناصر الإشارية العاملة؛ أما العناصر الإشارية غير العاملة فهي كثيرة ومنتشـرة في فضاء نص السورة الكريمة (سورة النساء) ولا تخلو من عناصر إحالية (الضمائر) تربطها بعناصر إشارية عاملة؛ ومنها على سبيل المثال: يقول -سبحانه وتعالى:﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٤). فكلمة (بعضهم) عنصر إشاري غير عامل أي لا يتبعه ولا يسبقه عنصر إحالي مرتبط به؛ ومع ذلك مرتبط بضمير (هم) عنصـر إحالي يعود على لفظ (الرجال) السابق أي إحالة داخلية سابقة، ولفظ الرجال من العناصر الإشارية العام

(أ-١-١-١) نماذج في سورة النساء:

وسورة النساء إحدى السور المدنيـة الطويلـة وهـي سـورة مليئـة بالأحكـام التشريعية التي تنظم الشئون الداخليـة والخارجيـة للمسـلمين؛ وهـي تعنـي بجانـب التشريع عامة شأن السور المدنية؛وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمـور هامـة تتعلق

---

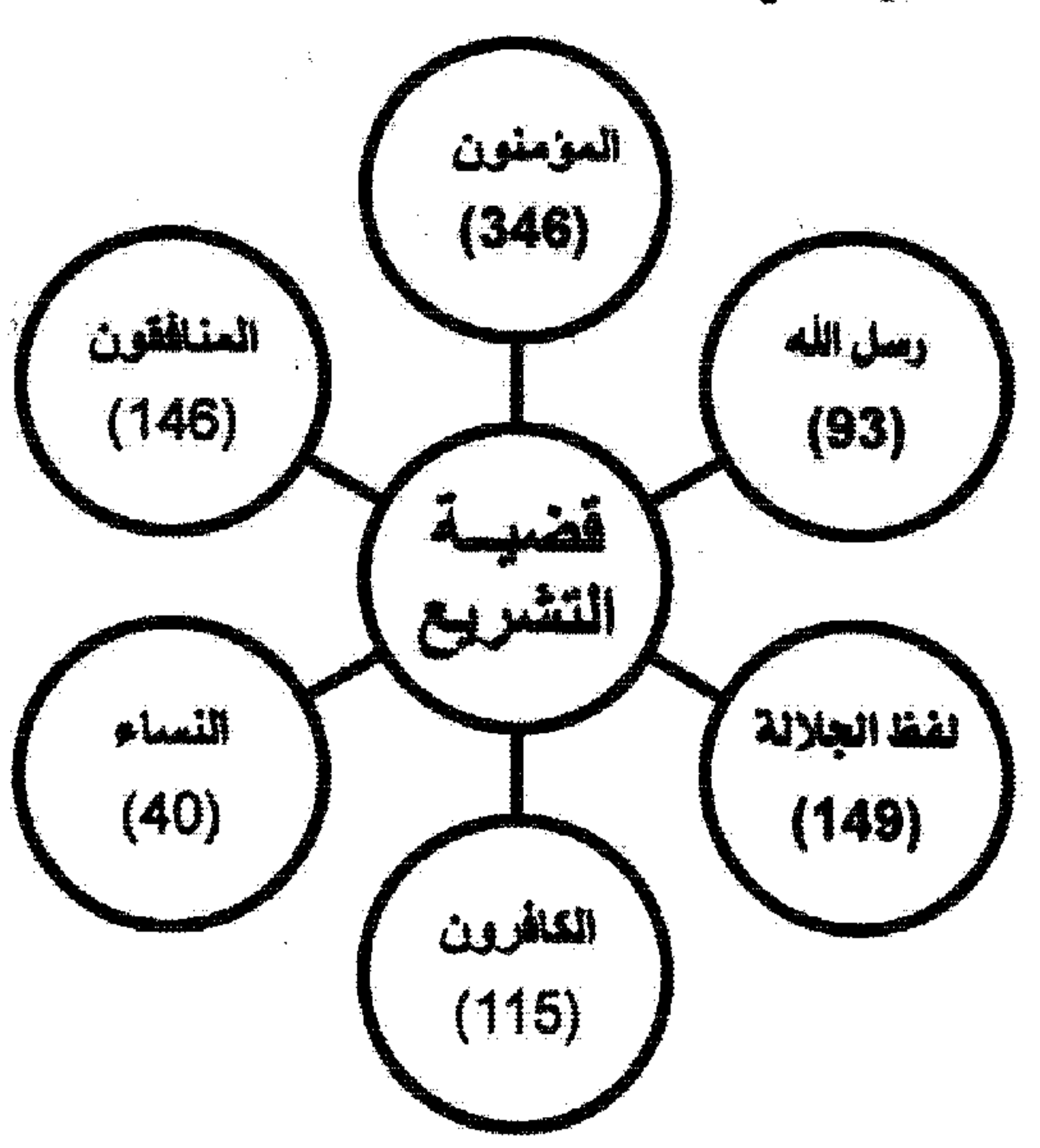
(١) محمود بن عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشـيد مؤسسـة الإيمان، ط٤، دمشق، ١٤١٨ هـ سورة النساء، ٤/ ٤٢٨: ٦/ ٢٦٥.

Scanned by CamScanner

بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع. وبالرجوع إلى الإحصائيات نلاحظ أهم العناصر الإشارية مرتبة حسب عدد العناصر الإحالية و تتمثل في الآتي:

- لفظ المؤمنين (٣٤٦) عنصراً إحالياً.
- لفظ الجلالة (١٤٩) عنصراً إحالياً.
- لفظ المنافقين (١٤٦) عنصراً إحالياً.
- لفظ الكافرين (١١٥) عنصراً إحالياً.
- رسل الله جميعا (٩٣) عنصراً إحالياً.
- لفظ النساء (٤٠) عنصراً إحالياً.

ويمكن تمثيلها بالشكل التالي:



فالكل يتجه نحو القضية المحورية (التشريع)......

- إما بالتكليف (الله- سبحانه وتعالي-)،
- أو بالتبليغ (رسل الله-عليهم السلام- جميعاً)؛

Scanned by CamScanner

- أو الطاعة والتنفيذ (المؤمنون - ومنهم النساء-)،
- أو التكذيب والتشكيك (الكافرون والمنافقون).

وبالنظر إلى الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة التي يصل مجموعها إلى (١٤٩) ضميراً؛ تعود كلها إلى لفظ الجلالة (الله) - تبارك وتعالي -؛مع العلم بأن عدد آيات السورة الكريمة (١٧٦) آية؛ وذلك دلالةً علي انتشار الضمائر في فضاء نص السورة من بدايتها إلى نهايتها؛ وكأنها تعود إلى مرجوعٍ واحدٍ؛ إذن فهي مرتبطة به ليس شكلا فحسب بل دلالةً – أيضاً –. وقد تنوعت الضمائر التي تعود إلى لفظ الجلالة بين منفصل، ومتصل، ومستتر.

ومن هذه الآيات بالنسبة **للضمير المنفصل** ثلاث آيات فقط، وهي قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (النساء:٨٧).

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (النساء: ١٠٨).

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء : ١٤٢).

وبالنسبة للضمير المتصل فمنها قوله تعالي:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(النساء: ١٣).

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ (النساء:١٤).

﴿..وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٠).

﴿..وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٥٠).

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٨).

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ (النساء: ١٦٦).

Scanned by CamScanner

وبالنسبة للضمير المستتر قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء:١)

﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ..وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء:٢٦)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء:٤٨).

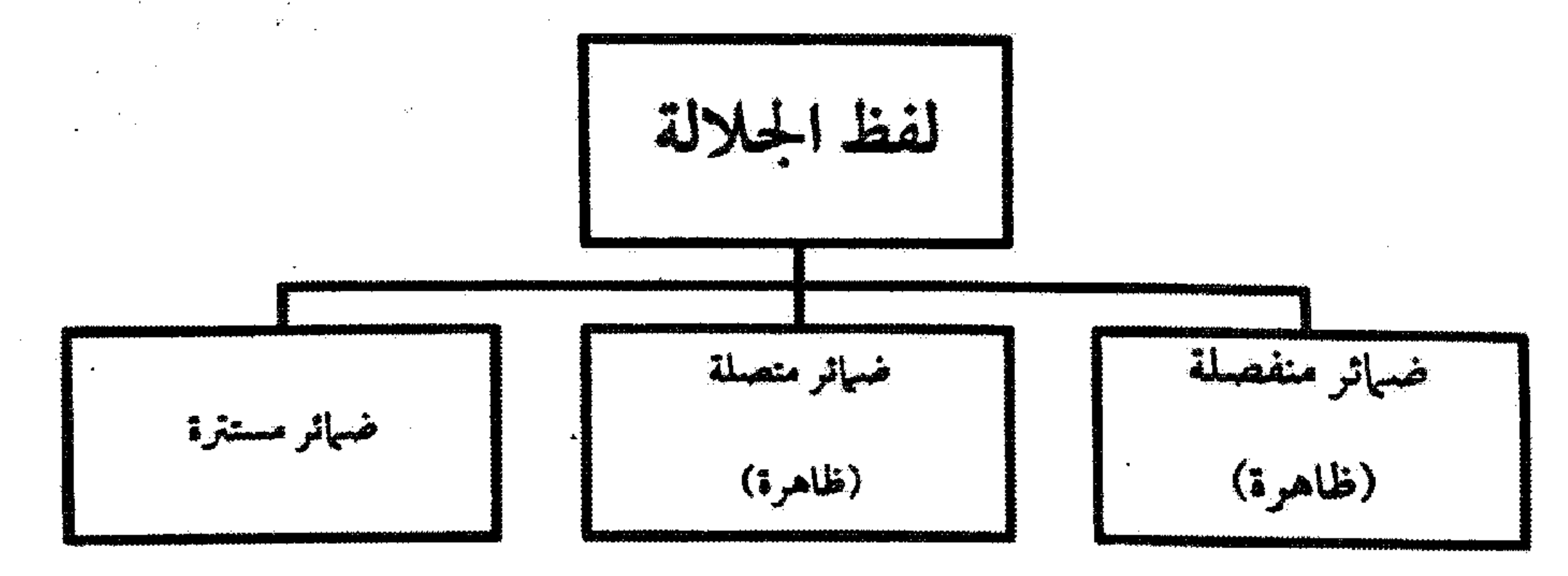
﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (النساء: ٨٧).

﴿ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(النساء:٩٣).

﴿ وأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(النساء:١٠٢).

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ (النساء: ١٣٣).

وتتنوع تلك الضمائر بين الغائب والمتكلم والمخاطب كما بينها الإحصاء؛ كما تتنوع كذلك بين المفرد والجمع؛ وكلها تعود إليه- سبحانه وتعالى-. وقد ذكر لفظ الجلالة في بداية السورة في قوله تعالى- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١). وهو ذكر صريح؛ ومن ثَمَ فإنَّ مرجعية هذه الضمائر تمثل مرجعية داخلية سابقة. ويمكن تمثيل مرجعية الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة مرجعية داخلية سابقة كالآتي:



أما الضمائر التي تحيل إلى رسل الله، فمنها ما يحيل إلى سيدنا محمد- ﷺ -؛ ومنها ما يحيل إلى رسل الله - عليهم جميعا وعلي نبينا الصلاة والسلام- أما ما يحيل إلى سيدنا محمد- ﷺ - فمنها قوله تعالى:

Scanned by CamScanner

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ (النساء: ٤٤)،

﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ﴾(النساء:٤٦)،

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ (النساء: ٤٩)،

﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (النساء: ٥٠)،

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ (النساء:٥١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ (النساء: ٦٠)،

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾(النساء:٦٢)

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ ﴾ (النساء:٦٣)،

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾(النساء: ٦٣)

﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ.. وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾(النساء: ٧٩)،

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (النساء:٨٤)،

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ (النساء:١٠٦)،

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ (النساء:١٢٧)،

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ الْوَالِدَيْنِ ﴾ (النساء: ١٣٨)

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (النساء: ١٦٣).

ومرجعية هذه الضمائر خارجية؛ وذلك لأنه لم يذكر سيدنا محمد- ﷺ - صراحة في السورة؛ ولكن السياق هو الموضح للمرجعية. أما ما يحيل إلى رسل الله ومنهم سيدنا عيسى -عليهم جميعاً السلام- فمرجعية الضمائر داخلية سابقة؛ ومنها قوله تعالى:

﴿. وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٥٢)

﴿.. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(النساء: ١٥٧)

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾(النساء: ١٥٨)

Scanned by CamScanner

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾(النساء: ١٥٩)

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ ﴾ (النساء: ١٦٤)

﴿..وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ (النساء: ١٧١)

أما الضمائر التي تحيل إلي المنافقين في هذه السورة، فيلاحظ أنها تفوق عدد الضمائر التي تعود إلى الكافرين؛ ولعله مرتبط بطبيعة السور المدنية -عامة- وهو مالانجده في السور المكية. فالمنافقون لم يكن لهم ظهور في العهد المكي؛ حيث التعذيب والقتل والتشريد؛ بينما نجده في العهد المدني حيث الأسرة والمجتمع والدولة، وازدهار أركان هذا الكيان الجديد مناخ يساعد علي دخول ضعاف النفوس تحت مظلة هذه الدولة الواعدة؛ ليحقق من ورائها المصالح والمنافع. فكان لفظ المنافقين وصفاته يمثل عنصراً مهماً ومحوراً أساسياً من محاور سورة النساء؛ لذا كان عنصراً إشارياً بلغ عدد الإحالات بالضمائر إليه (١٤٦) ضميراً، ومنها قوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (النساء: ٦٢)
﴿.. يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ (النساء: ٦٣)
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ (النساء: ٦٦)
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ (النساء: ٧٧)
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ ﴾ (النساء: ٧٨)

وقد ذكر لفظ المنافقين صراحةً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦١)
ومن ثَمّ فإن مرجعية الضمائر كلها داخلية سابقة[١]. وأما الضمائر التي تحيل إلى

(١) وكذلك الآيات (٦٤-٦٥-٦٧-٦٨-٧٢-٧٣-٨١-٨٢-٨٣-٨٨-٨٩-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٣-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٥-١٤٦).

المؤمنين التي يبلغ عددها (٣٤٦) ضميراً؛ ولعل السبب الرئيسي في كثرة الضمائر التي تحيل إلى المؤمنين، وتحتل المرتبة الأولى عددياً بين العناصر الإحالية التي تتعلق بهذا العنصر الإشاري للعامل؛ يرجع إلى طبيعة النص المدني عامةً - وسورة النساء خاصةً - حيث كثرة التكاليف والتشريعات الموجهة إلى المجتمع المؤمن لتنظيم أسرته ومجتمعه ودولته، ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ (النساء :١٩)

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ (النساء: ٢٦)

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء: ٢٧)

﴿.. لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾(النساء:٢٩)

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(النساء: ٣٢)

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا .. ﴾ (النساء:٣٦)

﴿.. لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ . ﴾ (النساء: ٤٣)

﴿..وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء:٥٧)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨)

﴿.. أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ . ﴾ (النساء: ٥٩)

﴿.. خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ٧١)

ومرجعية الضمائر بوجه عام داخلية سابقة؛ لذكر لفظ المؤمنين (الذين ءامنوا) صراحةً في بدايات السورة الكريمة. وبالنسبة للضمائر التي تحيل إلى لفظ النساء، فعلي الرغم من قلة عددها مقارنة بما سبق؛ إلا أنها تتوزع في سورة النساء من بدايتها إلى نهايتها ومنها:

● قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (النساء- ٤).

• وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء:٣٢)

• وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦)

وأهم الكلمات المرتبطة بالضمير الإحالي هي[1]:

(صدقاتهن – طبن – فلهن –مما تركن – لهن – فلهن –تعضلوهن – آتيتموهن – يأتين – عاشروهن – كرهتموهن – أخذن – منهن – فآتوهن – أجورهن – انكحوهن – أهلهن – آتوهن – أجورهن ----- إلخ). ومرجعية كل هذه الضمائر داخلية سابقة ماعدا قوله تعالي: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾(النساء: ١٥) حيث نون النسوة في ﴿يَأْتِينَ﴾ يحيل إلى ﴿نِّسَائِكُمْ﴾ أي العنصر الإشاري العامل للعنصر الإحالي نون النسوة ومن ثم فإن مرجعية هذا الضمير مرجعية داخلية لاحقة.

(أ-١-٢) سورة الأعراف:

أهم العناصر الإشارية العاملة في سورة الأعراف- بالرجوع إلى ملحق الجداول: جدول (٢) ضمائر سورة الأعراف – مرتبة حسب عدد العناصر الإحالية المتعلقة بها كما يوضحها الجدول الآتي:

(١) ولنلاحظ أرقام الآيات التي ورد فيها الضمائر التي تحيل إلى لفظ النساء صراحةً أو إحدى مرادفاته كالمرأة والأخت والزوجة والأنثى، وهي كالآتي: (٤-١١-١٢-١٥-١٩-٢١-٢٣-٢٤-٢٥-٣٢-٣٤-٣٥-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٧٦).

م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية	م	العناصر الإشارية ومرادفاتها	عدد العناصر الإحالية
١	الذين كفروا	٣٦٦	٢	آيات – آية	١٣
٣	لفظ الجلالة	٢٢٩	٤	الأعراف	١٢
٥	بني آدم	١٥١	٦	الناس	٨
٧	المؤمنين	٩٨	٨	خلف	٨
٩	موسى (عليه السلام)	٩٦	١٠	الفواحش-السيئات	٦
١١	نوح – عاد – صالح – لوط – شعيب	٦٥	١٢	عجلاً	٦
١٣	آل فرعون	٦٤	١٤	الأرض	٦
١٥	محمد (ﷺ)	٦٣	١٦	الجبل	٥
١٧	أهل القرية	٥١	١٨	كتاب	٥
١٩	أمة – أمم	٣٨	٢٠	نفساً	٤
٢١	السحرة	٣٦	٢٢	الكلب	٤
٢٣	إبليس – الشيطان	٣٥	٢٤	الألواح	٣
٢٥	الأصنام	١٧	٢٦	شرع الله	٣
٢٧	بني إسرائيل	١٥			

وهناك مجموعة من العناصر الإشارية عمل كل واحدٍ منها في عنصرٍ إحالة واحد أو اثنين على الأكثر وهي: (القرآن – حملاً – حديث – الظلم – ليلة – لباساً – الوعظ – الأسماء الحسنى – الطيبات – الماء – شفعاء – ناقة – المدائن – عذاب – رحمة – الساعة – فتنة – الأغلال – عصا – أجل – أيد – آباؤنا – النور – رجلاً – الجنة – النار...). وهذه العناصر الإحالية المتعلقة بالعناصر الإشارية في سورة الأعراف كانت على النحو التالي كما يوضحه الجدول:

نوع الضمير	العدد	نوع الإحالة	العدد
غائب	٨٧٠	سابقة	١٣٦٥
متكلم	٣٠١	لاحقة	٥
مخاطب	٤٠٦	خارجية	٢٠٧
الإجمالي	١٥٧٧	الإجمالي	١٥٧٧

يلاحظ على هذه العناصر الإحالية ما يلي:

١- ضمائر الغائب تمثل ٦٠٪ تقريباً، وهذا أمر طبيعي لأن جلَّ المشهد في سورة الأعراف هو حوار بين ربِّ العزة – جل جلاله – وإبليس – لعنه الله –، أو بين أصحاب الأعراف وأهل الجنة وأهل النار، أو بين رسل الله وأقوامهم،..... يضاف إلى ذلك أن الحوار كله محكيٌّ.

٢- نوع الإحالة الداخلية أو النصية – سواءً كانت سابقة أو لاحقة تمثل ٨١٪ تقريباً، وهذا أمر طبيعي أيضاً؛ لأن الإحالة الداخلية – السابقة واللاحقة – أكثر أنواع الإحالة على النصوص.

وبعد استعراض هذا الإحصاء للعناصر الإشارية في سورة الأعراف، وما يرتبط بها من عناصر إحالية مختلفة، نجد أن العناصر الإشارية في سورة الأعراف (٥٣) عنصراً، وأن العناصر الإحالية التابعة لها (١٥٧٧)عنصراً، ومعنى ذلك أن مجموع هذه العلاقات (١٥٧٧) علاقة، فإذا قسم هذا المجموع على عدد آيات السورة البالغة(٢٠٦) آية وجدنا أن كل آية تشتمل على سبع علاقات تقريبا من علاقات السبك – الإحالة – التي تربط بين أجزاء النص ومكوناته، وإذا قسمنا هذا المجموع على عدد الجمل المنتشرة في السورة وجدنا أن كل جمل النص التي تبلغ (١٠٧٢) جملة تقريباً تكاد تشتمل كل واحدةٍ منها على علاقة واحدة – على الأقل – من هذه

Scanned by CamScanner

العلاقات. هذا عن العناصر الإشارية العاملة وما يرتبط بها من عناصر إحالية؛ أما العناصر الإشارية غير العاملة، ويراد بها هنا تلك العناصر التي لا يتبعها ولا يسبقها عناصر إحالية فهي كثيرة ومنتشرة في سورة الأعراف، وليس معنى كون هذه العناصر الإشارية غير عاملة أنها تخلو من صلة بالنص، فبعض العناصر الإشارية لا يخلو من عناصر إحالية تربطها بعنصر إشاري عامل. فعلى سبيل المثال نجد أن لفظ ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۞ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤ / ٥)، يحتوي على عنصر إحالي يربطه بعنصر إشاري عامل، أما العنصر الإشاريُّ المعنيُّ فهو (أهل القرية)، مما يجعلنا نقول بتضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في سبك سورة الأعراف – النص[١].

(أ-١-١-١) **نماذج في سورة الأعراف:**

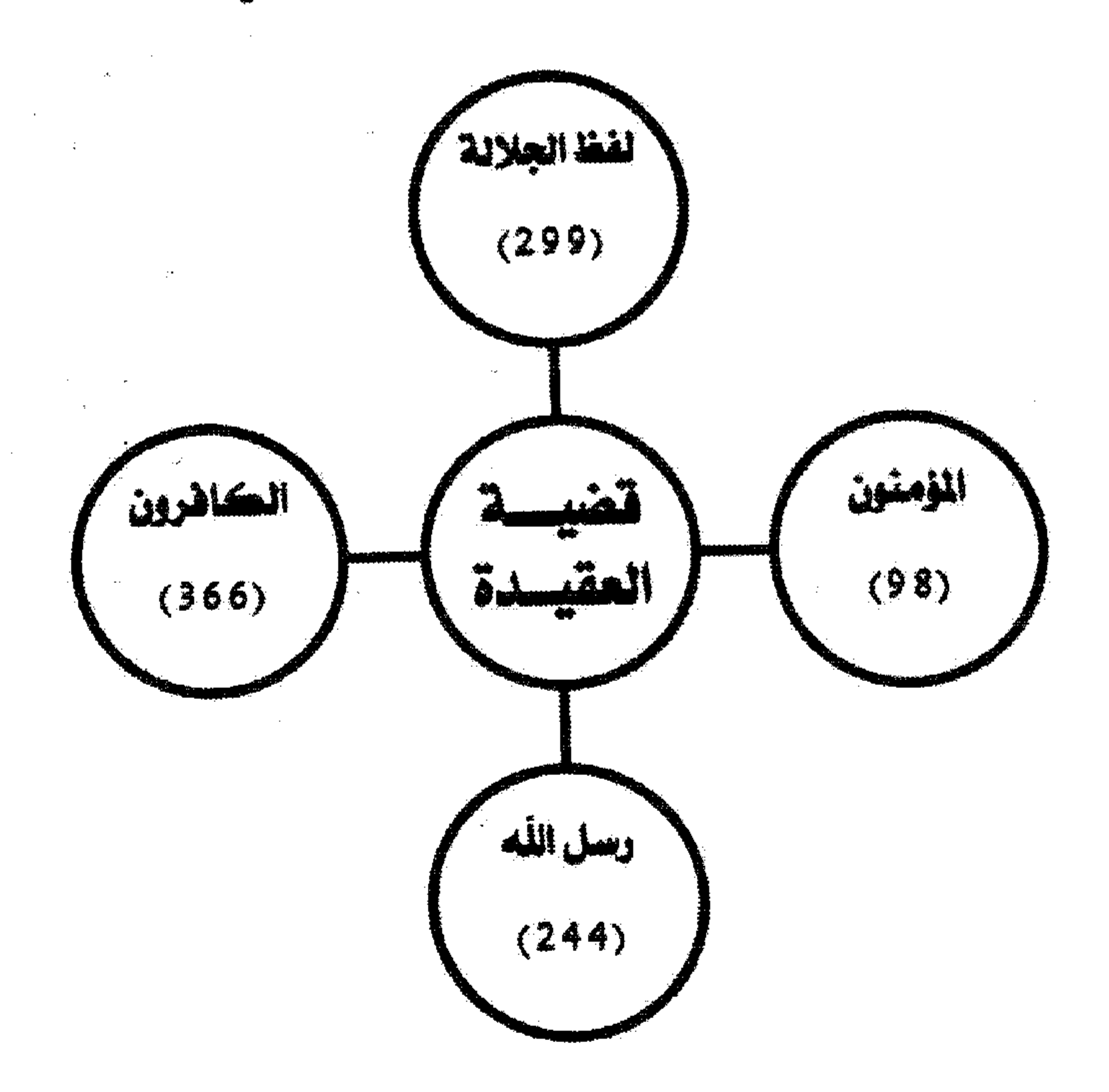
سورة الأعراف تمثل نموذجاً كاملاً للقرآن المكي من خلال الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة – مثل غيرها من السور المكية– وهو موضوع العقيدة الأساسي، «موضوع الألوهية والعبودية». وتعالج هذا الموضوع من خلال أنها أول سورة عرضت بالتفصيل قصص الأنبياء من بداية خلق آدم إلى نهاية الخلق مروراً بنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى- عليهم جميعاً وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام–، وفي قصص كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة تظهر لنا الصراع بين الخير والشر – الإيمان والكفر– وبيان كيد إبليس – لعنه الله- لآدم وذريته على مر العصور من خلال موقف كل قوم من نبيهم. وبالرجوع إلى الإحصائيات الموجودة بالجدول السابق نلاحظ أن الضمائر التي تحيل إلى أهم العناصر

(١) سعيد بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د. ت)، ص ١٤٥:٧٥.

Scanned by CamScanner

الإشارية المحورية في السورة هي كالآتي:

- الضمائر التي تحيل إلى لفظ الكافرين (٣٦٦) ضميراً.
- الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة) ٢٩٩) ضميراً.
- الضمائر التي تحيل إلى رسل الله –عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام– (٢٢٤) ضميراً.
- الضمائر التي تحيل إلى لفظ المؤمنين (٩٨) ضميراً.



فالكل يتجه نحو هذه القضية إما بالتكليف (الله –سبحانه وتعالى–)، أو التبليغ (رسل الله –عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام–)، أو التصديق(المؤمنون)، أو التكذيب(الكافرون). فالضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة يصل مجموعها إلى (٢٩٩) ضميراً، تعود كلها إلى الله– تبارك وتعالى– مع العلم بأن عدد آيات السورة (٢٠٦) آية. ومع ملاحظة توزيع الضمائر نجدها موزعة في السورة كلها، وكونها تعود إلى مرجوع واحد، إذن فهي مرتبطة به شكلاً ودلالةً، فكلها تعود إلى لفظ الجلالة –الله–

تبارك وتعالى- السابق ذكره في بداية السورة، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(الأعـراف: ٣)، ومـن ثـمَّ فهـي مرجعيـة سابقة Anaphoric reference. ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا...﴾ (الأعراف: ٥٧).

﴿... وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾(الأعراف: ٨٧).

﴿..وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف: ١٤٠).

﴿..هُوَ يُحْيِي...﴾ (الأعراف: ١٥٨).

﴿.. لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾(الأعراف: ١٨٧).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ..﴾ (الأعراف: ١٨٩).

﴿..وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦).

*** هذا بالنسبة للضمير المنفصل، **أما بالنسبة للضمير المتصل فمنها قوله تعالى:**

﴿..وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣).

﴿... وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿.. وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ (الأعراف: ٥٦).

﴿..مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).

﴿...وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

﴿..لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

*** **أما بالنسبة للضمير المستتر فمنها قوله تعالى:**

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ...﴾ (الأعراف: ١٢).

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ...﴾(الأعراف: ١٣).

Scanned by CamScanner

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥).

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(الأعراف: ٢٤).

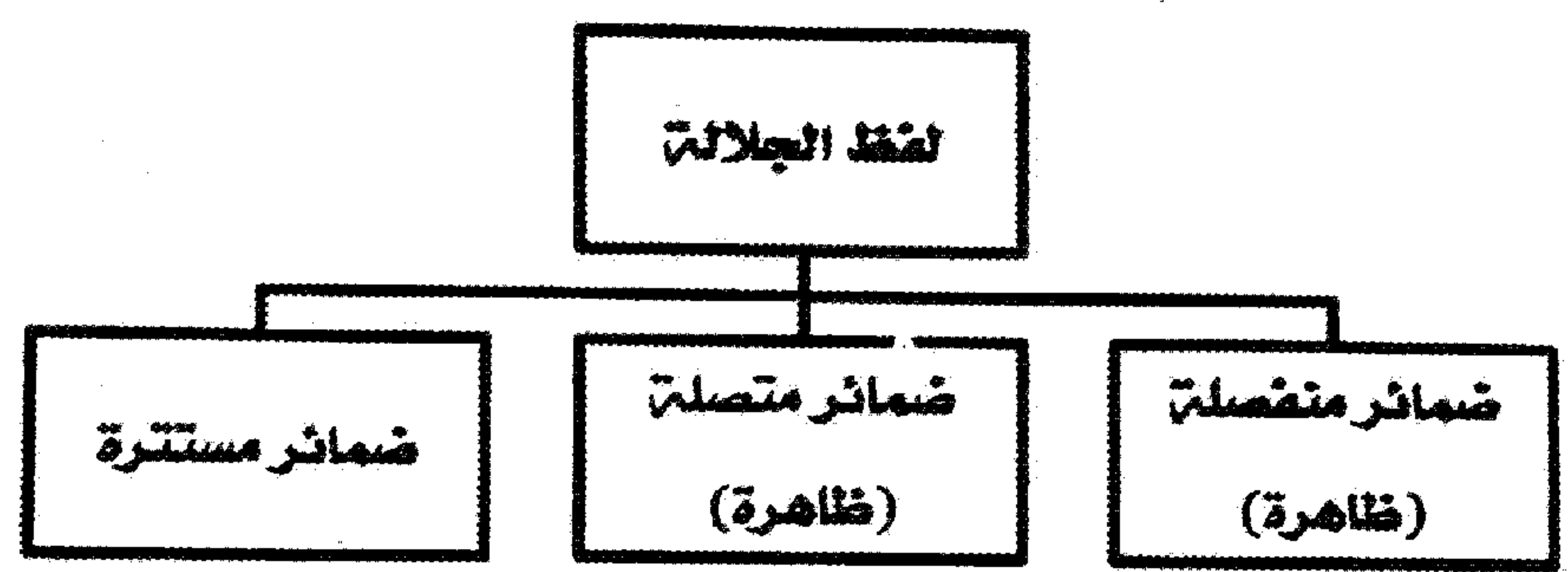
﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٥).

﴿.. قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

﴿.. وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: ٣٣).

وتمثل تلك المرجعية كالتالي:



وتلك الضمائر منها الغائب والمتكلم والمخاطب، ومنها المفرد والجمع، وكلها تعود إليه سبحانه وتعالى[1]. وتوزيعها على آيات السورة أغلبها، حتى الآية الأخيرة يحقق السبك النصيَّ بين هذه الآيات، ونؤكد أن كل الضمائر التي ترجع إلى لفظ الجلالة – سبحانه وتعالى – في هذه السورة مرجعيتها داخلية، لأنه ذكر صراحة في النص، في بداية الآية. في حين نجد الضمائر التي تحيل إلى رسل الله (نوح – هود – صالح – لوط – شعيب – موسى) داخلية سابقة نجد أن الضمائر التي تحيل إلى سيدنا محمد ﷺ كلها خارجية، ذلك لأنه لم يذكر صراحة في النص، لكنَّ هناك كثيراً من الدلائل التي توضح أنها تعود إليه، وهي تمثل السياق الموضح للمرجعية، فالمرجعية

(١) لمزيد من بيان مواضع أنواع الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة. راجع جدول (٢) ضمائر سورة الأعراف بملحق الجداول.

الخارجية .Exophoric ref تكون للذي لم يجر له ذكر في النص.ونماذج الآيات التي توجد بها مرجعية خارجية للنبي ﷺ فمنها:

﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ وَذِكْرَىٰ ..﴾ (الأعراف: ٢).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ...﴾ (الأعراف: ٢٩).

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾(الأعراف: ١٥٨).

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ...﴾ (الأعراف: ١٦٣).

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

﴿...قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي... ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

﴿...يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا وَلَكِنَّ...﴾ (الأعراف: ١٨٧).

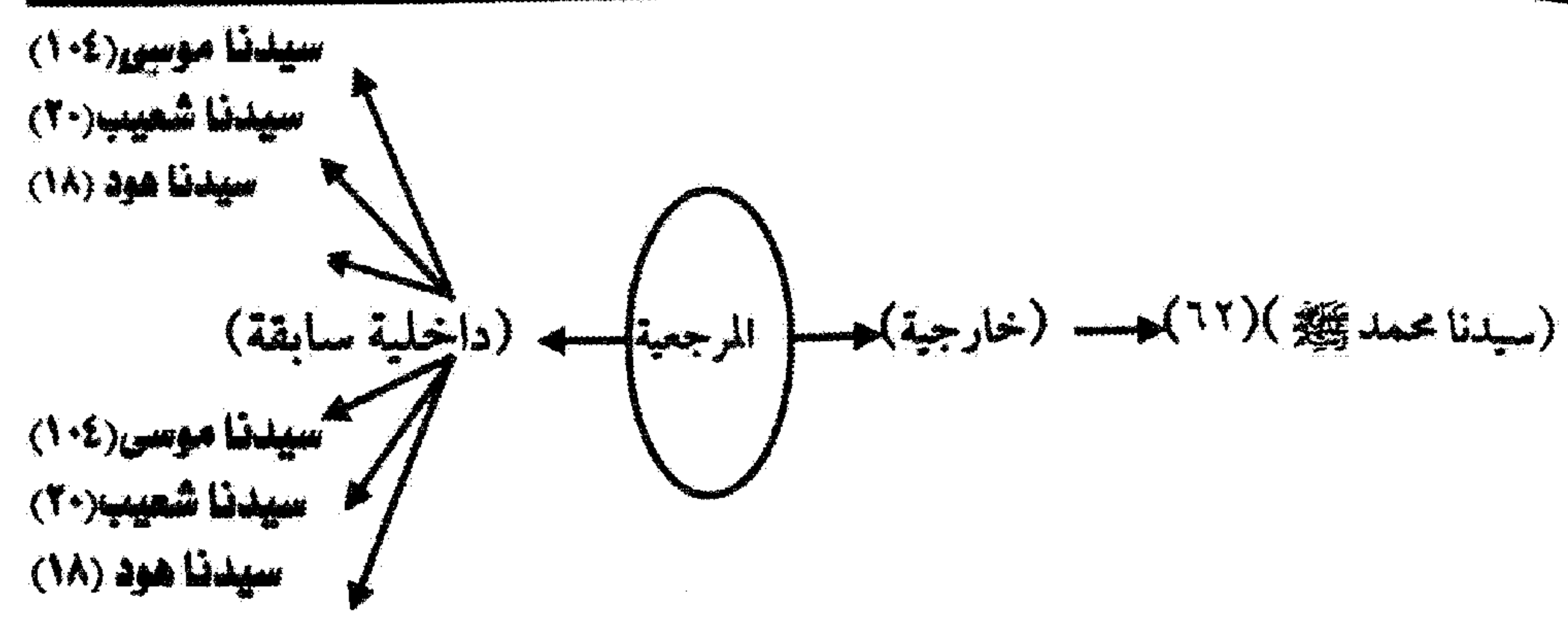
﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ...﴾ (الأعراف: ١٨٨).

﴿...قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ...﴾ (الأعراف: ١٩٥).

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ... ﴾ (الأعراف: ١٩٨).

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

فالخطاب الموجه إليه - ﷺ - لا يخرج عن كونه تكليفاً بالتبليغ أو النذير أو البشير، أو رداً على حجج المشركين أو تسلية له بإخباره أن ما يحدث قد حدث للرسل من قبل، وهذه أمور كلها مرتبطة بقضية السورة الأساسية، قضية العقيدة التي يكذب بها المشركون ويؤمن بها المؤمنون.ويمكن تمثيل مرجعية الضمائر التي تحيل الى رسل الله جميعاً كالتالي:



أما الضمائر التي ترجع إلى المشركين في هذه السورة فإنها تتصل بالذين كذبوا الرسل من قبل، وأشركوا بالله، واستهزءوا برسول الله - ﷺ-، ولم يؤمنوا بآيات الله، والذين كانوا يمثلون أغلبية، وكذا مع أغلب الرسل.... إلخ، والتي أشارت إليها السورة في كثير من الآيات كما هو واضح من الإحصاء السابق ولنعرض بعضاً من الآيات التي تحمل ضمائر تعود إلى المشركين:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٣٧).

﴿.... فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٩).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤١).

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(الأعراف: ٤٧).

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

﴿...وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٥١).

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (الأعراف:٦٦).

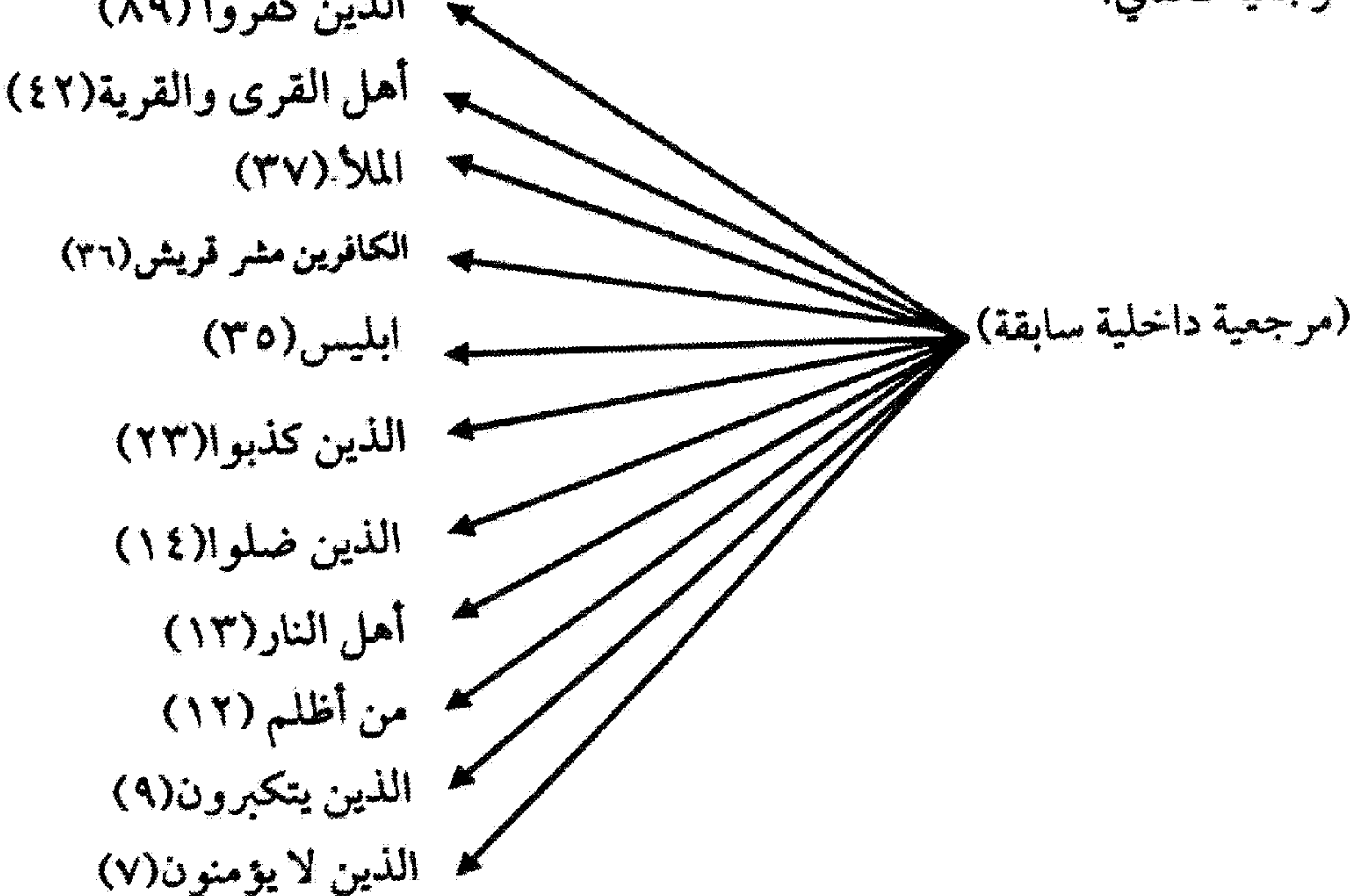
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧٦).

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٩١).

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٤٧).

ومن الملاحظ أن ذكر الكافرين لم يصرح به إلا في الآية ﴿...وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٣٧). ومن ثمَّ فإن المرجعية التي تمثل الضمائر المحالة إلى الكافرين مرجعية داخلية سابقة. ولكن يتجاوز عدد الضمائر التي تحيل إلى الكافرين العدد المذكور لو أضفنا تلك التي تحيل إلى العناصر الإشارية: (أهل القرية – آل فرعون – إبليس – أهل النار –.... الخ)، فإن العدد ضعف العدد السابق وذلك، لأن كل هذه العناصر الإشارية هي صور متعددة لأهل الكفر والشرك. ويمكن تمثيل تلك المرجعية كالتالي:



Scanned by CamScanner

أما الضمائر التي تحيل إلى المؤمنين والتي بلغت حوالي (٩٨) ضميراً، علماً بأنها لم تقتصر على المؤمنين برسول الله - ﷺ - وحدهم، بل تعداه إلى المؤمنين بالأنبياء الآخرين، ومنها:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٢)

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ..﴾ (الأعراف: ٥٥)

﴿..وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ..﴾ (الأعراف: ٥٦)

﴿.. كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨)

﴿.. فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..﴾ (الأعراف: ٧٢،٦٤،٨٣،٨٧)

﴿قَالَ .. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف: ١٥٦)

﴿ ..فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

ونظراً لأن ذكر المؤمنين جاء صراحة في النص في بدايته،، آية رقم ﴿ ٢ ﴾ فإن المرجعية للضمائر التي تحيل إلى المؤمنين هي داخلية سابقة بصفة عامة.

(أ-٢) الإحالة بأسماء الإشارة:

تحدثت فيما سبق عن الإحالة بالضمائر بوصفها رابطاً من الروابط المهمة التي تعمل على مد «جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النص»[1].

---

(١) دراسات لغوية تطبيقية: ص ٨٢.

Scanned by CamScanner

والإحالة بهذا الوصف «هي نوع من ظاهرة الربط في اللغة.... وتتجه اتجاهين: أحدهما إلى ما سبق ذكره، والثاني إلى ما يلي....فأمّا ما سبق ذكره فإن الإحالة إليه تتم بضمير الإشارة «ذا» مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب والتنبيه، وأما ما يلي: فإن الإحالة إليه تتم بالإشارة وبغير الإشارة»[1]. إن القارئ للقرآن الكريم ليجد الأمثلة الكثيرة التي تدل على الربط بالإشارة، وهذه الأمثلة من الكثرة بحيث نستطيع أن نقول: إنه يشيع استخدام أسماء الإشارة في الأسلوب القرآني استخدام الروابط التي تؤدي وظيفة كبرى جوهرية هي تلاحم أجزاء النص وتماسكه[2]. ولنر فيما يلي كيف يمكن أن تؤدي الإحالة بأسماء الإشارة هذه الوظيفة الجوهرية الكبري المتمثلة في العمل على تلاحم أجزاءالنص وتماسكه.

---

(١) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط ٢، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٣٦.
(٢) دراسات لغوية تطبيقية، ص ١٤٠.

Scanned by CamScanner

(أ-٢-١) سورة النساء:

من خلال جدول إحصاء اسم الإشارة الآتي لسورة النساء: يتبين لنا الآتي:

- عدد أسماء الإشارة الإجمالي في سورة النساء = (٣٥) اسماً.
- عدد أسماء الإشارة للبعيد =(٣٣) اسماً.
- عدد أسماء الإشارة للقريب = (٢) اسماً.

م	اسم الإشارة	أرقـــام الآيـــات	نوعه	عدد التكرار
١	ذلك	٣-١٢-١٣-٢٤-٣٠-٥٩-٧٠ -١٣٣-١٥٠-١٥٣-١٦٩	للبعيد	١٣
٢	أولئك	١٨-٥٢-٦٣-٦٩-٩١-٩٧-٩٩- ١٢١-١٢٤-١٤٦-١٥١-١٥٢-١٦٢	للبعيد	١٤
٣	هذا – هذه	٧٥-٧٨	للقريب	٢
٤	تلك	١٣	للبعيد	١
٥	هؤلاء	٤١ – ٧٨ – ١٠٩ – ١٢٣	للبعيد	٥
	الإجمالي	٣١ آية		٣٥

(أ-٢-١-١)- نماذج في سورة النساء:

- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ⑪ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن

بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (النساء: ١١ – ١٣). فقوله تعالى – (تلك) رابط إحالي يحيل على عنصر إشاري سابق اختلف فيه. فقيل: إنه أحوال المواريث، وقيل: إنه كل ما ذكره الله من أول سورة النساء إلى هاهنا، من بيان أموال اليتامى، وأحكام الأنكحة، والمواريث، وحجة القول الأول: أن الضمير يعود إلى الأقرب، وحجة الثاني أن عوده إلى الأقرب إذا لم يمنع من عوده إلى الأبعد مانع، يوجب عوده إلى الكل[1]. ذكر القولين الرازي[2]، وأبو حيان[3]، والألوسي[4]، وذكر الأول الطبري[5]، وابن عطية[6]، وذكر الثاني الزمخشري[7]. والراجح –في ظني– القول الثاني، حيث إنَّ حدود الله هي الشرائع التي لا يجوز للمكلَّف أن يتخطاها بغير حق، وهذا القول فيه عموم، والله أعلم.

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٩/ ٢٣٥.

(٢) السابق نفسه ٩/ ٢٣٥.

(٣) أبو حيان (محمد بن يوسف)، البحر المحيط، ت: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٣م، ٣/ ٢٠٠.

(٤) روح المعاني ٤/ ٢٣٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨/ ٦٩.

(٦) ابن عطية، المحرَّر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٢/ ٢٠.

(٧) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ١/ ٤٧١.

Scanned by CamScanner

- ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(النساء: ١٤١ — ١٤٣). فـ (ذلك) إشارة إلى الكفر والإيمان المفهومين من ذكر الكافرين والمؤمنين في الآيتين: (١٣٩— ١٤١) من سورة النساء[١]. وعن الرابطين الآخرين: (هؤلاء) و (هؤلاء) فالمراد بأحد المشار إليهم: المؤمنون، وبالآخر:الكافرون[٢].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ٢٩، ٣٠).

فـ (ذلك) رابط إحالي، يحيل على عنصر إشاري سابق وهو عقاب الله لمن يأكل أموال الناس بالباطل وظلما بأن يدخله الله النار جزاءً بما أكل.

من خلال النماذج السابقة يتبين أن الأدلة فيها إحالة على السابق، وأن الضمائر — أسماء — الإشارة كعناصر إحالية عقدت وشائج متينة بين أجزاء النص، متجاوزةً حدود المفردات داخل الجملة الواحدة، إلى مفردات وجمل كثيرة، ولم يكن من الممكن حدوث سبك النص وتلاحم أجزائه دون وجود هذه الروابط.

(١) الكشاف ١/ ٥٨٠، البحر الميحط ٣/ ٣٩٤، مفاتيح الغيب ١١-٨٦.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٩٤، روح المعاني ٥/ ١٧٧.

(أ-٢-٢)- سورة الأعراف:

ومن خلال جدول إحصاء إسم الإشارة الآتي لسورة الأعراف:

م	اسم الإشارة	أرقام الآيات	نوعه	عدد التكرار
١	ذلك	٢٦-٣٢-٤٠-٤١-٥٧-٥٨-٨٥-١٤١-١٤٦-١٥٢-١٦٣-١٦٨-١٧٤-١٧٦	للبعيد	١٤
٢	أولئك	٨-٩-٣٦-٣٧-٣٨-٤٢-١٥٧-١٧٨-١٧٩	للبعيد	١٢
٣	هذا – هذه	١٩-٢٠-٤٣-٥١-٧٣-١٢٣-١٣١-١٥٦-١٦١-١٦٩-١٧٢-٢٠٣	للقريب	١٢
٤	تلك	٢٢-٤٣-١٠١	للبعيد	٣
٥	هؤلاء	٤٩-١٣٩	للبعيد	٢
٦	هنالك	١١٩	للبعيد	١
	الإجمالي	٤١ آية		٤٤

يتبين لنا الآتي:

- عدد أسماء الإشارة الإجمالي في سورة الأعراف =(٤٤) اسماً.
- عدد أسماء الإشارة للبعيد =(٣٢) اسماً.
- عدد أسماء الإشارة للقريب = (١٢) اسماً.

ويلاحظ على هذه النسب أنها طبيعية أن يكون الأغلبية للبعيد، لأن جُلَّ المشهد في سورة الأعراف محكيٌّ.

(أ-٢-٢-١)- نماذج في سورة الأعراف:

- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣). فـ(هذا) إحالة إلى جزء كبير من مشهد من مشاهد قصة موسى – عليه السلام –، ويتمثل هذا الجزء في صنيع السحرة

مع موسى عليه السلام ويحكيه قوله- تعالى: ﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٥ – ١٢٠).

- ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩). (هؤلاء) إحالة إلى السابق المتمثل في القوم الذين يعكفون على أصنام لهم

- ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٦). (ذلك) إحالة إلى السابق، ويتمثل هنا في أولئك الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق والذين يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً.

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) فـ(أولئك) إحالة إلى السابق المتمثل في أولئك الذين ءامنوا بموسى – عليه السلام- ثم ءامنوا بسيدنا محمد- ﷺ -، وقد منَّ عليهم بنعمة الإيمان والتقوى فنصروا الرسول – ﷺ – واتبعوه وعزروه وءامنوا به.

(أ-٢)- الإحالة بالاسم الموصول:

الاسم الموصول له دور كبير في سبك جمل النص، فاختيار ضمير موصول ليحل محل موقع ضمير شخصي، سببه مطابقة القصد واختلاف اللفظ، وكلا الضميرين في النهاية عِوَض عن إعادة الذكر[1]. ويقول – أيضاً – تمام حسان «أما ضمير الموصول فقد يصف اسماً ظاهراً متقدم المرتبة واللفظ فيكون الظاهر مرجعاً له، وقد لا يصف ظاهراً، فتكون الصلة أيضاً للمقصود بالموصول فهي تحدِّده، كما تحدد الصفة الموصوف، أي كما يتحدَّد المنعوت بالنعت»[2]. وفيما يلي - الجدول الذي يوضح الأسماء الموصولة في كلتا السورتين - (النساء والأعراف) كالآتي:

م	الاسم الموصول	سورة النساء وآياتها ١٧٦ آية	سورة الأعراف وآياتها ٢٠٦ آية
١	للعاقل	٨٨	٧٧
٢	لغير العاقل	٤٩	٣٥
٣	حرفي	٣٩	٥٠
٤	حرفي / اسمي	٦	٤
	الإجمالي	١٨٢	١٦٦

(أ-٢-١) سورة النساء:

- ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤). فاسم الموصول «الذين» في الآية «يحيل علي العنصر الإشاري (المؤمنين) المتخلفين عن أحد»[3]، وقيل: «هم (المنافقون) الذين وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا

(١) البيان في روائع القرآن، ١/ ١٤١.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط ٥، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص١١.

(٣) البحر المحيط، ٤ / ١٩٥

Scanned by CamScanner

الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد»[1]. والراجح - عندي- أنهم المؤمنون المتخلفون؛ لأن الآية اللاحقة لها يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(النساء: ٧٥)، فيها استفهام للحث والتحريض على الجهاد في سبيل الله، وتخليص المستضعفين(٢)، وهذا الحث والتحريض لا يكون إلاّ لمن اطلع الله على قلوبهم فوجد منهم الإخلاص والإيمان، ومن ثمَّ فهي محالة إلى لاحق.

- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(النساء: ٧٥). فاسم الموصول (الذين) الأول يحيل على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وهي إحالة إلى سابق.

- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء: ٧٦) فاسم الموصول (الذين) الأول يحيل على المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله، (الذين) الثاني يحيل على الكافرين الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت، فهي إحالة إلى لاحق.

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

(النساء: ٧٧). فاسم الموصول «يحيل على المؤمنين الراغبين في القتال، وقيل: المنافقين لأنهم يظهرون الرغبة فيه، وقيل: أناس في الزمان المتقدم، أو أسلموا قبل فرض

---

(١) روح المعاني، ٥ / ٨١

(٢) البحر المحيط، ٤ / ١٩٥

القتال»[1]. والراجح – عندي – أنهم المؤمنون؛ لأن الناس في قوله – سبحانه – (يخشون الناس) هم أهل مكة، كما قال الجمهور[2].

(أ-٣-٢) سورة الأعراف:

- يقول- سبحانه وتعالى - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾(الأعراف: ٨٨).

فاسم الموصول (الذين) يحيل على العنصر الإشاري الملأ من قوم سيدنا شعيب وكفروا بما جاء به، وهي إحالة إلى سابق.

- وكذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾(الأعراف: ٩٠). فـ(الذين) يحيل على الملأ الذين كفروا من قوم سيدنا شعيب.

- وقوله تعالى:﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾(الأعراف: ٩٢).فـ (الذين) الأول والثاني يحيل على الملأ الذين كذبوا سيدنا شعيب. «وقد يتم الربط بالصفة التي دخلت عليها «أل» الموصولة لتؤدي الغاية التي من أجلها استعمل ضمير الموصول السابق»[3].

- ويقول-عزوجل: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(الأعراف: ١٠٣). فالتقدير: عاقبتهم.

يتبين لنا مما سبق أن وظيفة ضمير الصلة ليست للإحالة فقط، ولكنه يربط كذلك بما سبق وبما جاء بعده؛ ليحدث الربط إطلاقا.

---

(١) الكشاف، ١ / ٥٦٨

(٢) روح المعاني، ٥ / ٨٥

(٣) البيان في روائع القرآن، ١ / ١٤٣.

Scanned by CamScanner

(ب) الحذف «Ellpsis»

الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية «حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكرَّرة في الكلام، إذا كان الباقي مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى، ولا يتم ذلك إلا بوجود قرائن لغوية أو مقامية تومئ إليه، وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره»[1]. وقد أولى علماؤنا العرب الحذف عناية خاصة[2]، إذ هو من مقاصدهم في كلامهم، طلباً للإيجاز والاختصار، وإن كانت عنايتهم بالتطبيق أقوى من عنايتهم بالتنظير. والكشف عن المحذوف يكون بإمعان النظر في البنية العميقة التي شكلت البنية السطحية للنص، والتي تخضع بدورها للسياق، ولا يشترط أن يكون العنصر المحذوف مشابهاً تماماً للمذكور، فقد يُوسَّع أو يُعدَّل، وقد يفهم المحذوف من سياق الموقف الخارجي كما سيأتي في فصل السياق – إن شاء الله –.

---

(١) ينظر:

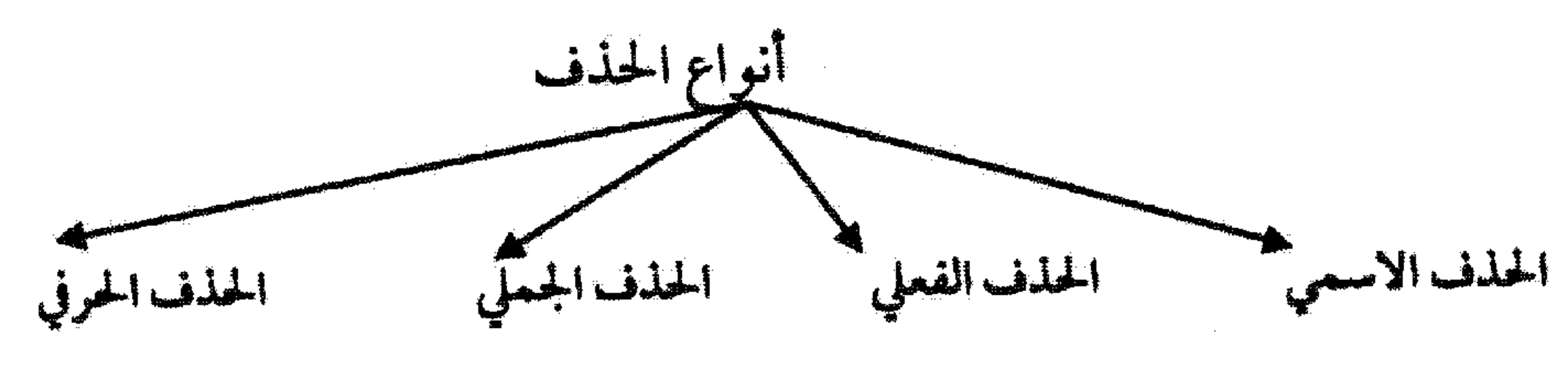
- طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، ط١، الإسكندرية، (د.ت)، ص٤
- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص١٤٩.

(٢) ينظر:

- سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٩م، ١/ ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨.
- ابن جني، الخصائص، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، القاهرة، ١٩٩٩م، ٢/ ٣٦٢.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت)، ٢ / ١٥٨:١٥٦.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط ٣، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص ١٤٦.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م، ٣/ ١١١.

Scanned by CamScanner

والعلاقة بين الحذف والإحالة أنَّ الحذف يمثل علاقة مرجعية لما سبق Anaphora، نظراً لوجود دليل أو مرجع يسهم في تقدير المحذوف، وقد تكون المرجعية خارجية Exophora، وذلك في سياقات معينة، حيث يقدِّم لنا سياق الموقف المعلومات التي نحتاج إليها في تفسير الحذف، ولكن الحذف الخارجي يخرج عن تماسك النص الداخلي، إلى تماسك النص مع السياق. وتسهم معرفة كل من القارئ والكاتب بالأعراف اللغوية في نجاح ظاهرة الحذف، الذي يقوم بدوره في سبك جمل النص «فإدراك الكاتب لفهم القارئ يجعله يلجأ للحذف، وهذا الحذف له دور مهم في الاقتصاد اللغوي الذي يميز النصوص البليغة، كما ينفي عن المتلقي الملل والرتابة نتيجة تكرار عنصر لا فائدة منه، ويفجِّر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه لإدراك المحذوف المراد»[1].



والجدول الآتي يبين إحصاء لأنواع الحذف[2] في سورتي النساء والأعراف على النحو التالي:

---

(١) ينظر
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢ / ٢٤٥.
- البرهان في علوم القرآن ٣ / ١٠٥:١٠٤.

(٢) انظر:
- محيي الدين درويش: إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، ط ٤، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ سورة النساء والأعراف.
- الجدول في إعراب القرآن، سورة النساء والأعراف.

م	نوع الحذف	آيات سورة النساء		آيات سورة الأعراف	
		عدد الآيات	عدد الحذف	عدد الآيات	عدد الحذف
١	الحرفي	١٠	١٠	١	١
٢	الاسمي	٦٣	٨٣	١٢	١٥
٣	الفعلي	١١	١٣	٨	٨
٤	الجملي	٣٦	٤٠	٤٠	٤٤
٥	**الإجمالي**	**١٢٠**	**١٤٦**	**٦١**	**٦٨**

مع مراعاة أنه قد تم استبعاد الضمائر في الحذف الاسمي، لأنه قد تم من قبل في الإحالة بالضمائر.

Scanned by CamScanner

(ب-١) سورة النساء:

(ب-١-١) الحذف الحرفي:

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).المصدر المؤول (أن يأتين....) «في محل جر بحرف جر محذوف، والتقدير إلا في إتيان الفاحشة»[١]، فالمرجعية داخلية لاحقة.

• ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠). والمصدر المؤول (أن يقاتلوكم....) «في محل جر بحرف جر محذوف، وتقديره: عن أن يقاتلوكم»[٢]، أي: عن مقاتلكم، والمرجعية داخلية لاحقة.

• ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧). والمصدر المؤول(وترغبون أن تنكحوهنَّ) «منصوب بنزع الخافض، وهو «في»، أي: في أن تنكحوهنَّ لجمالهنَّ ومالهنَّ، أو «عن»، أي: ترغبون عن نكاحهنَّ لدمامتهنَّ وفقرهنَّ، وهو من الكلام الموجه، وهو الذي يحتمل معنيين متضادين»[٣]،والمرجعية داخلية لاحقة[٤].

(١) الجدول في إعراب القرآن ٤ / ٤٧٠.
(٢) إعراب القرآن وبيانه ٢ / ٢٩٠.
(٣) نفسه، ٢ / ٣٣٣.
(٤) للمزيد انظر الآيات: ٣-١٩-١٠٢-١٠٤-١٢٧-١٢٨-٩٧-٩٠-١٠١-١٧١.

Scanned by CamScanner

(ب-١-٢) الحذف الاسمي:

- ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١). «الخطاب للمؤمنين، وفي أولادكم: هو على حذف مضاف، أي: أولاد موتاكم، وتقدير الجمهور: يوصيكم الله في شأن أولادكم الوارثين»[١]. والمرجعية داخلية لاحقة، لأن المواريث وأحكامها هي التي بينت هذا الشأن.

- ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء: ١٢). على تقدير «صفة لمبتدأ محذوف تقديره: للذكر حظٌّ مثل حظ الأنثيين»[٢]. والمرجعية داخلية لاحقة، لأن كلمة «حظ» الثانية تدل على حذف كلمة «حظ» الأولى.

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(النساء:٤٧). على حذف مضاف أي: «من قبل أن نطمس عيون وجوه»[٣]، أو على تقدير حذف مضاف إليه أي: «من قبل أن نطمس وجوه قوم»[٤]. والمرجعية داخلية سابقة، لأن قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ تدل على المحذوف.

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٤٤، روح المعاني ٤ / ٢١٦.

(٢) نفسه ٤ / ٤٥.

(٣) البحر المحيط ٤ / ٤٥، روح المعاني ٤ / ١٥٦

(٤) الكشاف ١ / ٥٥١

• ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٠). المعنى: فبظلم عظيم، أو فبظلم أي ظلم، «وحذف الصفة لفهم المعنى جائز»[١]، فبأيّ ظلمٍ منهم والمعنى: «ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه»[٢]. والمرجعية داخلية سابقة، ويدل عليها كل ما صدر من بني إسرائيل كما وضحتها الآيات السابقة من الآية (١٥٥: ١٥٩)، وجائز أن تكون المرجعية لاحقة على حسب ما تدل عليه الآيات التالية من الآية (١٥٩: ١٦١)[٣].

(ب-١-٣)- الحذف الفعلي:

• ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٣٣) والتقدير: «وجعل لكل إنسان وارثاً مما ترك، فيتعلق (مما) بـ(ما) في معنى موالي من معنى الفعل، أو بمضمر يفسره المعنى، والتقدير: يرثون مما ترك، أو أن يكون التقدير: وجعلنا لكل إنسان موالي، أي وارثاً، ثم أضمر فعل، أي: يرث الموالي مما ترك الوالدان»[٤]. والمرجعية داخلية لاحقة.

• ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء: ١٥١). أي: «حق ذلك حقاً، فـ«حقاً» مفعول مطلق لفعل مضمر»[٥]، ومرجعيته داخلية لاحقة.

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٣٢٢

(٢) الكشاف ١ / ٦٢٣

(٣) للمزيد انظر الآيات: ٤-٥-٦-٧-٩-١٠-١١-١٢-١٤-١٥-١٧-١٨-١٩-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٩-٣٣-٣٥-٣٦-٣٧-٤٣-٤٦-٤٧-٥٦-٥٧-٥٩-٦٢-٦٩-٧٠-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٣-٨٩-٩١-٩٢-٩٤-١٠١-١٠٢-١٠٨-١٢٣-١٢٤-١٢٦-١٢٨-١٣١-١٤٤-١٤٨-١٥٠-١٥٣-١٥٥-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦٥-١٧٠-١٧١.

(٤) البحر المحيط ٤ / ١١٦.

(٥) الكشاف ١ / ٦١٧، البحر المحيط ٤ / ٣١١.

Scanned by CamScanner

- ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤). انتصاب ورسلاً على إضمار فعل أي: «قد قصصنا رسلاً عليك، فهو من باب الاشتغال»[1]. أو «نصب مضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك، أو بما فسره قصصناهم»[2]، والمرجعية داخلية، ولكنها قد تكون لاحقة على الرأي الأول، وقد تكون سابقة على الرأي الثاني.

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧٠). في قوله: «(خيراً لكم) على مذهب الخليل وسيبويه أن التقدير: وأتوا خيراً لكم، وهو فعل يجب إضماره»[3]. وقال الزمخشري: «أي اقصدوا أو ائتوا أمراً خيراً لكم»[4]، فالمرجعية داخلية سابقة[5].

(ب-١-٤)الحذف الجملي:

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩). شرط وجوابه محذوف، «أي فردوه إلى الله والرسول»[6]، والمرجعية داخلية سابقة.

- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥). وفي الكلام حذف

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٣٢٨.

(٢) الكشاف ١ / ٦٢٤.

(٣) البحر المحيط ٤ / ٣٢٩.

(٤) الكشاف ١ / ٦٢٦.

(٥) للمزيد انظر الآيات: ١٢-٢٥-٣٣-٣٦-٣٩-٤٦-٦٤-١٢٢-١٥١-١٦٢-١٧١.

(٦) الكشاف ١ / ٥٥٦، البحر المحيط ٤ / ١٧٥.

Scanned by CamScanner

والتقدير: «فتقضي بينهم»[1]، والدليل على هذا المحذوف -قوله تعالى -: (مما قضيت)، فالمرجعية لاحقة. أو التقدير: «فتحكم بينهم»[2]، فالمرجعية سابقة. وفي الكلام حذف والتقدير: «فتقضي بينهم»[3]، والدليل على هذا المحذوف قوله تعالى: (مما قضيت)، فالمرجعية لاحقة. أو التقدير: «فتحكم بينهم»[4]، فالمرجعية سابقة.

- ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٦٧). قال الزمخشري: «وإذا جواب السؤال مقدر كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت؟ فقيل: وإذا لو ثبتوا لآتيناهم، لأن إذا جواب وجزاء انتهى»[5]. وظاهر قول الزمخشري: إذا جواب وجزاء أنها تكون للمعنيين في حال واحد عل كل حال، وهذه مسألة خلاف، فالمرجعية داخلية سابقة.
- ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٧٢). وفي الكلام حذف، والتقدير: «ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله»[6]، أو: «ولا الملائكة المقربون يستنكفون من العبودية لله»[7]، والمرجعية داخلية سابقة[8].

---

(١) البحر المحيط ٤ / ١٨١.

(٢) روح المعاني ٥ / ٧١.

(٣) البحر المحيط ٤ / ١٨١.

(٤) روح المعاني ٥ / ٧١.

(٥) البحر المحيط ٤ / ١٨٤.

(٦) نفسه، ٤ / ٣٣٢.

(٧) الكشاف ١ / ٦٣٠.

(٨) للمزيد انظر الآيات: ٩-١١-١٢-١٩-٥٩-٦٧-٧٢-٧٣-٧٦-٧٨-٨٠-٨١-٨٤-٨٦-٨٩-٩٣-٩٤-١٠١-١٠٢-١٠٩-١١٨-١١٩-١٢٣-١٢٧-١٢٩-١٣١-١٣٥-١٤٧-١٤٩-١٥٣-١٥٥-١٥٩-١٦١-١٧٠-١٧١-١٧٢.

(ب-٢) سورة الأعراف:

(ب-٢-١) الحذف الحرفي:

- ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٦). حذف أداة النداء (ربنا)، وذلك «لاستشعار السحرة بمعية الله وقربه – سبحانه – منهم»[1]، فالمرجعية داخلية سابقة.

(ب-٢-٢)- الحذف الاسمي:

- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٣٨).(في أمم) على تقدير محذوف وهو صفة لأمم أي: في أمم سابقة في الزمان[2]، أو حذف مضاف أي: في جملة أمم[3]، وقال أبو حيان: «يعني كفار الأمم»[4]، والمرجعية داخلية سابقة.

- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(الأعراف: ١٠٠). مفعول «نشاء» محذوف، دل عليه جواب «لو»، والجواب: أصبناهم بذنوبهم، أي: إصابتنا لهم بذنوبهم[5]، والمرجعية داخلية سابقة.

- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ١٢٣). ومفعول (تعلمون) محذوف، أي: ما يحل بكم[6]، أو: عاقبة ما فعلتم[7]، والمرجعية داخلية سابقة.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن ٩ / ٤٢.
(٢) البحر المحيط ٥ / ٣٤٢.
(٣) الكشاف ٢ / ٩٨.
(٤) روح المعاني ٨ / ١١٦.
(٥) البحر المحيط ٥ / ٤٠٥.
(٦) نفسه، ٥ / ٤٢٢.
(٧) روح المعاني ٩ / ٢٧.

Scanned by CamScanner

• ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠). تمييز اثنتى عشرة محذوف، لفهم المعنى، وتقديره،: اثنتى عشـرة فرقةً، والمراد: «وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع أسباطاً موضع قبيلة»[1]، فالمرجعية داخلية سابقة[2].

(ب-٢-٣) الحذف الفعلي:

• ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩). (وأقيموا) معطـوف عـلى أمر محـذوف تقديره: «فأقبلوا وأقيموا»[3]، فالمرجعية داخلية سابقة.

• ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ٣٠). جوز أبو البقاء أن يكون (فريقاً) الثانية مفعول أضلَّ مضمر[4]، وقال الزمخشـري: «انتصاب قوله تعالى: (وفريقاً) بفعل يفسـره ما بعده، كأنه قيل: وخذل فريقاً حقَّ عليهم الضلالة انتهى»[5]، والمرجعية داخلية سابقة.

• ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٧٢). فحذف الفعل «لدلالة السياق عليه، يعني والذين آمنوا معه»[6]، فالمرجعية داخلية سابقة.

---

(١) الكشاف ٢ / ١٥٩، البحر المحيط ٥ / ٤٧١.
(٢) للمزيد انظر الآيات: ٢-٣٧-٧٠-٩٢-١١١-١٤١-١٤٢-١٤٤-١٦٠-١٧٧-١٨٠-١٨٥.
(٣) البحر المحيط ٥ / ٣٣٢.
(٤) البحر المحيط ٥ / ٣٣٣.
(٥) الكشاف ٢٠ / ٩٥.
(٦) نفسه ٢٠، / ١١٨.

Scanned by CamScanner

• ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٠). قال الزمخشري: «وأرسلنا لوطا[1]، أي بإضمار فعل، وقال أبو حيان: وانتصب لوطاً بإضمار العامل، بمعنى واذكر لوطاً»[2]، والمرجعية داخلية سابقة على الاحتمال الأول، ولاحقة على الاحتمال الثاني[3].

(ب-٢-٤) الحذف الجملي:

• ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٠). جواب الشرط محذوف؛ لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وجب مضيّ فعل الشرط، وقال الزمخشري: «إنّ جواب القسم سادّ مسدّ الجوابين»[4]، فالمرجعية داخلية سابقة.

• ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٤). والتقدير: «أي نعم إن لكم لأجراً، و(وإنكم) عطف هذه الجملة على الجملة المحذوفة، كأنه قال إيجاباً لقولهم: إنّ لنا لأجراً: نعم إن لكم لأجراً، وإنكم لمن المقربين»[5]، والمرجعية داخلية سابقة.

• ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٧). وفي الكلام حذف قبل الجملة الفجائية «أي فألقاها فلقفته، أو فألقاها فصارت حيةً فإذا هي..... إلخ، وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى -عليه السلام- إلى الإلقاء وبغاية سرعة الإنقلاب... »[6]، والمرجعية داخلية سابقة.

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٣٧٩.
(٢) نفسه، ٥ / ٣٨٧.
(٣) للمزيد انظر الآيات: ٣٠-٨٠-٩٦-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٧-١٧٢.
(٤) الكشاف ٢ / ١٣١، البحر المحيط ٥ / ٤١٥.
(٥) البحر المحيط ٤ / ٤٠٠، والكشاف ٢ / ١٢٤.
(٦) روح المعاني ٩ / ٢٥.

Scanned by CamScanner

• ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨٩). قال أبو حيان: «متعلق الدعاء محذوف يدل عليه جملة جواب القسم، أي دعوا الله ورغبا إليه في أن يؤتيهما صالحاً ثم أقسما على أنهما يكونان من الشاكرين إن آتاهما صالحاً»[1]. فالمرجعية داخلية سابقة[2]. يتضح جلياً دور الحذف في سبك الجمل والآيات عن طريق إثارة الذهن لملأ الفراغات، وتقدير المحذوف، حيث إن تقدير المحذوف فيه تكرار معنوي للمذكور، كما أن هناك ربطاً بين المحذوف وبين ما يدل عليه. فمما سبق يتبين لنا أهمية حذف الحرف والاسم والفعل والجملة – خاصة الحذف الجملي من أبرز مواضع الحذف اتصالاً بالنص عكس الحذف الاسمي والفعلي – في تحقيق السبك النصيّ لهاتين السورتين – النساء والأعراف – وذلك لينضم الحذف مع غيره من وسائل السبك في السورتين ولا يقل أهميةً عنها.

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١١.

(٢) للمزيد انظر الآيات: ١٦-١٨-١٩-٢١-٢٢-٢٧-٣٩-٤٣-٤٩-٧٤-٧٧-٨٣-٨٥-٨٨-٩٠-٩٣-١٠١-١٠٤-١٠٦-١١٢-١١٣-١١٥-١١٧-١٢٣-١٣٤-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٩-١٥٠-١٥٥-١٥٨-١٦٩-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٦-١٧٩-١٨٩-١٩٤.

Scanned by CamScanner

(ج) **العطف أو الربط (Conjunction).**

إذا كان للإحالة والحذف دور مهم في سبك النص، وترابط أجزائه فإن حروف العطف أو الربط دوراً لا يقل أهمية عن سابقيه. فحروف العطف تشكل آلية مهمة من آليات سبك النص، حيث تقوم هذه الحروف بربط الألفاظ الأفراد بعضها ببعض، كما تربط الجمل، والتراكيب، والفقرات، والنصوص بعضها ببعض، «العطف إذاً موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك»[1]. أضف إلى ذلك «أن هذا الربط الذي تقوم به هذه الأدوات يقوم على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، فيفيد الرابط أحياناً مجرد الترتيب في الذكر، فمثال ذلك حرف الواو في العربية. وقد يقوم الرابط أحيانا كذلك على الجمع ولكنه يدخل معنى في آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى، أو بين المفرد والمفرد مثل (الفاء) و(ثم) و (أو) وغيرها في العربية حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين»[2].

بيد أنَّ سبك النص، وترابط أجزائه ليس حكراً على وجود حرف العطف وحده، حيث «يقوم حرف العطف مع التطابق في العلاقة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة، مثل: اختصهم، واشترك،...... إلى آخر هذه الأفعال..... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف والمعطوف عليه، فقد تكون على سبيل الموافقة في الحكم إثباتاً

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٤٥.

(٢) نسيج النص، ص٣٧ بتصرف.

Scanned by CamScanner

أو نفياً أو المخالفة فيه»[1]. فالسبك نابع من وجود حرف العطف، والعلامة الإعرابية، ومعنى حرف العطف، وإثبات الحكم أو نفيه عن أحد المتعاطفين. وبالرجوع إلى ملحق الجداول- جدول (٣) حروف العطف لسورة النساء، وجدول (٤) حروف العطف لسورة الأعراف - نستطيع من خلالهما أن نبين حصراً لأدوات العطف في سورتي النساء والأعراف[2] كالتالي:

السورة	حرف العطف	للعطف	للاستئناف	بين الجمل	بين المفردات	الإجمالي
النساء (١٧٦)آية	الواو – الفاء –ثم- أو	٤١٥	١٢٦	٤٤٨	٩٣	٥٤١
الأعراف (٢٥٦)آية	الواو – الفاء –ثم – أو	٣٨٧	٧١	٣٩٨	٦٠	٤٥٨

يتبين من خلال الجدول السابق الآتي:

- إجمالي عدد حروف العطف في سورة النساء حوالي (٥٤١) حرفاً.
- علماً بأنَّ عدد آيات سورة النساء = (١٧٦) آية.
- أي أنه لا تخلو آية من أداة ربط من حروف العطف أو أحياناً حرفين، كما أن حروف العطف تربط بين الجمل والمفردات وكذلك الفقرات.
- إجمالي عدد حروف العطف في سورة الأعراف حوالي (٤٥٨) حرفاً.
- علماً بأن عدد آيات سورة الأعراف = (٢٠٦) آية.
- أي أنه لا تخلو كذلك آية من آيات سورة الأعراف من حرف أو أكثر من حروف العطف بنوعيها، عطف الجمل أو المفردات وكذلك الفقرات.

(١) محمد حماس، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٩٣.

(٢) انظر:

- إعراب القرآن وبيانه، سورة النساء، ٢/ ١٤٧ : ٣٩٦.
- الجدول في إعراب القرآن، سورة النساء، ٤/ ٤٢٨:٦/ ٢٦١.

Scanned by CamScanner

نماذج من سورتي النساء والأعراف:

(ج-١)- وصل المفردات:

- ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(النساء: ٦٩).

- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾(النساء: ٧٥).

- ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(النساء: ١١٤).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(النساء: ١٣٦).

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأعراف: ٥٤).

- ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٣٣).

- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(الأعراف: ١٥٨).
- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(الأعراف: ٢٠٥).

(ج-٢) وصل الجمل:

- ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(النساء: ٥).
- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(النساء: ٤٦).
- ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾(النساء: ٩١).
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(الأعراف:١١).
- ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(الأعراف: ٦٣).
- ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(الأعراف: ٧٩).

Scanned by CamScanner

- ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

(ج-٣)- وصل عدة جمل أو فقرة بأخرى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ۝ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۝ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ١ - ٦).

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .... وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ .... وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ .... وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا

فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ....
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ...... ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(الأعراف: ٥٩ – ١٠٣). هكذا على النحو السابق تعطف مجموعة من الجمل، أو فقرة كاملة على فقرة أخرى، وقد تتكون هذه الفقرة من آية واحدة كما في سورة النساء الآية (٢) وهو قوله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾(النساء: ٢). معطوفة على الآية الأولى وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١). أو عدد من الآيات يشتمل كل منها على كثير من الجمل التي ترتبط بين الأخرى فيما بينها بروابط داخلية كما في سورة الأعراف من الآية (٥٩: ١٠٢). ومهما يكن من أمر فإنه «لا يمكن تصور هذه المفردات والعبارات والجمل والآيات دون وجود هذه الروابط، فمحاولة قراءة هذا النص بدون هذه الأدوات يؤدي إلى غموض شديد وإلى تفكك بين عناصر النص، وهذا ما يتنزه عنه النص القرآني الكريم بصفة خاصة، والنص بصفة عامة كي تحقق نصيته»[1]. ولعله من المهم أن أؤكد أن الترابط النصيَّ عن طريق الأداوت ليس كل شيء، أو قل إنه لا يشمل كل أنواع الروابط الموجودة بما يمكن أن نطلق عليه نصاً، فهذا الترابط النصي الذي يتم عن طريق

(١) علم اللغة النصيُّ بين النظرية والتطبيق: ١ / ٢٧٩.

Scanned by CamScanner

الأدوات داخل النص هو ترابط سياقي[1]، أو قل هو ترابط بين علاقات ملفوظة كما يسميه الدكتور تمام حسان[2]، غير أن هناك ترابطاً نصياً من نوع آخر يتمثل في العلاقات المعنوية القائمة في النص، وهو ما يسميه الدكتور تمام حسان – أيضاً – العلاقات الملحوظة، وهو ما سوف نناقشه تحت عنوان الحبك[3] – إن شاء الله –.

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ص ٧٦.
(٢) البيان في روائع القرآن، ص ٥٣٦.
(٣) فصل الحبك، ص١٤٠:٨٧.

(د) التوابع:

وأما بقية التوابع: النعت، والتوكيد، والبدل، فالنعت لم يذكره النصيون من بين وسائل السبك النصي، لكنه- في تراثنا العربي - يقوم بالربط بين المفردات، وكذلك الجمل، وبين الآيات بعضها ببعض .وكذلك التوكيد لا يقل أهمية عن العطف والنعت في تحقيق السبك النصيّ، مع عدم ذكر النصيين له مثل النعت. والنعت والتوكيد كلاهما مستخدم بكثرة في القرآن الكريم. أما الإبدال فقد عني به القدماء والمحدثون على حدٍ سواء، القدماء تناولوه بوصفه تابعاً من التوابع.

والنصيون تناولوه بوصفه وسيلة من وسائل السبك النصيّ. مع ملاحظة اختلاف الإبدال عند النصيين عن البدل عند النحويين العرب. البدل يرتبط بالمرجعية من ناحية كونه يرتبط بما سبقه - المبدل منه -، وإحالة البدل تكون داخلية؛ إذن المبدل منه يجب ذكره حتى لا يحدث الغموض من معرفة البدل[1]. والجدول الآتي يبين الإحصاء الخاص بالنعت والبدل في سورتي النساء والأعراف:

م	التابع	نوع وروده في النص	عدد مرات وروده في النص	
			النساء	الأعراف
١	النعت	- (مفرد/ جملة)- متعلق - مشترك(نعت / بدل، حال/ نعت)	٧٩ ١٦ ٢	٧٨ ٢٠ ٥
		المجموع	٩٧	١٠٣
٢	البدل	- (كل - بعض - اشتمال) - مشترك (بدل / عطف بيان، بدل / حال)	١١ -	١٢ ١٣
		المجموع	١١	٢٥
		الإجمالي	١٢٨	١٢٨

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١ / ٢٦٩.

Scanned by CamScanner

ونلاحظ من خلال الجدول السابق:

أن عدد التوابع (النعت – البدل..) يبلغ مجموعها (١٢٨) في كل سورة على حدة، مما يدفعنا إلى القول، بأن التوابع – بالإضافة إلى حروف العطف – في أرجاء النص القرآني – سورتي النساء والأعراف – فلن تجد آية واحدة تخلو من أحد أنواع التوابع مما يحقق – من الناحية الشكلية – السبك النصيّ –، ومن الناحية الدلالية، فإن وحدة موضوع كل سورة – كما سيتبين لنا إن شاء الله في فصل القصد والقبول[1] – يكفل تحقيق التماسك الدلالي لها، ولا شك، فإن دور التوابع كلما كثرت فإنها تعكس قدر التماسك النصيّ القائم بين جزئيات النص الكريم لكل سورة بوجه خاص، والنص القرآني كله بوجه عام، وهذا التماسك لوسيلة واحدة من وسائل السبك.

(ب-١) النعت في سورتي النساء والأعراف:

ولنلاحظ الأمثلة على بقية التوابع – بعد حروف العطف السابقة – في سورتي (النساء والأعراف).

﴿..خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ (النساء: ١)

﴿..رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً..﴾ (النساء: ١)

﴿..وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨)

﴿..إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٠١)

﴿..وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (النساء: ١١٧)

﴿..وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)

﴿..لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦)

﴿..أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ...﴾ (الأعراف: ٢٦)

﴿..قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الأعراف: ٣٢)

---

(١) فصل القصد والقبول، ص ٢٢٤:١٨٩.

Scanned by CamScanner

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ..﴾(الأعراف: ٥٨)

﴿.. مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ..﴾(الأعراف: ٥٩)

﴿.. وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٥٠)

(د-٢)- البدل في سورتي النساء والأعراف:

﴿.. مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ...﴾(النساء: ٦٦)

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (النساء: ٨٧)

﴿.. وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً..﴾

(النساء: ٩٥ – ٩٦)

﴿..وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ..﴾ (النساء: ١٢٧)

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ..﴾(النساء: ١٦٥)

﴿..إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (النساء: ١٧١)

﴿.. لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي﴾ (الأعراف: ١٥٨)

﴿..فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

﴿.. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾(الأعراف: ١٥٨)

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ...﴾ (الأعراف: ١٦١)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾(الأعراف: ١٧٢)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا...﴾(الأعراف: ١٨٧)

(د-٣) نماذج لما يحتمل الوجهين(نعت / بدل)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾(النساء: ١) (بدل / نعت)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (النساء: ٢٩) (بدل / نعت)

Scanned by CamScanner

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء: ٧٠) (بدل / نعت)

﴿.. فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٧٨) (بدل / نعت)

﴿..عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ (النساء: ١٧١) (بدل / نعت)

﴿.. غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَأَنفُسِهِمْ .. ﴾(النساء: ٩٥) (بدل / نعت)

﴿.. مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ...﴾ (الأعراف: ٢٠) (بدل / عطف بيان)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ..﴾ (الأعراف: ٦٥) (بدل / عطف بيان)

﴿.. هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ .. ﴾(الأعراف: ٧٣) (بدل / عطف بيان / خبر)

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾ (الأعراف:١٤٥). (بدل/ مفعول به).

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً .. ﴾ (الأعراف: ١٥٦) (بدل / عطف بيان)

﴿.. فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا .. ﴾ (الأعراف: ١٨٩). (نعت / بدل)

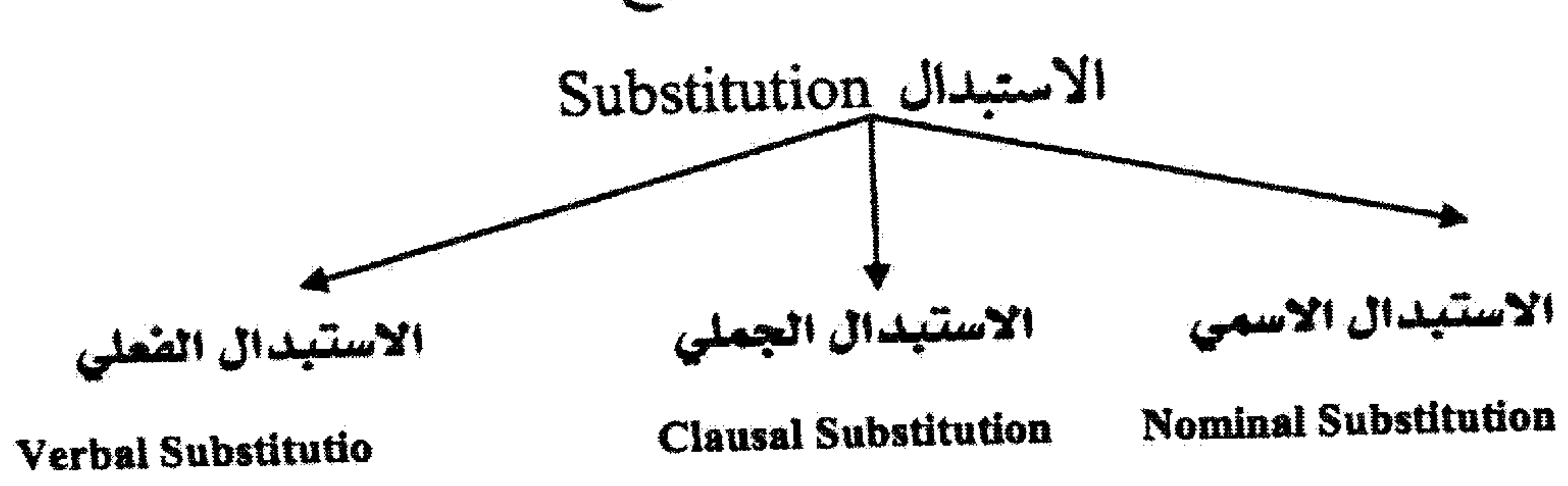
ولا يخفى – من خلال الأمثلة السابقة – ما بين النعت والبدل من ناحية ومرجعية الضمائر من ناحية أخرى، من علاقة إحالية، فمرجعية النعت في النماذج – السابقة – سابقة، وكذلك كانت مرجعية البدل سابقة – أيضاً مما جعلنا نؤثر التركيز على التوابع بوجه عام، والنعت والبدل بوجه خاص كأحد آليات تحقيق السبك النصيّ المهمة، والتي تحقق الامتداد واستمرارية النص.

(هـ) الاستبدال: (Substitution)

يُعدُّ الاستبدال أحد وسائل السبك النحوي التي تتم داخل النص بين عنصر متأخِّر وآخر متقدم. ويقصد بالاستبدال: «إحلال كلمة محل كلمة أخرى»[1]، أو بعبارة أخرى: «الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»[2]. ويستخلص من كونه: عملية داخل النص أنَّه نصيٌّ. على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

أنواع الاستبدال:

الاستبدال – باعتبار الوظيفة النحوية – ثلاثة أنواع[3]:



وعن العلاقة بين الاستبدال والحذف فهي: «علاقة التضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، حين يكون الاستبدال بالصفر»[4].

---

(١) علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص١٢.
(٢) نفسه، ص ١١٣.
(٣) تنظر هذه الأنواع في:
- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص ١١٤: ١١٥.
- نحو النص، ص ٢٣٥، ٢٣٦.
(٤) علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص ١١٣.

Scanned by CamScanner

(هـ-١) الاستبدال الاسمي:

- ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ .... وَإِن تُصِبْهُمْ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يَقُولُونَ .. ﴾(النساء: ٧٨). حيث حل قوله ـ تعالى ـ (كل) محل كل من (حسنة) و(سيئة). أي: قل الحسنة والسيئة من عند الله، يقول الألوسي: «أمر له ـ ﷺ ـ بأن يرد زعمهم الباطل واعتقادهم الفاسد ويرشدهم إلى الحق ببيان إسناد الكل إليه ـ تعالى ـ على الإجمال أي: كل واحدةٍ من النعمة والبلية من جهة الله ـ تعالى ـ خلقاً وإيجاداً»[١].

- ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ... وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾(النساء: ٩٥). حيث حل قوله تعالى: (وكلاً) محل كل من (القاعدون) و(المجاهدون)، أي: كل واحدٍ من الفريقين: المجاهدين والقاعدين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة، وقد ذكر ذلك أبو حيان[٢]، والألوسي[٣].

- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ.... قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٣٨). حيث حل قوله تعالى: (كل) محل كل من (أخراهم) و(لأولاهم)،أي «الكل من الأخرى والأولى عذاب، وللأولى عذاب متضاعف زائد إلى غير نهاية»[٤].

- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ....أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(الأعراف: ٤٤). حيث حل- قوله تعالي- (الظالمين) محل -قوله تعالى- (أصحاب النار) و «التعبير عنهم بالظالمين تعريف لهم بوصف جرى مجرى اللقب، تعرف به جماعتهم، كما يقال: المؤمنين، لأهل الإسلام»[٥].

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٢٠١، روح المعاني ٥ / ٨٨.
(٢) نفسه ٤/ ٢٤٤.
(٣) روح المعاني ٥ / ١٢٢.
(٤) البحر المحيط ٥ / ٣٤٣، والتحرير والتنوير، ٥ / ٢٩٦.
(٥) التحرير والتنوير ٥ / ٣٠٦.

Scanned by CamScanner

(هـ-٢) الاستبدال الفعلي:

• ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا...... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا...﴾ (النساء: ٣). حيث حلَّ قوله تعالى: (تعدلوا) محل -قوله تعالى- (تقسطوا) فالإسقاط أي العدل والإنصاف[١]، أي: لا تعدلوا بين ثنتين إن نكحتموهما[٢].

• ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ.... مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).حيث حل قوله تعالى: (قضيت) محل -قوله تعالى-: (يحكموك) أي: «تحكم فلا تضيق صدورهم من حكمك، وقيل: معناه ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك»[٣].

• ﴿قَالَ فَاهْبِطْ.... فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٣). قال أبو حيان: «حيث حل قوله تعالى: (فاخرج) محل قوله: (فاهبط)، وكرَّر معنى الهبوط بقوله: فاخرج، لأن الهبوط منها خروج»[٤].

• ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ.... مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩). حيث حل قوله تعالى: (يعلمون) محل قوله تعالى: (يعكفون) أي: «ما كانوا يعكفون على أصنام لهم، وعبادتهم إيّاها»[٥].

(هـ-٣) الاستبدال الجملي:

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..(٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ...وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ٢٩ – ٣٠) **أولاً:** حيث حلَّ -قوله تعالى-: (ذلك) الأولى محل قوله تعالى: (لا تأكلوا أموالكم)، وقوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) يقول أبو حيان: «الإشارة

---

(١) روح المعاني ٤ / ١٨٩.

(٢) البحر المحيط ٤ / ١٩.

(٣) الكشاف ١ / ٥٦٠، والبحر المحيط ٤ / ١٨١.

(٤) البحر المحيط ٥ / ٣١٧.

(٥) الطبري ١٣/ ٨٣، والكشاف ٢ / ١٤١.

Scanned by CamScanner

بذلك إلى ما وقع النهي عنه في هذه الجملة من أكل المال بالباطل، وقتل الأنفس، لأن النهي عنهما جاء متسقاً، ثم ورد الوعيد حسب النهي»[1]. **ثانياً:** حل -قوله تعالى-: (ذلك) الثانية -استبدال جملي أيضاً- محل -قوله تعالى-: (فسوف نصليه ناراً)، يقول الألوسي: «أي إصلاؤه في النار يوم القيامة على الله يسير»[2].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... ذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ (النساء: ٥٩). حيث حل -قوله تعالى- (ذلك) محل -قوله تعالى-: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ، يقول الرازي:«(ذلك خير) أي: الذي أمرتكم به في هذه الآية خير لكم»[3]. وبه قال الألوسي[4].

- ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم......وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(الأعراف:١٤١). حيث حلَّ -قوله تعالى-: (ذلكم) محل قوله ـ تعالى ـ: (يسومونكم سوء العذاب)، ويقول الطبري: «وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم، وقيل: ﴿ وفي ذلكم ﴾ أي الانجاء أو العذاب»[5].

- ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ .....أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). حيث حلَّ -قوله تعالى-: (أولئك) محل -قوله تعالى-: (ءامنوا به وعزروه ونصروه....... معه)، يقول ابن عاشور: «والإشارة في قوله: (أولئك هم المفلحون) للتنويه بشأنهم، وللدلالة على أن المشار إليهم بتلك الأوصاف صاروا أحرياء بما يخبر به عنهم بعد

(١) البحر المحيط ٤ / ١١٠.
(٢) روح المعاني ٥ / ١٧.
(٣) مفاتيح الغيب ١٠ / ١٥٧.
(٤) روح المعاني ٥ / ٦٧.
(٥) الطبري ١٣ / ٨٥.

اسم الإشارة »[1]. فالاستبدال –مما سبق– ليس مجرد وسيلة أو علاقة نحوية – معجمية فقط؛ بل لتحقيق علاقة دلالية كذلك، وهو من الوسائل التي يستخدمها الكاتب– عامة – لتجنب تكرار التعبير نفسه، مع تحقيق الاستمرارية التي تمثل الغاية والمضمون من تحقيق سبك النص. كما ترجع أهمية الاستبدال في تحقيق سبك النص من خلال ملاحظة «العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحقٍ فيه... »[2]، وهو كما يتضح في كل الآيات – النساء والأعراف – السابقة الذكر محل التطبيق.

---

(١) التحرير والتنوير ٥ / ٤٨٣.

(٢) لسانيات النص، ص ٢٠: ٢١.

Scanned by CamScanner

ثانياً: وسائل السبك المعجمي:

نعني بالسبك المعجمي: العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية. وهي علاقة معجمية خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها. ويتحقق السبك المعجمي داخل النص من خلال وسيلتين، هما التكرار «Reiteration»، والتضام «Collocation»

(أ) التكرار «Reiteration»

من الأنساق النصية التي أولاها البلاغيون والنقاد عناية كبيرة ظاهرة (التكرار)، وقد عالج البلاغيون التكرار الذي يُحدِث الترابط والإيقاع الموسيقي والزخرفة اللفظية، بوصفه أصلاً من أصول البديع، وقد جاء ذلك واضحاً عند ابن رشيق (ت ٤٠٦ هـ) في (العمدة)، وابن الأثير (ت ٦٣٦ هـ) في (المثل السائر)، وابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) في (بديع القرآن)، والقزويني (ت ٧٣٩ هـ) في (الإيضاح)، والعلوي (ت ٧٤٩ هـ) في (الطراز)، وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن)، والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في (البرهان في علوم القرآن)، وغيرها.

ويقول الدكتور سعد مصلوح: «وجدير بالذكر أنك ربما وجدت هذه الظاهرات (أي: أنواع التكرار) بعضها أو جُلّها، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتاً وفرادى، لانصرافها إلى متابعة الشاهد والمثال والجملة»[1].

---

(١) سعد مصلوح، في البلاغة العربية، والأسلوبيات اللسانية، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٧.

Scanned by CamScanner

وقد تناول علماء لغة النص ظاهرة التكرار من منظور لساني صِرْف، مركزين على كون التكرار شكلاً من أشكال السبك المعجمي[(١)].

وقد استطاع الدكتور صبحي الفقي أن يصيغ تعريفاً جامعاً لأشكال التكرار وغرضه، جاء فيه: «ونستطيع أن نذكر تعريفاً للتكرار يضمن وظيفته النصية، بالقول بأنّ التكرار: هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة، أو جملة، أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه، أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها: تحقيق التماسك النصيّ بين عناصر النص المتباعدة»[(٢)]. والجدول التالي يوضّح فيه جميل عبد المجيد العلاقة بين أنماط التكرار في البلاغة العربية، وما يعادلها من أنماط في اللسانيات النصية[(٣)].

---

(١) انظر:
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٧٩.
- علم لغة النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٤.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٤.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢ / ٢٠.

(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٨٩.
وعن أنواع التكرار، وأغراضه انظر:
- ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، ت: عبدالحميد السيد عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص ٥٠٩.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، القاهرة، د. ت، ص١٩١.
- صلاح فضل، ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، فصول، مجلد ١، عدد ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨١م، ص ٢١.
- السيد علي خضر، ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ص ٣٦: ٥٨.

Scanned by CamScanner

تكرار العنصر نفسه		الترادف وشبه الترادف	الاسم الشامل	الكلمات العامة
تكرار محض	تكرار جزئي			
١ - تكرار اللفظ والمعنى معاً ٢ - رد العجز على الصدر (أحياناً)	١ - الاشتقاق ٢ - رد العجز على الصدر (أحياناً)	تكرار المعنى دون اللفظ (التكرار المعنوي أحياناً)	التكرار المعنوي (أحياناً)	

فالتكرار يسهم في تجسيد الاستمرارية في تتبُّع النص، «من خلال التركيز والإصرار على إعادة الفكرة ذاتها، في الفقرة نفسها أو فقرة أخرى من العمل، فتشكَّل بناءً على هذا ما يعرف بالوحدة العضوية»[1]. ويعد التكرار أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم. فـ «إنَّ إعادة العنصر المعجمي ذاته أو بدلالته – حسب تقسيماته – يشكل إلحاحاً على المتلقي للتعايش مع الجو النفسي والانفعالي المُحدَث من قِبَل هذا الإجراء، وإذا توافر الصوت المتكرِّر، وأحدث نوعاً من النغمة المتوافقة مع سابق لها، فإنه يكون أدْعَى إلى ملاحظته دون غيره من أنماط التماسك الأخرى»[2]. يقول الدكتور صبحي الفقي: «فالتكرار – زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة – فإنه يؤدِّي كذلك إلى تحقيق التماسك النصيّ، وذلك عن طريق امتداد عنصر من بداية النص حتى آخره، وهذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، مع مساعدة عوامل التماسك النصيّ الأخرى»[3].

(١) جودة مبروك، التكرار وتماسك النص، قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجاً، مكتبة الآداب، ط ١، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص ٢٦.

(٢) نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص ١٠٨.

(٣) علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق، ص ٢ / ٢٢.

(أ-١) التكرار على مستوى المفردات في سورتي النساء والأعراف:

الجدول الآتي يوضح أهم العناصر الإشارية المتكررة على مستوى المفردات:

العناصر الإشارية المتكررة	نوع التكرار	سورة النساء		سورة الأعراف	
		عدد الآيات	عدد التكرار	عدد الآيات	عدد التكرار
أولاً: العناصر المتشابهة	محض – جزئي				
– لفظ الجلالة	– شبة ترادف	معظم السورة	٣١١	معظم السورة	١٣٠
– رسل الله	ترادف –	١٩	٢٥	١٩	٢١
– المؤمنين	ردالعجز على الصدر –	٣٧	٥٨	٣٩	٥١
– الكافرين	كلمات شاملة	٣٦	٥٩	٤٨	٦٧
ثانياً: العناصر المميزة لكل سورة					
- النساء	محض – جزئي	٢٠	٦٨	–	–
- الأعراف	محض	–	–	٢	٢
- الناس	محض	١٧	٢٢	–	–
- بني ءادم	محض	–	–	٦	٦
- المنافقين	محض – جزئي	١٤	١٤	–	–
- موسى	محض	–	–	١٩	٢١
- الرجال	محض – جزئي	١٢	٢٢	–	–
- قال	محض – جزئي	–	–	٥٧	٦٩

فأول ما يلفت النظر تكرار لفظ الجلالة في سورة النساء (٣١١) مرة، وفي سورة الأعراف (١٣٠) مرة، بين لفظ «الله» و «رب» و «إله» مع اشتقاقاتها المتنوعة. هذا إضافة إلى الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة، كما سبق بيانه في الإحالة بالضمائر وهذا كله يحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة المذكور في الآية الأولى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء: ١).

وهذا التواصل أو الاستمرار يتحقق بانتشار هذه الأسماء من الآية الأولى حتى الأخيرة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(النساء: ١٧٦).

وكذلك في سورة الأعراف يبدأ هذا التواصل من الآية الثالثة: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣). حتى الآية الأخيرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٦). وتكرار لفظ الجلالة في هذه الآيات – النساء والأعراف – لا يحقق السبك النصيَّ بين الكلمات المكررة وحدها، ولكنه يحقق السبك النصي بين الآيات التي يقع لفظ الجلالة فيها. فسورة النساء تدور حول قضية التشريع – شأن السور المدنية – سواء ما يتعلق بحقوق النساء واليتامى والمواريث وأحكام الأسرة والنكاح وأحكام الصلاة أثناء الحروب والموقف من أهل الكتاب والمنافقين والهجرة في سبيل الله مروراً بقوم موسى عليه السلام والأنبياء من قبله وموقف المؤمنين والكافرين، وكلها أمور ضرورية لتأكيد الإسناد دلالة، ولتحقيق التماسك النصيِّ عبر التكرار. وبالمثل في سورة الأعراف التي تدور حول قضية العقيدة – شأن السور المكية كلها – والتي بدأت بضرورة التصديق بما جاء به نبينا محمد ـ ﷺ ـ عن رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ مروراً بالتذكير بقضية خلق آدم ـ عليه السلام ـ موقف أبليس ـ لعنه الله ـ ومواقف يوم الحشر وأهل الأعراف وقصص الأنبياء وتفصيل لقصة سيدنا موسى ـ عليهم جميعاً ونبينا الصلاة والسلام ـ فكلها أمور تحتاج – كذلك – إلى مسند

Scanned by CamScanner

إليه، ولتحقيق التماسك النصيّ عبر التكرار، ولا يخفى ما لذكر الله بهذه الطريقة من تحقيق لاستمرارية للنص. ولم يتوقف دور التكرار على تحقيق تماسك النص على مستوى الآيات المتتالية، بل على مستوى الآية الواحدة، فنجد لفظ الجلالة «الله» مكرراً في بعض الآيات أربع مرات، وأحياناً ثلاث مرات.

أما النموذج الأول، فمنه:

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٦).

وأما النموذج الثاني، فمنه:

- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(الأعراف: ٧٣).

فقد كان من الممكن – في غير النص القرآني – الاكتفاء بذكره مرةً واحدة في أول الآية، ثم تحل محله الضمائر في المواضع الأخرى. ولكن تكرار لفظ الجلالة (الله) بهذه الصورة يؤكد قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ على القضايا المطروحة في كل آية على حده، مثل: ملك الله للسماوات والأرض، وتقوى الله والإيمان به في سورة النساء، وعبادة الله وآياته وملكه للأرض وما عليها وناقة الله في آية الأعراف، ومن ثمَّ تأكيد الإسناد إليه ـ سبحانه ـ. ومن جهة أخرى يتحقق تماسكها نصياً عبر التكرار، ولا يخفى أن التصريح بالاسم مكرراً له قوة في الدلالة وفي اللفظ ومن ثم في تحقيق التماسك. ونظراً لأن كل آية من الآيتين السابقتين – تحمل قضايا عديدة كما تحتوي كل آية على

Scanned by CamScanner

عدة جمل فكان ذكر لفظ الجلالة في آخر كل آية – يمثل نمطاً من أنماط التكرار وهو رد العجز على الصدر – أمراً ضرورياً حتى لا يتصور كونها متفرقة. أما العنصر الإشاري (رسل الله)، وهو العنصر المتلقي المباشر للنص القرآني، فهو في سورة النساء تكرر (٢٥) مرة، يمثل رسول الله – ﷺ – في معظم الآيات والقليل منها عن نبي الله موسى والرسل عامة ـ عليهم وعلى نبينا السلام ـ بينما تكرر في سورة الأعراف (٢١) مرة، تشمل جميع ما ذكر من أنبياء الله مثل: نوح، وهود، ولوط، وصالح، وشعيب – عليهم السلام ـ ومعظمها تمثل تكراراً يحيل إحالة خارجية سابقة لشخص الرسول – ﷺ –، إذ لم يجرِ له ذكر صريح في سورة النساء. بينما تمثل تكراراً يحيل إحالة داخلية سابقة لرسل الله، للتصريح بذكر أنبياء الله في سورة الأعراف.

فمن النموذج الأول:

- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(النساء: ١٣).
- ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(النساء: ١٤).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(النساء: ٥٩).
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤).

Scanned by CamScanner

ومن النموذج الثاني:

- ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(الأعراف: ٥٩).
- ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأعراف: ٦١).
- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥).
- ﴿ ...... وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ ..... ﴾(الأعراف: ٦٧).

ولا يخفى في النموذج الثاني نمطاً آخر من أنماط التكرار وهو الكلمات الشاملة، أو العامة، فأنبياء الله الذين ذكروا في سورة الأعراف تجمعهم وتشملهم كلمة (رسل الله) أو (أنبياء الله). وأمّا العنصر الإشاري الثالث الأكثر تكراراً فهو لفظ (المؤمنين) فقد تكرر في سورة النساء (٥٨) مرة، وفي سورة الأعراف (٥١) مرة، والنمط التكراري الغالب على هذا العنصر هو الترادف، أو شبه الترادف، حيث ورد بلفظ: المؤمنين، والمؤمن، والذين ءامنوا، والذين عملوا الصالحات، والذي يقاتل في سبيل الله[1]. وهذا التكرار للفظ المؤمنين أو مترادفاته في سورة النساء

---

(١) انظر:

- سورة النساء: الآيات ١٣-١٧-١٩-٢٥-٢٩-٣٤-٣٩-٤٣-٥٧-٥٩-٧١-٧٤-٧٦-٨٠-٨٤-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-١٠٣-١٢٢-١٢٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٩-١٤١-١٤٤-١٤٦-١٥٠-١٥٢-١٥٥-١٥٩-١٦٢-١٧٠-١٧٣-١٧٥.
- سورة الأعراف: الآيات ٢-٨-٢٧-٣٢-٤٢-٤٤-٤٦-٥٠-٦٥-٦٩-٧٢-٧٥-٧٦-٨٥-٨٧-٨٨-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٢١-١٢٣-١٢٦-١٢٨-١٣٤-١٤٣-١٤٥-١٥٣-١٥٤-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦١-١٦٤-١٧٠-١٨٥-١٨٨-٢٠٣.

Scanned by CamScanner

بداية من الآية (١٣ : ١٧٥)،وكـذلك سـورة الأعـراف (٢ : ٢٠٣)، يمثـل وحـدة دلالية في كل سورة، وهذا بدوره يحقق التماسك النصيّ لكل سورة مـن خـلال هـذا الانتشار في فضاء النص القرآني للسورتين. أمّـا العنصــر الإشـاري الرابـع والأكثـر تكراراً فهو لفظ (الكافرين) بمشتقاته ومترادفاته، فقد تكـرر في سـورة النسـاء (٥٩) مرة، وفي سورة الأعراف (٦٧) مرة ، علماً بأن هذا التكرار ينتشـر في فضاء كل سورة، فهو يشمل الآيات (١٤ : ١٧٣) في سورة النسـاء، والآيـات (٣٣: ١٩٥) في سـورة الأعراف، ومرجعية هذا النمط من التكرار داخلية سابقة. وبخصوص أهم العنـاصر الإشارية المتكررة والمميزة لكل سورة على حدة فمنها:

لفظ (النساء) الذي تكرر في سورة النساء (٦٨) مرة، منها الـنمط التكـراري المحض، والجزئي، والترادف[1]. وقد تكرر من مطلع السورة حتى نهايتها(١ : ١٧٦). ويمثل هذا نمطاً من أنماط التكرار وهو«رد العجز على الصدر» ومن ثمَّ يصبح الـنص القرآني – سورة النساء – وحدة دلالية واحدة من خلال التماسك النصيُّ الذي يحدثـه تكرار لفظ «النساء» وكذلك تكـرر لفـظ «قـال»في سـورة الأعـراف، فهـذا التكـرار يتناسب مع طبيعة السورة، فهي سورة قصصية، وطبيعة القصص الحـوار، قـال وقـل وقلنا..... إلخ. وقد تكرر لفظ «القول بمشتقاته (٦٩) مـرة»[2]. فـلا شـك أن هـذا

---

(١) انظر:

- النســاء: ١ – ٣ – ٤ – ٧ – ١١ – ١٢ – ١٥ – ١٩ – ٢٠ – ٢٢ – ٢٣ – ٢٤ – ٢٥ – ٣٢ – ٣٤ – ٤٣ – ١٢٧ – ١٢٨ – ١٢٩ – ١٧٦.

(٢) انظر:

- الأعــراف: – ٥٩ – ٦٠ – ٦١ – ٦٥ – ٦٦ – ٦٧ – ٧٠ – ٧١ – ٧٣ – ٧٥ – ٧٦ – ٧٧ – ٧٩ – ٨٠ – ٨٢ – ٨٥ – ٨٨ – ٩٠ – ٩٣ – ١٠٤ – ١٠٥ – ١٠٦ – ١٠٩ – ١١١ – ١١٣ – ١١٤ – ١١٥ – ١١٦ – ١٢١ – ١٢٣ – ١٢٥ – ١٢٧ – ١٢٨ – ١٢٩ – ١٣١ – ١٣٢ – ١٣٤ – ١٣٨ – ١٤٢ – ١٤٣ – ١٤٤ – ١٤٩ – ١٥٠ – ١٥١ – ١٥٥ – ١٥٦ – ١٥٨ – ١٦١ – ١٦٢ – ١٦٤ – ١٦٩ – ١٧٢ – ١٧٣.

Scanned by CamScanner

التكرار باللفظ والمعنى يحدث تماسكاً نصياً، ويمثل هذا التكرار نوعاً من الإحالة الداخلية السابقة. وقد تكرر لفظ (الأعراف) مرتين فقط في آيتين هما:

- ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ الأعراف: ٤٦
- ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(الأعراف: ٤٨).

(أ-٢) التكرار على مستوى الجمل والآيات والفقرات:

(أ-٢-١) سورة النساء:

والجدول الآتي يوضح لنا أهم أنواع التكرار في سورة النساء:

رقم الآية	موضع التكرار	نوع التكرار
٥ ٨	﴿ ....وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾	محض – تركيب نحوي
١٣ ١٤	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ﴾ ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾	معنوي – تركيب نحوي
٢١ ٢٣	﴿ .....إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ... ﴾ ﴿ .....إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ... ﴾	محض
٢٦ ٢٨	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ...... ﴾ ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾	تركيب نحوي
٣٢	﴿ ....لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾	معنوي – تركيب نحوي
٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾	محض –

Scanned by CamScanner

رقم الآية	موضع التكرار	نوع التكرار
١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	تركيب نحوي
٤٤ ٥١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ .... ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ هَادُوا ... ﴾	محض – تركيب نحوي
١٣١ ١٣٢	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ بينهما ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ بينهما .. ﴾	محض – تركيب نحوي
١١ ١٧٦	﴿ ... لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ .... ﴾ ﴿ ... فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ وَلَهُۥ ... ﴾	محض – تركيب نحوي
١١ ١٧ ٢٤ ٢٦ ٣٩ ٧٠ ٩٢ ١١١ ١٢٧ ١٧٠ ١٤٧ ١٤٨	﴿ ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ .... وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ وَأُحِلَّ ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ .... وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ ﴿ .... وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿ ... وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ ..... فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ ﴿ .... وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ .... وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ ﴿ ... اللَّهُ ... وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾	الآيات: (١١ – ١٧ – ٢٦ – ٩٢ – ١٢٧ – ١٧٠) (تكرار محض – وتركيب نحوي) (والآيات كلها بينها تكرار معنوي – وجزئي) ورد العجز على الصدر

نوع التكرار	موضع التكرار	رقم الآية
	﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١٧٦
تكرار معنوي (دلالي)	﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	١٣٨ ١٤٥
محض – تركيب نحوي	﴿... فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿ الْوَالِدَيْنِ ... فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾	١٢٨ ١٣٥
جزئي – معنوي تركيب نحوي	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا .... ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا .... ﴾	١٦٧ ١٦٨
الآية ١٥١ كلها بالنسبة للآية ١٥٠ تكرار (رد عجز على الصدر)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ .... أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾	١٥٠ ١٥١
رد عجز على الصدر	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾	٦٩ ٧٠

(أ-٢-٢) سورة الأعراف

والجدول الآتي يوضح أنواع التكرار في سورة الأعراف:

نوع التكرار	موضع التكرار	الآية
الآيات الثلاث تكرار معنوي والآيتان (٩٨، ٩٩)	﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾	٤ ٩٧

Scanned by CamScanner

الآية	موضع التكرار	نوع التكرار
٩٨	﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾	بينهما تكرار تركيب نحوي
٦	﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	تركيب نحوي
٨ ٩	﴿.. فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم.....﴾	تركيب نحوي – تكرار معنوي
٣٩ ٤٠	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾	تكرار محض – تركيب نحوي – معنوي
٤٤ ٤٨ ٥٠	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ...﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا.....﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ...﴾	تركيب نحوي
٥٩ : ٧٢ ٧٣ : ٧٩ ٨٠ : ٨٤	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا.....﴾ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ......﴾	تكرار معنوي دلالي – ورد عجز على الصدر

الآية	موضع التكرار	نوع التكرار
٨٥ : ٩٣	﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا .....﴾	
١٢٧	﴿...سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾	جزئي – معنوي
١٤١	﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾	
١٥٩	﴿...أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾	لفظي – تركيب نحوي
١٨١	﴿...أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾	
١٦٠	﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أممًا ...﴾	جزئي – معنوي
١٦٨	﴿وقطعناهم في الأرض أممًا...﴾	
٤٠	﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾	الآية (٤١) رد عجز على صدر الآية (٤٠)
٤١	﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾	
١١	﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم .....﴾	الآيات من (١٢ : ٣٠) تفسير للآية (١١) وهي قصة خلق آدم وخروجه من الجنة
١٢	﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾	
٣٠	﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾	

والإحصاء الآتي يوضح نمطاً آخر من أنماط التكرار، وهو تشابه أطراف الآيات مما يحقق التكرار الصوتي بين آيات كل سورة على حدة:

السورة	عدد الآيات	أطراف الآيات المتكررة
النساء	١٧٦	(١٧٠) الألف الممدود + (٦) الميم
الأعراف	٢٠٦	(٢٠٤) النون+(١) الميم+(١) اللام

وهكذا نجد أن أنماط التكرار المتعددة[1] والمتنوعة قد التقت جميعها للإسهام في تحقيق السبك النصيّ لكل من سورتي النساء والأعراف، فكان التكرار بأنواعه المختلفة للكلمة والعبارة والجملة والآية والفقرة، وكلها ذات مرجعية داخلية سابقة، قد أدت إلى التماسك الشكلي، والدلالي لكل من سورتي النساء والأعراف.

(ب)- المصاحبة اللغوية / التضام «Collocation»

يعد التضام الوسيلة الثانية من وسائل السبك النصيّ المعجمي، والتضام هو: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»[2]. وتعرفها عزة شبل بأنها «نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل الكلمات: (الحرب – الأعداء – الصراع – الجنرال)»[3]. هذا الارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام، بحيث يمكن توقُّع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة، كما هو الحال مع عناصر السبك النحوي[4].

علاقات التضام:

وتتمثل علاقات التضام فيما يلي:

١-التباين وله درجات عديدة: (تضاد – تخالف – تعاكس)... فقد يكون اللفظان:

---

(١) ناهيك عن التوازي – بين الجمل المختلفة – تركيبياً ضمن أنواع التكرار؛ فمثلاً: كل جملة تتكون من: فعل + فاعل + مفعول أو مبتدأ +خبر...، مثلها كثير تنتشر في فضاء النص مما يؤدي- قطعاً- إلى ترابط وتماسك النص وحبكه.

(٢) لسانيات النص، ص ٢٥.

(٣) علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص ١٠٩.

(٤) نظرية علم النص، ص ١١١.

Scanned by CamScanner

متضادين Opposites، مثل (ولد / بنت، ميت / حيّ، ذكر / أنثى).

متخالفين Antonyms، مثل (أحب / أكره).

متعاكسين Converses، مثل (أمر / أطاع، باع / اشترى).

٢- التنافر، وهو مرتبط بفكرة النفي كالتضاد، مثل كلمات (خروف / فرس، قط / كلب) بالنسبة للحيوان، وأيضاً مرتبطة بالرتبة، مثل ملازم – رائد – مقدّم – عقيد – عميد – لواء – فريق – مشير.

٣- علاقة الجزء بالكل، مثل (الصندوق والغطاء)، (المنزل والحجرة).

٤- علاقة الجزء بالجزء مثل (الفم والذقن)، الأنف و العين).

٥- الدخول في سلسلة مُرتّبة، مثل (السبت، الأحد، الاثنين)، (المحرم، صفر، ربيع)، (يناير، فبراير، مارس).

٦- التلازم الذكري، مثل (المرض والطبيب)، (النكتة والضحك)، (النملة والعسل)، (الملك والسلطة).

٧- الاندراج في صنف عام الاشتمال المشترك، مثل الكرسي والطاولة، حيث تشملها كلمة الأثاث[1].

ومما سبق يتضح لنا الآتي:

أولاً: أن هذه العلاقات أقرب إلى المجالات الدلالية أو الحقول الدلالية أكثر من التضام.

ثانيا: لا يحكم على أيٍّ منها بالتضام إلاّ إذا وردت في نصٍّ ما في مواضع كثيرة متلازمة، أمّا بدون ذلك فهي ضمن المجالات الدلالية.

---

(١) تنظر هذه العلاقات بالتفصيل في:
- لسانيات النص، ص ٢٥.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٦:١١.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ١٠٨.
- نحو النص، ص ٢٢٩.

Scanned by CamScanner

ثالثاً: كل هذه العلاقات بين الكلمات لها دورها في السبك المعجمي، فهي تصنع تماسكا بدلالتها المتعارضة، أو المتضادة، فالضد يبرز حسنه الضدُّ.

ولذلك يقول جميل عبد المجيد: «وهذه المصاحبات المعجمية سوف تحدث قوة سابكة Cohesion Force، حين تبرز في جمل متجاورة Adjacent Sentences»[1]. فالتجاور هو الذي يُحدِث قوة السبك، خلافاً لتباعد الجمل الذي يُضعِف هذه القوة السابكة.

(ب-١) علاقات التضام في سورتي النساء والأعراف:

(ب-١-١) سورة النساء:

الجدول التالي يوضح أهم علاقات التضام في سورة النساء:

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
١	الناس – رجالاً – نساءً	اشتمال	٢	الخبيث – الطيب	تباين
٣	مثنى – ثلاث – رباع	سلسلة- مرتبة	٦	غنياً – فقيراً	تباين
٧	الرجال – النساء	تباين	٨	اليتامى – المساكين	تلازم
١١	الذكر – الأنثيين واحدة – اثنتين ثلث – النصف – السدس لأبويه – لأمه آباؤكم - أبناؤكم	تباين سلسلة مرتبة الجزء بالجزء الجزء بالكل كلمة عامة (الورثة)	١٢	رجل – امرأة أخ – أخت	تباين الجزء بالجزء
١٣	الله – ورسوله جنات- الأنهار تجري – الأنهار	تلازم اشتمال تكامل	١٤	يطع – يعص الله – ورسوله ناراً – خالداً	تباين تلازم تلازم

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيالت النصية، ص ١٠٨.

Scanned by CamScanner

الآية	المتلازمات	نوع التضام	الآية	المتلازمات	نوع التضام
٢٣	أمهاتكم – بناتكم أخواتكم – عماتكم – خالاتكم – بنات الأخ – بنات الأخت – ....الخ	كلمة عامة (المحرمات من النساء)	٢٤	محصنين – غير مسافحين	تلازم
٢٥	محصنات – غير مسافحات	تلازم	٣٠	نصليه – ناراً	تلازم
٣٢	الرجال – النساء	تباين	٣٤	الرجال – النساء	تباين
٣٦	ذي القربى – اليتامى – المساكين	تلازم	٣٧	الكافرين – عذاباً مهيناً	تلازم
٣٨ : ٣٩	الله – اليوم الآخر	تلازم	٤٣	وجوهكم – أيديكم	الجزء بالجزء
٤٦	عصينا – أطعنا	تباين	٥١	الجبت – الطاغوت	تلازم
٥٦	نصليه – ناراً	تلازم	٥٩	الله – الرسول اليوم الآخر	تلازم
٦١	الله – الرسول	تلازم	٦٢	الله – الرسول	تلازم
٦٨	صراطاً – مستقيماً	تلازم	٦٩	الله – الرسول – النبيين – الصديقين – الشهداء – الصالحين	تلازم
٧٤	الدنيا – الآخرة	تباين	٧٥	الرجال – النساء	تباين
٧٦	سبيل الله – سبيل الطاغوت	تباين	٧٧	أقيموا الصلاة الدنيا – الآخرة	تلازم تباين
٧٨	حسنة – سيئة	تباين	٧٩	حسنة – سيئة	تباين
٨٠	يطع الرسول – يطع الله	تلازم	٨٣	الأمن – الخوف	تباين
٨٥	حسنة – سيئة	تباين	٩٠	رقبة مؤمنة – دية مسلمة	تلازم

Scanned by CamScanner

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
٩٣	جهنم – خالداً	تلازم	٩٥	أموالهم – أنفسهم المجاهدين – القاعدين	تلازم تباين
٩٨	الرجال – النساء – الولدان	كلمة عامة (الناس)	١٠٠	الله – رسوله	تلازم
١٠٣	قياما – قعودا – جنوبكم	كلمة عامة (أحوالكم)	١١٣	الكتاب – الحكمة	تلازم
١١٥	نصليه – جهنم	تلازم	١٢٢	امنوا – وعملوا الصالحات جنات - الأنهار	تلازم اشتمال
١٢٤	ذكر – أنثى	تباين	١٢٦	السماوات – الأرض	تباين
١٣١	السماوات – الأرض	تباين	١٣٢	السماوات – الأرض	تباين
١٣٤	الدنيا – الآخرة	تباين	١٣٥	الوالدين – الأقربين غنياً – فقيراً	تلازم- تباين
١٣٣٦	آمنوا بالله ورسوله يكفر بالله ورسوله الله – ملائكته كتبه – رسله – اليوم الآخر	تباين تباين تلازم تلازم	١٣٧	آمنوا – كفروا	تباين
١٤٠	المنافقين – الكافرين	الجزء بالكل	١٤١	الكافرين – المؤمنين	تباين
١٤٥	الدرك الأسفل – النار	الجزء بالكل	١٤٦	تابوا – أصلحوا اعتصموا - أخلصوا	كلمة عامة (الإيمان)
١٤٩	تبدوا – تخفوه	تباين	١٥٠	الله – رسوله	تلازم
١٥٢	الله – رسوله	تلازم	١٥٥ : ١٦١	نقض – كفر – قتل صد – أخذهم الربا – أكلهم الأموال – ظلم	اشتمال كلمة (ظلم)

Scanned by CamScanner

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
١٦٢	المقيمين الصلاة - المؤتون الزكاة الله - اليوم الآخر	تلازم تلازم	١٦٣	نوح - النبيين - إبراهيم اسماعيل - اسحاق - يعقوب الأسباط	كلمة عامة أو اشتمال (النبيين)
١٦٧: ١٦٨	كفروا - صدوا - ظلموا	كلمة عامة (ظلم)	١٧٠	السماوات - الأرض	تباين
١٧١	الله - رسله السماوات - الأرض	تلازم تلازم	١٧٣	آمنوا - عملوا الصالحات	تلازم
١٧٥	صراطاً - مستقيماً	تلازم	١٧٦	ولد أخت اثنتين - إخوة رجالاً - نساءً الذكر الأنثيين نصف - ثلثان	كلمة عامة (الورثة) الجزء بالجزء تباين تباين سلسلة مرتبة

(ب-١-٢)- سورة الأعراف:

الجدول التالي يوضح أهم علاقات التضام في سورة الأعراف:

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
٨ ٩	ثقلت موازينه خفت موازينه	تباين تباين	١١	الملائكة - إبليس	تباين
١٢	خلقتني من نار خلقته من طين	تباين تباين	١٦	صراط - المستقيم	تلازم
١٧	أيديهم - خلفهم أيمانهم - شمائلهم	كلمة عامة (اتجاهات)	٢٠	تحيون - تموتون - تخرجون	
٢٧	لباسهما - سوءاتهما	تلازم	٣٣	الفواحش - الإثم والبغي	علاقة الكل بالجزء

Scanned by CamScanner

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
٣٨	أخراهم — أولاهم	تباين	٤٢	آمنوا — وعملوا الصالحات	تلازم
٤٢: ٤٣	جنة — الأنهار تجري — الأنهار رسل — ربنا	اشتمال تكامل تلازم	٤٤	أصحاب الجنة أصحاب النار	تباين
٥٠	أصحاب الجنة أصحاب النار	تباين	٥١	لهواً — لعباً	تلازم
٥٣	رسل — ربنا	تلازم	٥٤	السماوات — الأرض الليل - النهار الشمس — القمر — النجوم	تباين تباين اشتمال (الأجرام)
٥٧	الرياح — سحاباً — ماءً — الثمرات	سلسلة مرتبة أو علاقة الجزء بالجزء	٥٨	الطيب — خبث	تباين
٥٩: ١٠٣	نوح — هود — صالح — لوط — شعيب — موسى	كلمة عامة ﴿ النبيين ﴾	٦١	رسول — رب العالمين	تلازم
٦٧	رسول — رب العالمين	تلازم	٧٣	ناقة — الله	تلازم
٧٤	الأرض — سهول — الجبال	اشتمال (الأرض)	٨١	الرجال — النساء	تباين
٨٥	الكيل — الميزان	الجزء بالجزء	٩٤	الضراء — السراء	تباين
٩٥	السيئة — الحسنة	تباين	٩٦	السماء — الأرض	تباين

Scanned by CamScanner

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
١٠٣ : ١٧١	موسى — فرعون بني إسرائيل - السحرة	تلازم	١٢٤	أيديكم — أرجلكم	الجزء بالجزء
١٢٧	سنقتل أبناءكم نستحي نساءكم	تلازم	١٣١	الحسنة — السيئة	تباين
١٤٢	ثلاثين ليلة أربعين ليلة	سلسلة مرتبة	١٥٥	تضل — تهدى	تباين
١٥٦	الدنيا — الآخرة	تباين	١٥٧	النبي — الأميّ التوراة — الإنجيل المعروف — المنكر الطيبات — الخبائث آمنوا — عزروه — نصروه — اتبعوه	تلازم اشتمال (رسالة) تباين تباين اشتمال (آمنوا)
١٥٨	النبيّ — الأميّ	تلازم	١٦٠	عصاك — البحر — ظللنا الغمام — أنزلنا المنَّ — والسلوى	تلازم تلازم
١٦٣	حيتان — يوم السبت	تلازم	١٦٨	يهدي — يضل	تباين

Scanned by CamScanner

الآية	الكلمات	نوع التضام	الآية	الكلمات	نوع التضام
١٧٩	الجن – الإنس	تباين – او الجزء بالجزء	١٨٥	السماوات – الأرض	تباين
١٨٨	نفعاً – ضراً الخير – السوء	تباين تباين	١٨٩	نفسٍ واحدة – زوجها	اشتمال (نفس واحدة)
١٩٥	أرجل – أيد – أعين – آذان	الجزء بالجزء	٢٠٥	الغدو – الآصال	تلازم
٢٠٦	عبادته – يسبحونه – يسجدون	اشتمال (عبادته)			

وهكذا تقوم فكرة المصاحبة اللغوية أو التضام بدورها في سبك عناصر النص، سبكاً معجمياً، لاسيما إذا كانت هذه المصاحبة بين ألفاظ في جمل متجاورة، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الجدولين السابقين

مقارنة لإحصاءات وسائل السبك لسورتي النساء والأعراف:

م	نوع وسائل السبك	سورة النساء	سورة الأعراف
١	الضمائر	١٢٧٣	١٥٧٧
٢	الإشارة	٣٥	٤٤
٣	الموصول	١٨١	١١٦
٤	الحذف والاستبدال	١٥٧	٥٦
٥	التوابع	٦٦٩	٥٨٦
٦	التكرار	٧٧٠	٥٨٤
٧	التضام	٩١	٦٣
٨	**المجموع**	**(٣١٤٥) علاقة**	**(٣٠٨٧) علاقة**

من ملاحظات هذا الإحصاء يتبين لنا الآتي:

(أ) (١) عدد علاقات السبك في سورة النساء في كل آية واحدة = ٣١٤٥ ÷ ١٧٦ = ١٩,٥ علاقة تقريباً.

(٢) عدد علاقات السبك في سورة الأعراف في كل آية واحدة = ٣٠٨٧ ÷ ٢٠٦ = ١٥ علاقة تقريبا

(ب) (١) عدد علاقات السبك في سورة النساء في كل جملة واحدة = ٣١٤٥ ÷ ١٣٥٠ = ٣ علاقة تقريباً.

(٢) عدد علاقات السبك في سورة الأعراف في كل جملة واحدة = ٣٠٨٧ ÷ ١٠٧٢ = ٣ علاقة تقريباً.

هذه الأرقام بما لها من دلالات تؤكد على:

أولاً: تقارب عدد علاقات السبك النصيّ لسورتي النساء والأعراف على مستوى الآية دون تفرقة بين النص المكي والنص المدني.

ثانياً: تقارب عدد علاقات السبك النصيّ لسورتي النساء والأعراف على مستوى الجملة دون تفرقة بين النص المكي والنص المدني.

والنتيجة هي:

- تقارب عدد علاقات السبك النصيّ لسورتي النساء والأعراف على مستوى مجموع علاقات كل آليات السبك؛ دون تفرقة بين النص المكي والنص المدني.
- على هذا النحو السابق تقوم وسائل السبك بنوعيه -النحوي والمعجمي- بوظيفة الربط بين مكونات النص بشكلٍ واضح؛ فليس يُتخيل أن تقوم لنصٍ قائمة دون أن تربط بين أجزائه روابط تعمل على تماسكه وترابطه؛ فهذه الروابط «لا تتوزع بصورة عشوائية، لكنها تتوزع حسب الدلالة التي يريد النص أن يوضحها»[1] إذ بدونها لا يتحقق التماسك والترابط النصي – سورتي النساء والأعراف –.

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ٢٠٦.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

(الحبك)

«Coherence»

Scanned by CamScanner

مصطلح الحبك

إذا كان معيار السَّبك مختصا بالتناسق الشكلي الذي يفرضه ظاهر النص، فإنَّ الحبك مختص بالتناسق المعنوي الذي تفرضه المعاني وما بينها من علاقات ذهنية، هذه العلاقات التي تجعل المفاهيم مستمرة، هذه الاستمرارية التي يمثلها سبب القضية الأولى أو نتيجتها أو تفصيلها أو تفسيرها أو... الخ، وبتعبير آخر «فإن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص Textual World ونعني بها الاستمرارية المتحققة الدلالية التي تتجلَّى في منظومة المفاهيم Concepts والعلاقات Relations الرابطة بين هذه المفاهيم»[1]. فكما أن النَّص يتكون من ألفاظ وجمل مسبوكة فإنه يتكون أيضاً من معاني محبوكة، تلك المعاني التي يشير إليها الاقتباس السابق بمنظومة المفاهيم، فلابدَّ من علاقات تربط بين هذه المفاهيم حتى يكون النصَّ نصاً مفهوماً لدى المتلقي حتى وإن كان ظاهر النص – يبدو– مفككاً فإن المتلقي لا يلبث أن يتبين بنيةً عميقةً مترابطةً. وقد اختلف المعنيون باللسانيات النصية في ترجمة المصطلح الأجنبي Coherence كما اختلفوا من قبل في ترجمة مصطلح Cohesion على النحو التالي:

١ – الحبك: سعد مصلوح[2]، ومحمد العبد[3]، وجميل عبد المجيد[4]، وأشرف عبد البديع[5]، وحسام فرج[6].

---

(١) نحو أجرومية للنص الشعري. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٢٢٨.
(٢) نفسه، ص ٢٢٨.
(٣) حبك النص، منظورات من التراث العربي،، ص ٥٩.
(٤) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ١٤١.
(٥) الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، ص ١٠٨.
(٦) نظرية علم النص، ص ١٢٧.

Scanned by CamScanner

٢ – الانسجام: محمد خطابي[١].

٣ – التماسك: سعيد بحيري[٢].

٤ – التماسك المعنوي: عزة شبل[٣].

٥ – التماسك الدلالي: محمد سالم صالح[٤].

٦ – الالتحام: تمام حسان[٥].

٧ – الاتساق: تمام حسان[٦]، وفريد عوض حيدر[٧]، وإبراهيم دسوقي[٨].

٨– التقارن: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد[٩].

وقد آثر الباحث اختيار ترجمة المصطلح Coherence إلى الحبك حيث إنَّ معناه المعجمي[١٠] يلتقي مع معناه الاصطلاحي، إذ أنَّ الحبك يمثل العلاقات غير الخطِّية الموجودة بين المعاني في النص، حيث يُرى ظاهر النص وكأنّه خالٍ من رابطٍ يربط بين أجزائه فإذا بعلاقات الحبك تقوم بهذا الدور ليصبح نصاً متماسكاً متلاحم الأجزاء، وهذا المعنى يلتقي مع كون الحبك هو الشدُّ، فعلاقات الحبك تقوم بشدِّ

(١) لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٥.
(٢) علم لغة النص. المفاهيم والاتجاهات، ص١٤٣.
(٣) نفسه، ص ١٨٤.
(٤) صور التماسك النصي في سورة القتال، ص ١٤٣
(٥) النص والخطاب والإجراء، ص ٨، ١٠٣.
(٦) نحو الجملة ونحو النص، ص١.
(٧) اتساق النص في سورة الكهف، ص ٦٣.
(٨) نحو النص، ص ٩٠.
(٩) مدخل إلى علم لغة النص، ص ١١.
(١٠) يقول ابن فارس: «وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد...» معجم مقاييس اللغة، ت:عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ٢/ ١٣٥، ويقول ابن منظور: «الحبك: الشدُّ... والتحبيك: التوثيق... والمحبوك: ما أجيد عمله، والمحبوك: المُحْكَم الخلق من حبكتُ الثوبَ، إذا أحكمت نسجه» لسان العرب ١٠/ ٤٠٧ مادة (ح.ب.ك).

Scanned by CamScanner

أجزاء النص وربطها سوياً / كما أن مصطلح الحبك ليس غريبا – أيضاً – عن أدبيات النقد العربي القديم[(١)]، وكذلك الجمع بينه وبين قرينه السبك، سوف يساعد على اختصاص معناه بمجرد إطلاقه، وهو ما لا يتوفر لمفاهيم أخرى[(٢)]. وللحبك أهمية كبيرة في فهم النص وتأويله، ومن ثمَّ جعله (دي بوجراند) المعيار الثاني الخاص بالنص – بعد السبك – للحكم على النص بأنه نص[(٣)]، وأنَّ غياب علاقاته «تمثل عقبة عقبة في طريق المتلقي فلا يفهم النص، وعندئذٍ سوف يفقد القبول الدلالي، وسيعدُّ نصاً غير مقبول، كما أنَّ له أهمية كبيرة في ترجيح وجه نحوي معين أو حرية الرتبة»[(٤)]. الرتبة»[(٤)]. وإذا كان الحبك في نطاق الجملة كعلاقة الإسناد والملابسة والتفسير[(٥)] له له صلة وثيقة بمعايير النصية وباعتبار النص نصاً، حيث إنَّ الجملة بجوار أخرى تكون نصاً بل قد يكون النص جملة واحدة، ومن ثمَّ فإن الحبك في نطاق الجملة على صلة وثيقة بحبك النص، أمَّا ما هو أوثق صلة بذلك فهو «الحبك في نطاق النص»، حيث إنه يجمع بين جمل النص وأجزائه ليكوِّن نصاً محبوكاً مقبولاً.

---

(١) البديع في نقد الشعر، ص٢٣٧.

(٢) نفسه، ص ٥٥.

(٣) النص والخطاب والإجراء، ص١١٨.

(٤) محمد حماسة، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط١، ص ١٣٦:١٤٠.

(٥) انظر تفصيل «الحبك في نطاق الجملة»: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ١٩١:١٩٩.

Scanned by CamScanner

أنواع العلاقات التي تؤدي إلى حبك النص[1]:

المعاني في النص المحبوك لابد أن تكون مترابطة، ومن ثمَّ وجب علينا أن نتطرق في حديثنا عن الحبك إلى الحديث عن العلاقات بين المعاني والتي تؤدي إلى حبك النص، وهذه العلاقات كثيرة ومتنوعة، فقد تكون ملحوظة وقد تكون ملفوظة[2]. وهي تختلف باختلاف النصوص، وقد يتوافر بعضها في نصٍ وبعضها في نص آخر، بمعنى أنه ليس من الضروري أن تتوافر كل العلاقات في النص الواحد حتى يكون محبوكاً، ولكن – على الأقل– يتوافر به بعضها. وسوف نذكر هذه العلاقات إجمالاً على النحو التالي:

- علاقة السببية (التعليل).
- علاقة التفسير أو (التفسير المقدر).
- علاقة التفصيل بعد الإجمال.
- علاقة الحوار.

---

(١) انظر بالتفصيل:

- «فان ديك»، علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ١٤١٢هـ ٢٠٠١، ص ٤٨:٨٥.
- «فان ديك»، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص ١٥١:١٥٦.
- تحليل الخطاب، ص٣٢٤:٥٦.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٣٢:٧٥.
- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ص٤١٣ وما بعدها.
- محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر التفصيل: تمام حسان، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني، مجلة الدراسات القرآنية، مجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠١م، يصدرها مركز الدراسات الإسلامية – كلية الدراسات الشرقية، جامعة لندن، ص ١٩٩:١٧٧.

Scanned by CamScanner

- علاقة الإضراب.
- علاقة الشرط.
- علاقة الإنكار.
- علاقة الاحتراس.
- علاقة التذييل.
- علاقة المقابلة.
- علاقة الإسناد إلى متقدم.
- علاقة التخصيص.
- علاقة نظام ما وراء اللغة.
- علاقة الارتباط الزمني.
- علاقة الارتباط الافتراضي.
- علاقة التطابق بين الإجابة والسؤال...إلخ.

بالإضافة إلى وسائل أخرى تعمل – أيضاً – على حبك النص مثل:

- العنوان.
- الجملة الأولى.
- الجملة المحورية (الجملة الهدف)... إلخ.

سنكتفي في هذا الفصل – الحبك – بتناول العلاقات الملحوظة بين المعاني فقط، على أن الربط بين المعاني بروابط ملفوظة تمت دراسته خلال تناولنا للسبك في الفصل الأول، ومن ثمّ تخطت هذه الدراسة علاقات كثيرة؛ لأنها تحتوي على روابط ملفوظة، أما العلاقات الملحوظة بين المعاني فهي كثيرة – أيضاً – نذكر منها أهم

الدراسات العربية التي اشتملت على أكثر وسائل الحبك من منظور الأصوليين واللغويين العرب وهي دراسة: علم المناسبات.

(علم المناسبة)

فعلم المناسبة من العلوم الوثيقة الصلة بالحبك حيث إنَّ «المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنىً رابط بينها، عام، أو خاص، أو عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوهم»[1]. فقد تأمّل فصحاء العرب القرآن الكريم كلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة، بغية أن يجدوا ثغرة فيه؛ فلم يجدوا فيه كلمة ينبو بها موضعها، بل وجدوا حبكاً بهر العقول، وسبكاً أخرس الألسن عن أن تقول. فكل آية من القرآن العظيم ذات حبك لطيف في كلماتها، ومتآزرة ومتآخية مع أخواتها من الآيات السابقة واللاحقة، وكل سورة ذات صلة بما قبلها وما بعدها وكأنَّ آياته وسوره حبات عِقْدٍ نُظِمت في سلكها أبدع نظام ورُتِّبت أروع ترتيب.

ولبديع حبك القرآن عظيم الأثر في عقول علمائنا؛ فقد استرعى هذا العلم اهتمام علمائنا – بما لديهم من حواسّ نصية – فانكبُّوا عليه يدرسون الروابط المعنوية بين آياته، آملين في الكشف عن سر نظامه وبديع حبكه، ولَمَّا كان علم المناسبة توفيقياً، وكان مردُّه إلى الاجتهاد؛ تباينت مواقف العلماء إزاء هذا العلم؛ فصاروا بين منكرٍ له

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٢٣. ويقول ابن منظور: «النِّسبة والنُّسبة والنَّسب: القرابة... وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة» لسان العرب، ١/ ٧٥٥ مادة (ن.س.ب).

Scanned by CamScanner

وبين معترفٍ به[1]. إنَّ علم المناسبات المقبول –في ظنيّ– ذلك العلم المعتدل القائم على التأمل المبنيُّ على البرهان المقنع، المنزَّه عن هوى أهل البدع والأباطيل، فالحقيقة التي لا يجحدها أحدٌ أن جميع العلماء والمفسرين ليسوا على درجة واحدة من الفطنة والحنطة والنبوغ، وأن عالماً– مهما أوتي من الذكاء الحاد والفِراسة– لن يصل إلى القول الفصل في جميع المناسبات بين آي القرآن وسوره، على الوجه الذي أراده الله ـ عز وجل ـ.

يتبين لنا – مما سبق – أهمية علم المناسبة أثناء دراستنا التطبيقية للحبك، حيث إن الحبك يتناول العلاقات الملحوظة التي تؤدي إلى حبك النص، وهو جزء من دراسة

---

(١) فمن المنكرين لعلم المناسبات:عز الدين بن عبد السلام، والشوكاني ومن المؤيدين لعلم المناسبات:أبو بكر النيسابوري، وأبو بكر العربي، والفخر الرازي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم كثير.

انظر بالتفصيل:

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق:محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م، ١/ ٣٧، ٢٥٧، ٢٧٨.
- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، ط ١، بيروت، لبنان، د. ت، ٣/ ٤٢١، ٤٢٢.
- السيوطي، معترك الأقران في أعجاز القرآن. ضبطه وصححه:أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ١/ ٤٤.
- الشوكاني، فتح القدير، تحقيق:عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط ١، المنصورة، ١٩٩٤م، ١ / ١٧١، ١٧٢ الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ت:عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، د. ت، ص ٦٨.
- محمد بن عمر بن سالم باز مول، علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، المكتبة المكية، ط ١، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص ٣٤.
- علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق، ٢/ ٩٧.
- عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد ٢، العدد ٢، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ يونيو ٢٠٠٥م، ص ٦:٥.

المناسبة؛ حيث إنها تختص بالعلاقات الملفوظة والملحوظة؛ ومن ثمّ سنركز في حديثنا عن المناسبة ما يخدم فكرة الحبك فقط، وهو العلاقات الملحوظة دون الملفوظة التي تنتمي إلى السبك. وكذلك فإن المناسبة تنقسم إلى مناسبة على مستوى السورة المفردة، ومناسبة على مستوى غير سورة، والمناسبة المرتبطة بسبب النزول، ولكن في دراستنا التطبيقية للحبك سنفصل الحديث:

أولاً: عن المناسبة على مستوى السورة المفردة،

وثانياً: سوف نتناول المناسبة على أكثر من سورة ولكن بشكلٍ موجز؛ لإبراز الحبك النصي للقرآن كله وعدم اقتصاره على مستوى السورة المفردة؛ لأننا سوف نتناوله بتفصيل أكثر أثناء حديثنا عن «التناص» في الفصل التالي[1] -إن شاء الله- الذي يُعنى بالعلاقات -في المقام الأول- بين النصوص-، وكذلك سوف نتناول المناسبة المرتبطة بسبب النزول في حديثنا عن «السياق»[2] -إن شاء الله- .

وثالثاً: سوف نذكر بعضاً من العلاقات الدلالية (وجوه التناسب بين الآي).

أولاً: المناسبة على مستوى السورة الواحدة:

(أ)- المناسبة داخل الآية الواحدة

وحريٌّ بنا إذا كنا نتحرى لكل آية مناسبة لما قبلها وما بعدها،وكذلك لكل سورة، فمن باب أولى أن نتحرى هذه المناسبة في الآية الواحدة، فقد تدرس مناسبة الكلمة للآية،أو في أثنائها، أو في آخرها وتسمّى فاصلة، وقد تدرس مناسبة الآية التي ذكرت فيها مع مقارنتها بما يشبهها من كلمات في آيات أخرى في السورة نفسها،أو في سورة أو سور أُخر، وسوف يأتي تفصيل ذلك في فصل الموقفية -أو السياق- مما يغني عن ذكره

(١) فصل التناص، ص ١٦٠:١٤١.

(٢) فصل السياق، ص ٢٠٥:١٦١.

Scanned by CamScanner

هنا. أمّا مناط بحثنا هنا فهو إدراك المناسبة في ترتيب الأمور المذكورة داخل الآية، ومناسبة فاصلة الآية القرآنية لسياقها من خلال أقوال مفسري القرآن الكريم.

ونحب أن نؤكد ما قلناه -سابقاً- أنه ليس من الضروري أن تتوافر كل أنواع المناسبات في كل سورة من سور القرآن على حده،ولكن يكفي -على الأقل- توافر بعضها حتى يكون نص السورة محبوكاً.

(أ-١) المناسبة في ترتيب الأمور المذكورة داخل الآية:

(أ-١-١) سورة النساء :

الآية رقم (١١،١٢) حسن تقسيم الأمور بين الآيتين:

• قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١١ ، ١٢)

يقول أبو حيان: «وانظر إلى حسن هذا التقسيم في الميراث، وسبب الميراث هو الاتصال بالميت، فإن كان بغير واسطة فهو النسب أو الزوجية، أو بواسطة فهو الكلالة. فتقدّم

Scanned by CamScanner

الأول على الثاني لأنه ذاتي، والثاني عرض، وأخّر الكلالة عنهما لأن الاثنين لا يعرض لهما سقوط بالكلية، ولكون اتصالهما بغير واسطة، ولأكثرية المخالطة»[1].

الآية رقم(٥٨) مناسبة الترتيب الداخلي:

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(النساء: ٥٨).

يقول الرازي: «لما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره،لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بأداء الأمانة أولاً، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق،فما أحسن هذا الترتيب،لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[2].، ويقول أبو حيان: «لما ذكر تعالى وعيد الكفار أعقب بوعد المؤمنين، وجاءت جملة الكفار مؤكدة بأنه على سبيل تحقيق الوعيد المؤكد، ولم يحتج إلى ذلك في جملة المؤمنين، وأتى فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس على سبيل تقريب الخير من المؤمن وتبشيره به»[3].

الآية رقم (٧٦) مناسبة التقسيم و الترتيب الداخلي للآية:

• قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦). يقول أبو حيان: «لما أمر تعالى المؤمنين أولاً بالنفر إلى الجهاد، ثم ثانياً بقوله: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ثم ثالثاً على طريق الحث والحض بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ﴾ اخبر في هذه الآية بالتقسيم أن المؤمن هو الذي يقاتل في سبيل الله، وأن الكافر هو الذي يقاتل في سبيل الطاغوت، ليبين للمؤمنين فرق ما بينهم وبين الكفار، ويقويهم بذلك

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٥٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٤٥

(٣) البحر المحيط ٤/ ١٦٩.

الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(الأعراف: ١٥٧). «لأنه الوصف الأخص الأهم، ولأن في تقديمه زيادة تسجيل لتحريف أهل الكتاب، حيث حذفوا هذا الوصف ليصير كلام التوراة صادقاً بمن أتى بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل، ولأن محمداً ﷺ اشتهر بوصف النبي الأمي، فصار هذا المركب كاللقب له، فلذلك لا يغير عن شهرته، وكذلك هو حيثما ورد ذكره في القرآن»[1].

(أ-٢) مناسبة الفاصلة:

تختم الآية القرآنية وتذيل بما يناسب سياقها، ولا غرو أن تأتي الفاصلة القرآنية متمكنة في موقعها،وثيقة العلاقة بمعنى الآية،فإن هي بدلت أو حذفت فسد النظم،وفات المعنى. يقول الزركشي: «واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما»[2]. ويقول في موضع آخر: «اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة: مقاطع الكلام، وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله،فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب»[3]. وقد فطن السلف إلى الترابط، والمناسبة المعنوية بين الفاصلة وسياق الآية،وخير دليل على ذلك أنهم كانوا يتوقعون الفاصلة قبل ذكرها، روي عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أملي علي رسول الله - ﷺ - هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون: ١٢) إلى قوله

---

(١) التحرير والتنوير ، ٥/ ٤٧٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٠.

(٣) نفسه ١/ ٧٨.

Scanned by CamScanner

تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقال معاذ بن جبل - ﷺ - : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، فضحك رسول الله - ﷺ - فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت[1].

(أ-٢-١) سورة النساء:

الآية رقم(١٢)مناسبة الفاصلة:

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢). يقول أبوحيان: «وحسن ذلك هنا لأنه لما وصف نفسه بقوله: عليم، ودل على اطلاعه على ما يفعله الموروث في مضارته بورثته في وصيته ودينه، وأنّ ذكر علمه بذلك دليل على مجازاته على مضارته، أعقب ذلك بالصفة الدالة على الصفح عمن شاء، وذلك على عادة أكثر القرآن بأنه لا يذكر ما يدل على العقاب، إلا ويردف بما دل على العفو»[2].

ومناسبة الفاصلة الآية(١٢٧):

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، ت:طارق بن عوض الله بن محمد أوعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ، الحديث رقم (٤٦٥٧)، ١٠/ ٣٧٠.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٥٨.

﴿ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧). يقول أبو حيان: «لما تقدم ذكر النساء، ويتامى النساء، والمستضعفين من الولدان، والقيام بالقسط، عقب ذلك بأنه تعالى يعلم ما يفعل من الخير بسبب من ذكر، فيجازي عليه بالثواب الجزيل. واقتصر على ذكر فعل الخير لأنه هو الذي رغب فيه، وإن كان ـ تعالى ـ يعلم ما يفعل من خير ومن شر، ويجازي على ذلك بثوابه وعقابه».[1]

رقم(١٣٠) مناسبة الفاصلة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

(النساء: ١٣٠) يقول أبوحيان: «ناسب ذلك ذكر السعة، لأنه تقدّم من سعته. والواسع عام في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات. وناسب ذكر وصف الحكمة، وهو وضع الشيء موضع ما يناسب، لأن السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت إلى فساد أقرب منها للصلاح».[2]

(أ-٢-٢) سورة الأعراف:

رقم(٢٨) مناسبة الفاصلة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٢٨). (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أنّ مبني أمرهم على الجهل المفرط انتهى[3].

(١) البحر المحيط، ٤/ ٢٨٢.
(٢) نفسه، ٤/ ٢٨٦.
(٣) نفسه،٥/ ٣٣١.

Scanned by CamScanner

رقم (١٢٧) مناسبة الفاصلة:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧). وناسب قوله (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ) لقوله تعالى: (قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ)، يقول الألوسي: إن هذا من فرعون بيان؛ لأنهم لا يقدرون على أن يفسدوا في الأرض، وإيذان بعدم المبالاة بهم، وأن أمرهم فيها بعد كأمرهم فيما قبل، وأن قتلهم عبث لاثمرة فيه، وأنه من الأسلوب الحكيم وإن صدر من الأحمق، وأن الجملة الاسمية كالتذييل لما قبلها فافهم[1].

رقم(١٦٧) مناسبة الفاصلة:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الأعراف: ١٦٧).وإذ تشير الآية إلى وعيد الله لليهود بأن يسلط عليهم عدوهم كلما نقضوا ميثاق الله تعالى، وتشير كذلك إلى وعده لهم بإنجائهم إذا تابوا من ذلك واتبعوا الإسلام[2]. ولذلك ناسب أن تختم الآية بهاتين الجملتين ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾المتوافقين مع المعنى الذي يسبقها والمؤكدين له، فالنقض لميثاق الله تعالى يقابله عقاب الله السريع في الدنيا،والتوبة يقابلها المغفرة والرحمة.

---

(١) روح المعاني ٩/ ٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٥/ ٤٩٧.

Scanned by CamScanner

(ب) المناسبة بين آيات السورة الواحدة:

يأخذ التناسب بين آيات السورة الواحدة عدة صور:

(ب-١) التناسب بين آيتين متجاورتين.

(ب-١-١) سورة النساء.

الآية رقم (١: ٢) مناسبة آيتين متجاورتين:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾(النساء: ١ ، ٢).ومناسبتها لما قبلها-الآية رقم(٢)- أنه لما وصل الأرحام أتبع بالأيتام، لأنهم صاروا بحيث لا كافل لهم، ففارق حالهم حال مَن له رحم ماسه. وظاهره الأمر بإعطاء اليتامى أموالهم[1].

الآية رقم(٢٩،٣٠) مناسبة آيتين متجاورتين:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾(النساء: ٢٩،٣٠) قال الزمخشري:«ذلك إشارة إلى القتل أي: ومن يقدم على قتل الأنفس عدواناً وظلماً لا خطأ ولا اقتصاصاً انتهى»[2]، و يقول أبو حيان: «الإشارة بذلك إلى ما وقع النهي عنه في هذه الجملة من أكل المال بالباطل، وقتل الأنفس. لأن النهي عنهما جاء متسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي»[3].وذهب الطبري من قبل: «إلى أن

---

(١) البحر المحيط، ٤/ ١٢.

(٢) الكشاف، ١/ ٥٣٤.

(٣) البحر المحيط ٤/ ١١٠.

ذلك إشارة إلى ما سبق من النهي الذي لم يقترن به وعيد وهو من قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾(النساء :١٩) إلى هذا النهي الذي هو ولا تقتلوا أنفسكم، فأما ما قبل ذلك من النهي فقد اقترن به الوعيد»[1]

ويرى الباحث رأي الزمخشرى وأبي حيان مخالفة لما ذهب إليه الطبري؛ وذلك لأن كل جملة قد استقلت بنفسها، ولا يظهر لها تعلق بما بعدها إلا تعلق المناسبة.

الآية رقم(٥٦، ٥٧) مناسبة آيتين متجاورتين:

- قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء: ٥٦ ، ٥٧). ومناسبة هذه الآية(٥٧) لما قبلها أنه -سبحانه- لما ذكر تعالى وعيد الكفار أعقب بوعد المؤمنين، وجاءت جملة الكفار مؤكدة بأن على سبيل تحقيق الوعيد المؤكد، ولم يحتج إلى ذلك في جملة المؤمنين، وأتى فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس على سبيل تقريب الخير من المؤمن وتبشيره به[2].

رقم(١٣٥، ١٣٦) مناسبة آيتين متجاورتين:

- قَالَ تَعَالَى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(النساء: ١٣٥، ١٣٦)مناسبتها لما قبلها الآية (١٣٥) أنه- تعالى - لما

---

(١) الطبري، ٨/ ٢٣٠.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٦٩.

Scanned by CamScanner

أمر المؤمنين بالقيام بالقسط، والشهادة لله، بين أنه لا يتصف بذلك إلا من كان راسخ القدم في الإيمان بالأشياء المذكورة في هذه الآية فأمر بها[1].

(ب-١-٢) سورة الأعراف:

رقم(٢: ٣) مناسبة آيتين متجاورتين:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف: ٢ ، ٣). ومناسبتها لما قبلها الآية (٣). أنه لما ذكر تعالى أن هذا الكتاب أنزل إلى الرسول أمر الأمة باتّباعه وما أنزل إليكم يشمل القرآن والسنة لقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، ونهاهم عن ابتغاء أولياء من دون الله كالأصنام والرّهبان والكهّان والأحبار والنار والكواكب وغير ذلك[2]. ويقول الألوسي: «ولما تقدم – سبحانه –إليه ـ ﷺ ـ في أمر الإنذاروالإذكار بالكتاب، تقدم إلى أتباعه فأمرهم بإتباعه، ونهاهم عن اتباع أهل الضلال، وما يوحي إليهم أولياؤهم من زخارفهم بعد أن أخبر بكونه ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم وعز سلطانهم، فقال ملتفتاً إليهم مقبلاً جلاله عليهم (اتبعوا) أي: حملوا أنفسكم حملاً عظيماً بجد ونشاط على اتباعه، (وما أنزل إليكم) أي:قد خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة، (من ربكم) أي: الذي أحسن إليكم، (ولاتتبعوا)، ولعله عبر بالافتعال إيماءً إلى أن ما كان دون علاج –بل هفوة وبنوع غفلة– في محل العفو، (من دونه) أي: دون ربكم،(أولياء) أي: من الذين نهيناكم عنهم في الأنعام وبينا ضررهم لكم من شياطين الإنس والجن، وعدم إغنائهم وأن الأمر كله لربكم»[3].

---

(١) البحر المحيط، ٤/ ٢٩٣.

(٢) نفسه، ٥/ ٣٠٩.

(٣) التحرير والتنوير، ٨/ ١٥.

Scanned by CamScanner

رقم(١٨٧: ١٨٨) مناسبة آيتين متجاورتين:

• قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف: ١٨٧، ١٨٨). ووجه مناسبتها -الآية (١٨٨)- لما قبلها ظاهر جداً، وهذا منه عليه السلام إظهار للعبودية وانتفاء عن ما يختص بالربوبية من القدرة وعلم الغيب،ومبالغة في الاستسلام،فلا أملك لنفسي اجتلاب نفع،ولا دفع ضر فكيف أملك علم الغيب[١].

رقم(٢٠٥: ٢٠٦) مناسبة آيتين متجاورتين

• قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾(الأعراف: ٢٠٥، ٢٠٦). ولما أمر -تعالى- بالذكر ورغب في المواعيظ عليه ذكر من شأنهم ذلك فأخبر عنهم بأخبار ثلاثة: **الأول:** نفي الاستكبار عن عبادته، وذلك هو إظهار العبوديّة، ونفي الاستكبار هو الموجب للطاعات كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان؛ لأنّ المستكبر يرى لنفسه شفوفاً ومزية فيمنعه ذلك من الطاعة. الثاني: إثبات التسبيح منهم له -تعالى- وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدّسة. والثالث: السجود له[٢].

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/ ٧.

(٢) نفسه، ٦/ ٢٧.

Scanned by CamScanner

(ب-٢) مناسبة بين عدة آيات متجاورة:

(ب-٢-١) سورة النساء:

الآية رقم(٢٩) مناسبة لما قبلها(١-٢٨)

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٩). ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه ـ تعالى ـ لما بين كيفية التصرف في النفوس بالنكاح، بيّن كيفية التصرف في الأموال الموصلة إلى النكاح، وإلى ملك اليمين، وأن المهور والأثمان المبذولة في ذلك لا تكون مما ملكت بالباطل، والباطل هو كل طريق لم تبحه الشريعة، فيدخل فيه: السرقة، والخيانة، والغصب، والقمار، وعقود الربا، وأثمان البياعات الفاسدة، فيدخل فيه بيع العربان وهو: أن يأخذ منك السلعة ويكري الدابة ويعطي درهماً مثلاً عرباناً، فإن اشترى، أو ركب، فالدرهم من ثمن السلعة أو الكراء، وإلا فهو للبائع. فهذا لا يصح ولا يجوز عند جماهير الفقهاء، لأنه من باب أكل المال بالباطل[١].

رقم(٨٤) مناسبة لما قبلها من الآيات (٧٧-٨٣):

• قَالَ تَعَالَى:﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾(النساء: ٨٤). هي: أنه لما ذكر في الآيات قبلها تثبيطهم عن القتال، واستطرد من ذلك إلى أنَّ الموت يدرك كل أحد ولو اعتصم بأعظم معتصم، فلا فائدة في الهرب من القتال، وأتبع ذلك بما أتبع من سوء خطاب المنافقين للرسول ـ ﷺ ـ وفعلهم معه من إظهار الطاعة بالقول وخلافها بالفعل، وبكتهم في عدم تأملهم ما جاء به الرسول من القرآن الذي فيه كتب عليهم القتال، عاد إلى أمر القتال. وهكذا عادة كلام العرب تكون في شيء ثم تستطرد من ذلك إلى شيء آخر له به مناسبة وتعلق، ثم تعود إلى ذلك الأول[٢]

---

(١) التحرير والتنوير ٤/ ١٠٧.

(٢) نفسه ٤، /٢١١.

Scanned by CamScanner

رقم(١٤٤)مناسبة لما قبلها من آيات (٨٨-١٤٣):

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾(النساء: ١٤٤). لما كان هذا الوصف من أوصاف المنافقين، وتقدم ذمهم بذلك، نهى الله ـ تعالى ـ المؤمنين عن هذا الوصف[١].

(ب-٢-٢) سورة الأعراف:

رقم(٢٦) مناسبة لما قبلها من الآيات (١١-٢٥):

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الأعراف: ٢٦). مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه -تعالى- لما ذكر قصة آدم وفيها ستر السوءات، وجعل له في الأرض مستقراً ومتاعاً، ذكر ما امتنّ به على نبيه، وما أنعم به عليهم من اللّباس الذي يواري السوءات والرّياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم[٢].

رقم(١٠٣) مناسبة لما قبلها من الآيات (٥٩-١٠٢):

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣). لما قصّ الله تعالى على نبيه أخبار نوح،وهود،وصالح،ولوط وشعيب،وما آل إليه أمر قومهم، وكان هؤلاء لم يبقَ منهم أحد، أتبع بقصص موسى، وفرعون، وبني إسرائيل، إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات، وأمته من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً واقتراحاً وجهلاً، وكان قد بقي من اتباعه عالم وهم اليهود، فقصّ الله علينا قصصهم؛لنعتبر ونتعظ وننزجر عن أن نتشبه بهم، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ بين موسى وشعيب ـ عليهما السلام ـ مصاهرة - كما حكى الله في كتابه ونسب -؛ لكونهما من نسل إبراهيم[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ،٤/ ٣٠٣.

(٢) نفسه ، ٥/ ٣٢٧.

(٣) نفسه،٥/ ٤١٠.

Scanned by CamScanner

رقم(١٨٧) مناسبة لما قبلها من الآيات (١٨٠ - ١٨٤):

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ١٨٧). ومناسبتها لما قبلها أنه: لما ذكر التوحيد والنبوة والقضاء والقدر أتبع ذلك بذكر المعاد وأيضاً فلما تقدّم قوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، وكان ذلك باعثاً على المبادرة إلى التوبة، أتى بالسؤال عن الساعة؛ ليعلم أنّ وقتها مكتوم عن الخلق فيكون ذلك سبباً للمسارعة إلى التوبة[1].

(ب-٣) المناسبة بين القصص القرآني:

القصص القرآني محور أساسي في النَص المكيِ لا المدني- وإن لم يخل القرآن المدني من القصص القرآني مثل:سورة البقرة وآل عمران وغيرها...- لذا نجد سورة النساء قد خلت من القصص في حين نجد سورة الأعراف تزخر بالقصص القرآني؛لأغراض تتفق مع مقاصد القرآن – عامةكما سبق ذكره- ومقاصد السورة نفسها بما لها من خصوصية-كما يتضح فيما يلي:

فسورة الأعراف تدور حول مجموعة من المقاصد الفرعية – كما سنجد في فصل القصد إن شاء الله – وهذه المقاصد الفرعية يجمعها موضوع رئيس واحد وهو قضية التوحيد – شأن القرآن الكريم والسور المكية خاصة – والإتباع، ويظهر هذا الموضوع من خلال تجسيد الصراع الدائم بين الحق والباطل، وكيف أن الباطل يؤدي إلى الفساد في الأرض لعدم توحيده لله وعدم اتباعه لهدي الرسل، وفي قصص كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة يظهر لنا الصراع بين الخير والشر، وبيان كيد إبليس لآدم وذريته.

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/ ٤.

Scanned by CamScanner

النموذج الأول: من صراع الحق والباطل:

قصة آدم مع ابليس الآيات (١١-٣٠). يبين لنا تعالى في هذه القصة كما في باقي السورة كيف أن الحق ينتصر في النهاية على الباطل،

• قَالَ تَعَالَى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(الأعراف: ٢٢). فـ«لقد تمت الخدعة وآتت ثمرتها المرة. لقد أنزلهما الشيطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته، فأنزلهما إلى مرتبة دنيا»[١]. وفي وصف إغواء الشيطان لآدم؛ يبين لنا معا كيف أن الذين لايحسمون أمورهم ومواقفهم كأنهم معلقون في البئر لا هم هالكون، ولا هم ناجون.

النموذج الثاني: عرض يوم القيامة وقصة أصحاب الأعراف: (الآيات ٤٤-٥١).

تذكر الآيات قصة أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وبقوا على الأعراف ينتظرون حكم الله فيهم. والأعراف قنطرة عالية على شكل عرف بين الجنة والنار، والمكث عليها مؤقت؛ لأن في الآخرة الناس إما في النار أو في الجنة[٢]. وأصحاب الأعراف كانوا يعرفون الحق والباطل لكنهم لم يحسموا أمرهم فحبسوا بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم

النموذج الثالث: عرض الصراع بين الحق والباطل عبر قصص الأنبياء على مر العصور:

فقد عرضت الآيات قصة كل نبي مع قومه والصراع بين الخير والشر وكيف أن الله ينجي نبيه ومن اتبعه على عدوهم من خلال الآيات (٥٩-١٧١).

---

(١) الظلال ٣/ ٢٠١.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، الرياض، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ١/ ٤١٩.

Scanned by CamScanner

ويحسن بنا أن نذكر ما قاله صاحب الظلال تلخيصاً لموكب الرسل من خلال القصص القرآني في سورة الأعراف،يقول: «وها نحن أولاء في هذه السورة نلتقي بموكب الإيمان، يرفع أعلامه رسل الله الكرام: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً- . ونشهد كيف يحاول هذا الرهط الكريم - بتوجيه الله وتعليمه - إنقاذ الركب البشري من الهاوية التي يقوده إليها الشيطان، وأعوانه من شياطين الإنس المستكبرين عن الحق في كل زمان. كما نشهد مواقف الصراع بين الهدى والضلال. وبين الحق والباطل، وبين الرسل الكرام وشياطين الجن والإنس.. ثم نشهد مصارع المكذبين في نهاية كل مرحلة، ونجاة المؤمنين، بعد الإنذار والتذكير»[1].

- قصة نوح مع قومه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٤).
- قصة هود: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٧٢).
- قصة صالح: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (الأعراف: ٧٩).
- قصة لوط: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٣).
- قصة شعيب: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٨).
- قصة موسى وفرعون والسحرة: الآيات توضح كيف حسم السحرة موقفهم من نبي الله موسى بعدما رؤوا الحق وأخذوا موقفاً واضحاً من فرعون وأتباعه

---

(١) الظلال ٣/ ٢٣٤.

وآمنوا بالله وبما جاء به موسى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٤ – ١٢٦)، وتردد بني إسرائيل باتباع موسى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(الأعراف: ١٢٨ – ١٢٩).

- قصة أهل السبت: وكيف تحايلوا على الله؛ لأنهم لم يحسموا مواقفهم – في قضية الصراع بين الحق والباطل – بالتسليم الكلي لله وتطبيق ما يعتقدونه عملياً حتى يكونوا من الفائزين، لكنهم كانوا يعتقدون شيئاً ويمارسون شيئاً آخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾(الأعراف: ١٦٣)

إذن أستطيع القول إن هذه القصص بينها مناسبة وتربطها روابط ووشائج قوية؛ لتخدم المحور الرئيس للسورة[1] ومقررة لحقيقة الصراع بين الحق والباطل، ومن ثمَ يتحقق الحبك النصي لسورة الأعراف من خلال التناسب بين القصص القرآني.

(١) لمعرفة المحور الرئيس لسورة الأعراف، انظر بالتفصيل: فصل القصد والقبول، ص ٢٣٠:١٩٠.

(ج) المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

افتتاحية السورة تكون كالمقدمة، وخاتمتها تكون كالتلخيص؛ لما عرض في السورة،وكما أن لبراعة الاستهلال في المقدمة أثراً في جذب اهتمام السامع،فإن لختام السورة وقعاً حسناً في النفس لا يقلُ عن براعة الاستهلال، يقول الزركشي: «وهي - أي خواتم السور-مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد»[1].

(ج-١) مناسبة خاتمة النساء لافتتاحيتها :

يقول الرازي:«اعلم أنه -تعالى- تكلم في أول السورة في أحكام الأموال،وختم آخرها بذلك؛ ليكون الآخر مشاكلاً للأول»[2].ويقول أبو حيان: «وقد ختمت هذه السورة بهذه الآية-آية الكلالةرقم (١٧٦)-،كما بدئت أولاً بأحكام الأموال في الإرث وغيره، ليشاكل المبدأ المقطع،وكثيراً ما وقع ذلك في السور»[3].

ويقول السيوطي: «افتتحت بذكر بدء الخلق والولادة، وختمت بمثل ذلك»[4].

- ففاتحة سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(النساء: ١)،والختام الذي يقصده السيوطي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٢.

(٢) مفاتيح الغيب ١١/ ١٢٢.

(٣) البحر المحيط٣/ ٤٢٢.

(٤) السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ت:محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية، ط١، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م،ص١٢٨.

Scanned by CamScanner

(ج) المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

افتتاحية السورة تكون كالمقدمة، وخاتمتها تكون كالتلخيص؛ لما عرض في السورة،وكما أن لبراعة الاستهلال في المقدمة أثراً في جذب اهتمام السامع،فإن لختام السورة وقعاً حسناً في النفس لا يقلّ عن براعة الاستهلال، يقول الزركشي: «وهي -أي خواتم السور-مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد»[1].

(ج-١) مناسبة خاتمة النساء لافتتاحيتها:

يقول الرازي:«اعلم أنه -تعالى- تكلم في أول السورة في أحكام الأموال،وختم آخرها بذلك؛ ليكون الآخر مشاكلاً للأول»[2].ويقول أبو حيان: «وقد ختمت هذه السورة بهذه الآية-آية الكلالةرقم (١٧٦)-،كما بدئت أولاً بأحكام الأموال في الإرث وغيره، ليشاكل المبدأ المقطع،وكثيراً ما وقع ذلك في السور»[3].

ويقول السيوطي: «افتتحت بذكر بدء الخلق والولادة، وختمت بمثل ذلك»[4].

- ففاتحة سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء: ١)،والختام الذي يقصده السيوطي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٢.

(٢) مفاتيح الغيب ١١/ ١٢٢.

(٣) البحر المحيط ٣/ ٤٢٢.

(٤) السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ت: محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية، ط١، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م،ص١٢٨.

Scanned by CamScanner

﴿ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ (النساء: ١٧١). ويقول سيد قطب: «وهكذا تختم السورة التي بدأت بعلاقات الأسرة، وتكافلها الاجتماعي؛ وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في ثناياها.. تختم بتكملة أحكام الكلالة - وهي على قول أبي بكر - ﷺ - وهو قول الجماعة: ما ليس فيها ولد ولا والد، وقد ورد شطر هذه الأحكام في أول السورة، وهو الشطر المتعلق بوراثة الكلالة من جهة الرحم حين لا توجد عصبة... فالآن يستكمل الشطر الآخر في وراثة الكلالة... »[1]. حيث يقول- عز وجل - في الشطر الأول:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ (النساء:١٢)، وفي الشطر الثاني في آخر السورة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾(النساء: ١٧٦).

(ج-٢) مناسبة خاتمة الأعراف لافتتاحيتها:

يقول البقاعي: «وقد رجع آخر السورة في الأمر باتباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع، ووصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أمر الله في السجود لآدم - عليه السلام - على طريق الاستكبار أيّ التفات، بل شرع في رد المقطع على المطلع حين أتم قصص الأنبياء»[2]. ويؤكد

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٣٠٤.

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ٣/ ١٨٠.

Scanned by CamScanner

الأستاذ: سيد قطب نفس المعنى الذي ذهب إليه البقاعي فيقول: «...إنه هذا القرآن الذي يقول عنه العليم الخبير: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٣ – ٢٠٤).

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فهم الذين يجدون هذا كله في هذا القرآن الكريم؛ ولأن هذا هو القرآن يجيء مباشرة في السياق هذا التوجيه للمؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فتختتم به السورة التي بدأت بالإشارة إلى هذا القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢).

مما سبق يتضح لنا تحقق الحبك النصي –لسورتي النساء والأعراف– من خلال خاتمتهما وفاتحتهما أحسن حبك، وأروع اتساق، كما أنه واضح جلي لا يحتاج إلى عناءٍ كثير.

(د) المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

فالسورة تبدأ من اسمها، ثم مقدمتها، ثم مضمونها، ثم خاتمتها. وذلك كله عبر آيات متعددة الفواصل قد تتفق –وذلك في الغالب– وقد تختلف؛ فـ«عنوان النص بصفة عامة، أول ما يواجهه متلقي النص أو محلله ومن ثمّ فهو يحتل مكانة عالية في التحليل النصّي؛ فالنص قد يكون مكملاً للعنوان، أو موضحا له، ولا شكّ في أنه يكون مفصلاً للإجمال الكائن فيه، وكذلك اسم السورة؛ إذ إنه يمثل عنوانها»[1].

ومن ثمّ لا يحتاج إثبات المناسبة بين اسم السورة ومضمونها إلى تأويلات كثيرة، وهذا النمط يمثل أشهر الأنماط تحقيقا للحبك النصي عبر المناسبة .

(د-١) مناسبة اسم سورة النساء لمضمونها:

يقول ابن عاشور: «سميت هذه السورة في كلام السلف سورة النساء؛ ففي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢/ ١٠٦.

إلا وأنا عنده »[1]. وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة وكتب التفسير ولا يعرف لها أسم آخر...، ووجه تسميتها بإضافتها إلى النساء؛ أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم ثم بأحكام تخص النساء، وأن بها أحكاما كثيرة من أحكام النساء[2]: الأزواج والبنات وختمت بأحكام تخص النساء»[3].

وأهم ما يؤكد شدة الارتباط بين اسم السورة-النساء- ومضمونها؛أن هذه الأحكام الكثيرة -السالفة الذكر- لم تقتصر على مقطع واحد معين من مقاطع السورة،ولكن تخللت السورة كلها من بدايتها-الآيات من (١:٣٥)-مروراً بوسطها-الآيات من(١٢٧:١٣٠)- حتى نهايتها-الآية(١٧٦)-.

(د-٢) مناسبة اسم سورة الأعراف لمضمونها:

وكذلك سورة الأعراف نجد أنَّ المناسبة بين اسم السورة ومضمونها واضح لا يحتاج -أيضا- إلى عناءٍ كثير؛ وذلك من خلال ذكر موقف وقصة «أصحاب الأعراف»،وهم بين الجنة والنار،وموقف الفريقين الأخيرين -أيضا-؛ فريق أهل الجنة،وفريق أهل النار،وهذا ما وضحته الآيات (٤٤:٥٣). هذا مع ملاحظة أن هذه القصة ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل التي اشتملت:قصصاً أخرى -كما ذكرنا سالفاً- امتدت في فضاء نص السورة من أولها- قصة إبليس- لعنه

---

(١) انظر:

- البخاري: صحيح البخاري، تحقيق:محمد زهير بن ناصر، الناشر:دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، حديث رقم (٤٩٩٣)،٦/ ١٨٥.
- النسائي:،السنن الكبرى، تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه:شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، حديث رقم (٧٩٣٣)،٧/ ٢٤٦.

(٢) ومنها:أحكام اليتامى - وخاصة النساء منهم - وأحكام الوصية والميراث، وأحكام الأنكحة والخلع والصداق...إلخ

(٣) التحرير والتنوير ١/ ٨٧٩.

Scanned by CamScanner

الله - مع آدم وحواء- إلى آخرها-قصة موسى وفرعون والسحرة وبني اسرائيل- مروراً بقصص الأنبياء مع أقوامهم، نوح، وعاد، وصالح، ولوط، وشعيب....

يقول الألوسي: «ووجه تسميتها؛أنها ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى ـ: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٦). ولم يذكر في غيرها من سور القرآن؛ ولأنها ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، ولكنه ذكر بلفظ (سور) في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد: ١٣) في سورةالحديد»[1]. وافتتحت هذه السورة بالتنويه بالقرآن، والوعد بتيسيره على النبي ـ ﷺ ـ؛ ليبلغه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(الأعراف: ٢ –٣)، فكان افتتاحها كلاما جامعا وهو مناسب لما اشتملت عليه السورة من المقاصد؛ فهو افتتاح وارد على أحسن وجوه البيان، وأكملها شأن سور القرآن[2].

(١)التحرير والتنوير ١/ ١٤٨٠.

(٢) نفسه، ١/ ١٤٨١.

Scanned by CamScanner

ثانياً: العلاقات الدلالية (وجوه التناسب بين الآي):

قد يختفي الرابط اللفظي بين الآيات،وذلك لقوة الارتباط المعنوي بينها،فيصير حال الآية مع جاراتها حال الصفة مع الموصوف،أو التأكيد مع المؤكّد،يقول عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصل معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه؛ وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد؛ كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها، ومبينة لها. وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد»[1]. يفهم من هذا النص أنَ هناك نوعين من الروابط:روابط سياقية-شكلية-كحروف العطف، وروابط دلالية تتمثل في الربط المعنوي أو العلاقات المنطقية بين الجمل«هذه العلاقات الدلالية متنوعة ومتجددة مع النصوص؛بحيث يكاد كل نص يبتكر من الوسائل التي تحقق تماسكه الدلالي،وهذه العلاقات الدلالية هي التي تساعد على ربط الإشارات في النص ببعضها،وتعين على تطورها وأسلوب تحوُلها،حتى تكون في النهاية، خيطا قوياً يربط النص رباطاً خفيفاً يحتاج إلى تلطف لكشفه»[2].

إذن ينظر إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص دون وسائل حرفية أو شكلية على أنها علاقات دلالية،وقد ذكر الزركشي والسيوطي: «أنه حين لا تكون الآية معطوفة على ما قبلها،فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية

---

(١) دلائل الإعجاز،ص٢٢٧.

(٢) محمد حماسة،الإبداع الموازي،ص٢٦.

مؤذنة بالربط»[1]. وهذه العلاقات الدلالية التي تعتمد على قرائن معنوية تسمى عند تمام حسان: «العلاقات الملحوظة»[2]، كما ذكرنا في بداية هذا الفصل. وفيما يلي أهم هذه العلاقات الدلالية:

أ) علاقة الحوار

علاقة الحوار هي إحدى العلاقات الملحوظة التي تعمل على حبك النص دون رابط لفظي،ومن أبرز الشواهد نجدها في سورة الأعراف وذلك؛لأن سورة النساء يغلب عليها طابع التكليفات والتشريعات –شأن السور المدنية– ومع ذلك لم تخلُ سورة النساء من الحوار بين الملائكة والذين ظلموا أنفسهم،الآية (٩٧)النساء. وتتضح هذه العلاقة أكثر في سورة الأعراف من خلال:

- الحوار بين ورب العزة ـ جلّ وعلاـ وآدم وإبليس الآيات من(١١:٣٥)الأعراف.
- الحوار بين أهل النار،الآيات من(٣٧:٣٩)الأعراف.
- الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب الناروأصحاب الأعراف،الآيات من(٤٤:٥١)الأعراف.
- الحوار بين رسل الله وأقوامهم:
  - سيدنا نوح، الآيات من (٥٩: ٦٣) الأعراف.
  - سيدنا هود، الآيات من (٦٥: ٧١) الأعراف.
  - سيدنا صالح، الآيات من (٧٣: ٧٩) الأعراف.
  - سيدنا لوط، الآيات من (٨٠: ٨٢) الأعراف.
  - سيدنا شعيب، الآيات من (٨٥: ٩٣) الأعراف.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٦،والإتقان في علوم القرآن٢/ ١٠٩.

(٢) تمام حسان، اجتهادات لغوية،عالم الكتب،ط١،القاهرة،١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م، ص٢٩٩.

Scanned by CamScanner

- سيدنا موسى والسحرة وفرعون، الآيات من(١٠٤: ١٧٠) الأعراف.

يتبين لنا مما سبق أنّ علاقة الحوار تكون كل جملة فيها رداً على جملة أخرى سابقة عليها،ومثيرة لأخرى لاحقة بها؛ فينتج عن ذلك حبك أجزاء النص بعضها ببعض.

(ب) علاقة الإلزام

بينما نجد أن علاقة الحوار أكثر وضوحاً في سورة الأعراف نجد أن علاقة الإلزام أكثر وضوحاً في سورة النساء؛ وذلك للطابع التشريعي للسور المدنية عامة والنساء خاصة-كما ذكرنا من قبل-. وعلاقة الإلزام من العلاقات الملحوظة،ويقصد بها: «استعمال عبارات خبرية،أو مصادر منصوبة،أونحو ذلك مما يفهم منه الإلزام بالحكم»[1]. ويجري التعبير عن هذه العلاقة في الأغلب الأعم بعبارة:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾، أو ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[2].، وذلك من خلال الآيات الآتية:

- تلك حدود الله في قوله تعالى ـ:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(النساء: ١٣).

- كتاب الله عليكم في قوله تعالى:﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٢٤).

(ج) علاقة الإجمال والتفصيل:

الإجمال والتفصيل: الإتيان في أول الكلام، أو آخره بمعنى غير مستقل بالفهم،يتوقف فهمه على تفسيره، أو تفصيله بما بعده، أو بما قبله،ومن الشواهد على ذلك:

(١) البيان في روائع القرآن،١/ ٤١٦.

(٢) اجتهادات لغوية،ص٣٠٦.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٣٨- ١٣٩). فقد فصلت الآية (١٣٩) صفة المنافقين في الآية السابقة، «يقول الله لنبيه: يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء من دون المؤمنين، أيطلبون عندهم المنعة والقوة، باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاءَ العزة عندهم، هم الأذلاء الأقِلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزَّة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يُعِزّ من يشاء ويذل من يشاء، فيعزُّهم ويمنعهم؟»[1].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٠). يقول ابن عاشور موضحاً أن الآية قد أجملت عاقبة الذين هادوا على جرائمهم التي سبقت من خلال الآيات السابقة(١٥٥:١٥٩). «لأنَّ نقض الميثاق، والكفر، وقتل الأنبياء، وقولهم قلوبنا غلف، وقولهم على مريم بهتاناً، وقولهم قتلنا عيسى: كلّ ذلك ظلم. فكانت الجملة الأخيرة بمنزلة الفذلكة لما تقدّم، كأنّه قيل: فبذلك كلّه حرّمنا عليهم، لكن عدل إلى لفظ الظلم لأنّه أحسن تفنّناً، وأكثر فائدة من الإتيان باسم الإشارة»[2].

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠١). فقد أجملت الآية القصص السابقة باستخدام اسم الإشارة من خلال قوله ـ تعالى ـ: «﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ فهي جملة مستأنفة استئناف الفذلكة لما قبلها من

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن،٩/ ٣١٩.
(٢) التحرير والتنوير ٤/ ٨٥.

القصص من قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾(الأعراف: ٥٩) ثم قوله تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾(الأعراف: ٩٤) الآية»[١].

(د) علاقة السببية:

هي إحدى العلاقات الملحوظة التي «تربط بين أجزاء النص،دون أن تعتمد في ذلك على أداة من الأدوات التي تعتمد عليها العلاقة السببية الملفوظة:كـ (فاء السببية، ولام التعليل،أو الباء الدالة على السببية)، وفيها يتقدم المسبَب على السبب»[٢]. ومن الشواهد على ذلك:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء: ٧٦). أشارت الآية إلى أنّ الله تعالى- قد استجاب دعوة المستضعفين وهيّأ لهم النصر بيد المؤمنين؛ فجنّد الله لهم عاقبة النصر فـ«الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله تعالى...، وفي إعلاء كلمته؛ فهو وليهم وناصرهم لامحالة...، فقاتلوا ياأولياء الله تعالى -إذا كان الأمر كذلك- أولياء الشيطان؛ فانكم تغلوبنهم لأن كيد الشيطان كان ضعيفا في حد ذاته،فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى»[٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء: ٩٥). يوضح تمام حسان علاقة

---

(١) التحرير والتنوير٥،٤/ ٣٩٨.

(٢) اجتهادات لغوية،ص٣٠١.

(٣) روح المعاني ٥/ ٨٤.

السببية في هذه الآية فيقول: «القضية الأولى تتمثل في عدم التساوي بين القاعدين ذوي الاستطاعة من جهة،والمجاهدين من جهة أخرى. عند هذا الحد تبدأقضية أخرى هي أنَ الله فضَل المجاهدين على القاعدين درجة. فما العلاقة بين هذه القضية وتلك؟ ولماذا جاءت القضية الثانية بعد الأولى دون أن تتقدمها رابطة نحوية؟ هنا يمكن القول إن علاقة القضية الثانية بالأولى تصلح أن تكون علاقة السببية، بمعنى أنَ الفريقين لا يستويان،لأن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة»[1].

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾(الأعراف: ٣١).أشارت الآية الكريمة إلي نهي الله ـ عزوجلَ ـ عن الإسراف في المأكل والمشرب وذلك لأنه «مفسدة للجسد مورثة للسقم مكسلة للصلاة...، وأن الله– تعالى– ليبغض الحبر السمين وأن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»، ويقول الطبري موضحاً علاقة السببية لنهي الله ـ تعالى ـ عن الإسراف: «وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾، أي: أن الله لا يحب المتعدِّين حدَّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحلّ الله أو حرم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحبّ أن يحلِّل ما أحل ويحرِّم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به»[2].

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٤). يوضح ابن عاشور علاقة السببية بين تذييل الآية لما قبلها توضيحا رائعا فيقول: «وجملة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾تتنزل منزلة العلّة لجملة (أغرقنا) كما دلّ عليه حرف (إن)؛ لأنّ حرف (إن) هنا لا يقصد به ردّ الشكّ والتَّردّد، إذ لا شكّ فيه، وإنّما المقصود من الحرف الدّلالة على الإهتمام بالخبر، ومن شأن (إن) إذا جاءت للاهتمام أن تقوم مقام فَاء التّفريع، وتفيدَ التّعليل وربط الجملة بالتي قبلها »[3].

---

(١) البيان في روائع القرآن،١/ ٤٠٥.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن،١٢/ ٣٩٥.
(٣) التحرير والتنوير ٥/ ٣٤٥.

(هـ) علاقة النقض والإبطال.

هي علاقة ملحوظة تفيد الإضراب عن كلام سابق دون استخدام أداة الإضراب ومن الشواهد على ذلك:

-قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٢٨). يقول ابن عاشور موضحاً علاقة النقض والإبطال في الآية الكريمة: «فقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ نقض لدعواهم أنّ الله أمَرهم بها أي: بتلك الفواحش، وهو ردّ عليهم، وتعليم لهم، وإفاقة لهم من غرورهم؛ لأنّ الله متّصف بالكمال فلا يأمر بما هو نقص لم يرضه العقلاء وأنكروه، فكون الفعل فاحشة كاف في الدّلالة على أنّ الله لا يأمر به؛ لأنّ الله له الكمال الأعلى، وما كان اعتذارهم بأنّ الله أمر بذلك إلاّ عن جهل، ولذلك وبّخهم الله بالاستفهام التّوبيخي بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: ما لا تعلمون أنّ الله أمر به»[١].

-قال تعالى: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾(الأعراف: ٤٩). يقول الطبري: «قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله: أيها الجبابرة-الذين كانوا في الدنيا وهم أصحاب النار- أهؤلاء الضعفاء-أصحاب الأعراف- الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال: قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم»[٢].

-قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(الأعراف: ٧٨). أشارت الآية الكريمة إلى إبطال قول قوم موسى بقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ،حيث «أمر

---

(١) التحريروالتنوير، ٥/ ٢٧٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن،١٢/ ٤٧٢.

الله نبيه أن يخبرهم أنَّ كلاً من الحسنة والسيئة إنما هو من عند الله، لا خالق ولا مخترع سواه، فليس الأمر كما زعمتم، فالله ـ تعالى ـ وحده هو النافع الضار، وعن إرادته تصدر جميع الكائنات»[1].

(و) علاقة الملابسة

وهي من العلاقات الملحوظة التي تعني: «اتفاق أمرين أو شركتهما في المكان أو الزمان أو كليهما، وهي العلاقة النحوية التي تقوم بين الفعل والحال في نحو: جاء زيدٌ راكباً؛ إذ يتفق المجيء والركوب في المكان والزمان، وإذا كان النحو بما يرصده للحال من الاشتقاق والإعراب والرتبة يجعل الحال علاقة ملفوظة، فإنَّ النص قد يجعل الملابسة بين عناصر السياق ملحوظة غير ملفوظة»[2]، ومن الشواهد على ذلك:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠). يقول تمام حسان: «فهناك علاقة ملابسة بين انفجار العيون والعلم بالمشارب، ولو دخلت الواو قبل (قد) لكان لدينا جملة حالية بعلاقة ملفوظة»[3]. وهناك علاقة ملابسة ـأيضاـ بين إنزال المن والسلوى والأكل من الطيبات، والتقدير: قائلين لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم.

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٢٠١.

(٢) اجتهادات لغوية، ص ٣١٠.

(٣) اجتهادات لغوية ، ص ٣١٠.

Scanned by CamScanner

(ز) علاقة البيان والتفسير

وعلاقة التفسير المقصودة هنا تشير إلى «جملة في النص تكشف عن المقصود بجملة سابقة أو عنصر سابق»[1]، وعلامة العلاقة التفسيرية «أن يصح تأويلها بعبارة (أي أنَّ المقصود كذا)، فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الولى»[2]، ومن الشواهد على ذلك:

-قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾(النساء: ٤٤ — ٤٥). يبين لنا الآلوسي و موضحاً أن الآية (٤٥) بيان وتفسير للفظ الظالمين في الآية السابقة فيقول: «فالموصول صفة مقررة للظالمين لأن هذا الإعراض لازم لكل ظالم»[3].

(ح) علاقة المقابلة

وهي: «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة،ثم بما يقابلها على الترتيب» كما قال القزويني[4]، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة،ومنها:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ٤٦). يقول أبوحيان - موضحا علاقة المقابلة بين القولين في الآية-:«﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟

---

(١) اجتهادات لغوية ، ص٣٠٢.

(٢) البيان في روائع القرآن،١/ ٤٠٩.

(٣) روح المعاني،٨/ ١٢٣.

(٤) القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة، ت:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١،بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ص٢٥٩.

Scanned by CamScanner

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أي: لو تبدّلوا بالعصيان الطاعة، ومن الطاعة الإيمان بك، واقتصروا على لفظ اسمع، وتبدلوا براعنا قولهم: وانظرنا، فعدلوا عن الألفاظ الدالة على عدم الانقياد، والموهمة إلى ما أمروا به، لكان أي: ذلك القول، خيراً لهم عند الله وأعدل أي: أقوم وأصوب»[1].

-قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(الأعراف: ٧٥ – ٧٦).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾ ، قال الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والإيمان بالله وبه لأهل المسكنة من تبّاع صالح والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم وأهل السُّودد منهم ﴿ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾، أرسله الله إلينا وإليكم، قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم: إنا بما أرسل الله به صالحا من الحقّ والهدى مؤمنون، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾، عن أمر الله وأمر رسوله صالح إنا جاحدون منكرون، لا نصدِّق به ولا نقرُّ[2].

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٥٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن،١٢/ ٥٤٣.

(ط) علاقة التنظير

وهي إلحاق النظير بنظيره، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(النساء: ٩٣). في هذه الآية فن جميل وبديع وهو فن مراعاة النظير: وهو أن يأتي المتكلم بها يناسب المحتوى، وقد حفلت الآية بالألفاظ الدالة على التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق والإرعاد، للإشارة إلى أن جريمة القتل من أكبر الجرائم وأشدها إمعاناً في الشر.

- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠١). يقول ابن عاشور: «وجملة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ عطف على جملة: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾؛ لمناسبة ما في كلتا الجملتين من قصد التنظير بحال المكذبين بمحمد ﷺ»[1].

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣). فقد فهم أن «المقصود تنظير حال الذين أرسل إليهم موسى بحال الأمم التي مضى الإخبار عنها في المكابرة على التكذيب، مع ظهور آيات الصدق، ليتم بذلك تشابه حال الماضين مع حال الحاضرين المكذبين بمحمد ﷺ»[2].

ليس يخفى – إذن – في نهاية هذا الفصل التطبيقي – أن «النص – أي نص ومنه النص القرآني – الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه –

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ٣٩٨.

(٢) نفسه، ٥/ ٤٠٤.

Scanned by CamScanner

حبكه – وترابط أجزائه، وعلى من يتصدى لتفسير النص أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها – لغوية ودلالية – وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة تتمثل في بعض الأدوات...، – كما بيّنا في فصل السبك – أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه – حبكه – الدلالية، وهذه العلاقات الدلالية هي التي... تساعد على ربط الإشارات في النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها حتى تكوّن في النهاية خيطاً قوياً يربط النص رباطاً خفياً يحتاج إلى تلطفٍ لكشفه»[1].

---

(١) الإبداع الموازي، ص٣٦.

الفصل الثالث

(التناص)

«Intertextuality»

Scanned by CamScanner

مصطلح التناص:

مصطلح التناص Intersexuality من المصطلحات النقدية الحديثة الوافدة إلينا من الغرب حيث ترجع أهميته باعتباره أحد معايير النصيَّة. وقد صادف هذا المصطلح الجديد إشكاليات وصياغات متعددة لدى النقاد الغربيين فهو «تخارج نصيٌ لدى «يوري لوتمان». وتحويل أو تمثيل عند لوران جيني. أمَّا جيرار جينت فيسمِّيه التَّعالي النصِّي أو التداخل النصِّي[1]. والإشكالية نفسها عانى منها المصطلح إبَّان ترجمته إلى العربية،» فبعضهم يعرِّبه بـ(التناص)، وآخرون بـ(التناصية)، وفريق ثالث بـ(النصوصية)، ورابع بـ(تداخل النصوص)[2]. ومنهم من ترجمه إلى(تعالق النصوص)[3]، أو(توارد النصوص أو تفاعلها)[4]، أو(الحوار بين النصوص)[5]، أو(النص الغائب)[6]، أو(الإحلال والإزاحة)[7]، أو التفاعل النصي[8]. فهذه المصطلحات العربية المترادفة التي تعبِّر عن المصطلح الغربي متشابهة إلى حد كبير في مدلولها مع الاختلاف في المسمَّى، مما قد يؤدي إلى نوع من الخلط والارتباك لدى الباحثين. وقد آثر الباحث الاستقرار على مصطلح «التناص»؛ للقضاء على ذلك

---

(١) ترويض النص، ص ١٨٥.

(٢) محمد عزام، النص الغائب(تجليات التناص في الشعر العربي) منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط ١ دمشق، ٢٠٠١م، ص ٣٩.

(٣) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، المغرب، ١٩٩٢م، ص ١٢١.

(٤) عوض الغباري، دراسات في أدب مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٥١.

(٥) عبد الرحمن بسيسو، قراءة النص في ضوء علاقاته بالنصوص المصادر، مجلة النقد الأدبي(فصول)، المجلد ١٦، العدد ١، ١٩٩٧م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص ٨٩.

(٦) النص الغائب، ص ٩.

(٧) صبري حافظ، التناص وإشاريات العمل الأدبي، مجلة البلاغة المقارنة ألف، العدد ٤، ربيع ١٩٨٤م، ص ١٠.

(٨) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ٩٢.

الارتباك والخلط الناتجين عن تعدد المسمّيات، إضافة إلى أن هذا المصطلح هو الأكثر شيوعا وانتشارا[1].

ومادة(التناص) بصورتها اللفظية بمعنى تناصَّ القومُ أي: ازدحموا[2]. وفي المعجمات العربية الأدبية الحديثة المتخصصة، يذكر بعضها أنَّ التناص «يكوّن طبقات جيولوجية كتابية تتم عبر إعادة استيعاب غير محدد لمواد النص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي، عبارة عن تحويلات لمقاطع، مأخوذة من خطابات أخرى، داخل مكوّن أيديولوجي شامل»[3]، أو هو «علاقة بين نصَّين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص» (Intertext)، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى، أو أصداؤها[4].

وكما تعددت الرؤى حول المصطلح، نجد تعدد الرؤى حول التعريفات كذلك، فمنهم من قال: «إن كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى فهو تناص»[5]، وهو ظاهرة لغوية «يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح»[6]، أو هو «كل نص ليس إلاّ نسيجاً جديدًا من

---

(١) انظر للتفصيل:

- شربل داغر، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره، مجلة النقد الأدبي(فصول)، المجلد ١٦، العدد(١)، ١٩٧٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٢٧.
- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، ط ١، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٣٧.
- النص الغائب، ص ٣٩.

(٢) المعجم الوسيط، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ٢/ ٣٩٤.

(٣) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سوشبريس للطباعة، ط ١، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٢١٥.

(٤) محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.

(٥) طروس: الأدب على الأدب، مقال لـ«جيرار جينت» ضمن كتاب آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ترجمة د. محمد خيري البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٣٢.

(٦) تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، ص ١٣١.

استشهادات سابقة»[1] وآخر يقول: «إن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى»[2]. ويتضح المقصود بالمصطلح عند جوليا كريستيفا حينما تذكر أن النص «ترحال للنصوص وتداخل نصّي، ففي فضاء معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»[3]، ويؤكد على نفس المعنى آخر بقوله إن التناص: «تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خُلاصة لعدد من النصوص التي مُحيت الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب الأصل، فلا يدركه إلا ذو الخبرة والمران[4].

ومن التعريفات الجامعة ما ذكره حسام فرج بقوله: «ويكاد يتفق أغلب الباحثين على أنَّ التناص يعني استحضار نصٍّ ما لنص آخر، ويعني كذلك تلك العناصر الموجودة في نصٍّ ما وتربطه بنصوص أخرى، والنصوص بذلك تتشكل من نصوص أخرى، وتتبني كذلك من مضامينها»[5]. في حين نجد أنَّ كل التعريفات السابقة قد ركزت على علاقة النص بسواه من النصوص، فإنَّ تمام حسان نظر إلى التناص من زاوية أخرى، ركزت على العلاقات القائمة بين أجزاء النص الواحد، فهو يرى أنَّ التناص: «علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخَّص، وعلاقة

---

(١) رولان بارت، من العمل إلى النص، ضمن كتاب: آفاق التناصية، ص ٤٢.

(٢) مارك أنجينو، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، مقال ضمن كتاب آفاق التناصية، ص ٦٤.

(٣) جوليا كريستفيا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط ٢، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م، ص ٢١.

(٤) النص الغائب، ص ٢٧.

(٥) نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ك ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٩٤.

Scanned by CamScanner

المُسَوَّدَة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدِّد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: القرآن يفسر بعضه بعضاً »[1].

ولمصطلح التناص جذور عربية أصيلة في تراثنا النقدي والبلاغي، وإن أخذ مسمَّيات ودلالات مختلفة عند العرب، كالتضمين، والتلميح، والإشارة، والاقتباس... الخ، هذا في الحقل البلاغي، أمَّا في الميدان النقديّ، كالمناقضات، والسرقات، والمعارضات... الخ[2]، وكلها تقترب قليلاً أو كثيراً من مفهوم التناص. أنواع التناص. وتتفاوت نظرة العلماء إلى أقسام التناص وأشكاله وأنماطه، فمنهم من يرى أن التناص إمّا أن يكون اعتباطيا، يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي، وإمّا أن يكون مقصوداً يوجِّه المتلقي نحو مظانه[3]، ومنهم من يفرِّق بين التناص الداخلي(Intertexte) والتناص الخارجي(Intertexte)[4]، وآخر يجعل التفاعل النصيّ ثلاثة: أولها: التفاعل النصيّ الذاتي، وثانيها: التفاعل النصيُّ المعاصر، وثالثها:

---

(١) تمام حسان، نحو الجملة ونحو النص، ص ٢.

(٢) انظر للتفصيل:

- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص ١٥٤.
- النص الغائب، ص ٤٠.
- نظرية علم النص، ص ١٩٤.
- ترويض النص، ص ١٨٥.
- علم لغة النص، ص ٨٠.
- التناص وإشاريات العمل الأدبي، ص ٢٨.

(٣) ينظر:

- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص ١٥٣.
- النص الغائب، ص ٣٨.
- نحو النص، ص ٣٩.

(٤) التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، ص ١٣٢.

Scanned by CamScanner

التفاعل النصيّ الخارجي[1]، وآخر يفرق بين التناص المباشر وغير المباشر[2]. وبعد استقراء لما سبق حول التناص يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

أ - هناك قاسم مشترك بين كل التعريفات السابقة جلّها يتمثل في أنَّ التناص تداخل بين النصوص أو بين أجزاء النص الواحد بحيث يفسر بعضها بعضاً.

ب - يقع التناص بين النصوص المختلفة، ويقع كذلك بين أجزاء النص الواحد.

ج - يتضمن التناص العلاقات بين نصٍ ما ونصوصٍ أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة[3].

د - كل فهم للمصطلح بمعزل عن الشعر والثقافة العربية وسائر المصطلحات جدير ببعض الشك[4].

ومن ذلك يبدو لنا أنه لا مناص من التناص؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيع الابتعاد عنه، كيف يكون ذلك؟ وهو لا يستطيع أن يكتب إلاَ إذا قرأ أولاً، وبعد قراءات تطول وتتكدس في ذاكرته يبدأ في الكتابة، وهو لا يدري أنَّ هذه الكتابة ما هي إلاَّ خلاصة لكل ما قرأ.

التناص القرآني:

القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي أيّد الله به نبيّه محمداً - ﷺ - وجعله معجزته لقوم صَنْعَتُهُم الأولى الكلام، يتنافسون فيه، ويتبارون، ويجعلون الكلمة سوقا تُلقى فيه وتقيَّم فيه، وقد احتوى القرآن الكريم معجزات كثيرة لا تستطيع الأذهان إحصاءها إلاَّ أنَّ الله -تعالى- يُبدي لكل عصرٍ شيئاً منها، ومن هذا الإعجاز القرآني، أنك تجده يفسر بعضه بعضاً بما يمكن أن نُطلِق عليه -التناص القرآني -.

(١) انفتاح النص الروائي، ص ١٠٠.

(٢) علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص ٧٩ - ٨٠.

(٣) النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤.

(٤) مصطفى ناصف، اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، دار سعاد الصباح، ط١، الكويت، ١٩٩٢م، ص ٩.

Scanned by CamScanner

وقد جمع أحد الباحثين[1] أغراض التناص القرآني ومقاصد، ومنها: -

أ- أن يكون في الكلام لبْسُ وخفاء؛ فيأتي التناص ليزيل هذا اللبس.

ب- أن يكون ظاهر الآيات مُشْكِل؛ فيأتي التناص ويكشف هذا الإشكال، ويوضحه.

ج- أن يوجد ضمير، ولا يوجد مرجع له، فيأتي التناص ليذكرنا بآية أخرى بها العائد.

د- أن يوجد في الآية إجمال يحتاج إلى تفصيل، فيأتي القرآن بآيةٍ أخرى أو آيات أخرى تفصِّل ما سبق إجماله.

هـ- أن يكون هناك قول مُنْكَر أو تساؤل ويحتاج إلى إجابة عن هذا التساؤل أو رد على هذا التساؤل.

أولاً: التناص في سورة النساء.

وسوف تتضح هذه الأغراض وتلك والمقاصد من خلال التطبيق على النص القرآني لسورتي النساء والأعراف فيما يلي: -

وبالرجوع إلى جدول(٧) التناص في سورة النساء[2]. يتبين لنا أنواع التناص في سورة النساء كالآتي:

التناص داخلياً		مع سورة الأعراف		مع بقية سور القرآن	
عدد آيات النساء	الآيات المرتبطة	عدد آيات النساء	الآيات المرتبطة	عدد آيات النساء	الآيات المرتبطة
١٩	٣١	٦	٧	٤٧	١٤٢

يتضح أن عدد آيات سورة النساء المرتبطة بإجمالي آيات سور القرآن هي(٧٢) آية من سورة النساء مرتبطة بـ(١٨٠) آية من سور القرآن الكريم بدءاً من الجزء الأول: سورة

(١) معايير النصية، ص ٥١٠.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، سورة النساء ١/ ٢٦٢:٣٦٥.

Scanned by CamScanner

البقرة حتى الجزء الأخير: سورة العصر. مما له دلالة واضحة على تماسك النص القرآني كله كنصٍ واحد.

(أ-١)- نماذج التناص في سورة النساء

- قال تعالى ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٢) يقول الشنقيطي: «أمر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم، ولم يشترط هنا في ذلك شرطاً، ولكنه بين بعد هذا أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين:

الأول: بلوغ اليتامى.

والثاني: إيناس الرشد منهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾(النساء:٦)»[١].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء:٢). وقد ذكر -تعالى- في هذه الآية الكريمة «أن أكل أموال اليتامى حوب كبير، أي: إثم عظيم، ولم يبين مبلغ هذا الحوب من العظم، ولكنه بينه في موضع آخر وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾(النساء: ١٠)»[٢].

- قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ٢٢٠.

(٢) نفسه، ١/ ٢٢٠.

Scanned by CamScanner

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء: ٣٤).

ذكر- سبحانه وتعالى- في هذه الآية الكريمة أن النشوز قد يحصل من النساء، ولم يبين أ يحصل من الرجال نشوز أم لا؟ ولكنه بين في موضع آخر أن النشوز أيضاً قد يحصل من الرجال، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾(النساء: ١٢). «وأصل النشوز في اللغة الارتفاع، فالمرأة الناشز كأنها ترتفع عن المكان الذي يضاجعها فيه زوجها، وهو في اصطلاح الفقهاء الخروج عن طاعة الزوج، وكأن نشوز الرجل ارتفاعه أيضاً عن المحل الذي فيه الزوجة وتركه مضاجعتها والعلم عند الله تعالى»[١].

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(النساء: ٤٣). بين ـ تعالى ـ في هذه الآية «زوال السكر بأنه هو أن يثوب للسكران عقله، حتى يعلم معنى الكلام الذي يصدر منه بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾النساء: ٤٣»[٢].

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١). ذكر- سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة «أن المنافقين إذا دعوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول ـ ﷺ ـ يصدون عن ذلك صدوداً أي: يعرضون إعراضاً. وذكر في موضع آخر: أنهم إذا دعوا إليه ـ ﷺ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ٢٨٣.
(٢) نفسه، ١/ ٢٨٥.

- ليستغفر لهم لووا رؤوسهم، وصدوا واستكبروا، وهو قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(المنافقون: ٥)»[1].

• قَالَ تَعَالَى:﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥).ذكر- سبحانه وتعالى- في هذه الآية الكريمة «أنه فضل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجراً عظيماً، ولم يتعرض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض، ولكنه بين ذلك في موضع آخر وهو قوله:﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠)، وقوله في هذه الآية الكريمة:﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (النساء: ٩٥)، يفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل ثواب المجاهد»[2].

• قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩). ذا العدل الذي ذكره ـ تعالى ـ هنا أنه لا يستطاع هو العدل في المحبة، والميل الطبيعي ؛ «لأنه ليس تحت قدرة البشر بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع، وقد أشار ـ تعالى ـ إلى هذا بقوله:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء: ٣) أي: تجوروا في الحقوق الشرعية »[3].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٢٩٢.

(٢) نفسه، ١/ ٢٩٨.

(٣) نفسه ، ١/ ٣٥٠.

Scanned by CamScanner

- قَالَ تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(النساء: ١٤٠). هذا «المنزل الذي أحال عليه هنا هو المذكور في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(الأنعام: ٦٨)»[1].

- قَالَ تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٥٣).لم يبين هنا- سبحانه وتعالى- «سبب عفوه عنهم ذنب اتخاذ العجل إلهاً ولكنه بينه في سورة البقرة بقوله: ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٥٤)»[2].

- قَالَ تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥). لم يبين هنا- سبحانه وتعالى- «ما هذه الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل ولكنه بينها في سورة طه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾(طه: ١٣٤). وأشار لها في سورة القصص بقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص: ٤٧)»[3].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ٣٥٤.

(٢) نفسه، ١/ ٣٥٨.

(٣) نفسه، ١/ ٣٦١.

Scanned by CamScanner

• قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤). المراد بهذا النور المبين القرآن العظيم؛ «لأنه يزيل ظلمات الجهل والشك كما يزيل النور الحسي ظلمة الليل، وقد أوضح - تعالى - ذلك بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: ٥٢)، وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ونحو ذلك من الآيات»[1].

• قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(النساء: ١٧٦). صرح- سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة بأن الأختين يرثان الثلثين، «والمراد بهما الأختان لغير أم، بأن تكونا شقيقتين أو لأب بإجماع العلماء، ولم يبين هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعداً، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن الأخوات لا يزدن على الثلثين، ولو بلغ عددهن ما بلغ وهو قوله - تعالى - في البنات: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ (النساء:١١)، ومعلوم أن البنات أمس رحماً وأقوى سبباً في الميراث من الأخوات، فإذا كن لا يزدن على الثلثين ولو كثرن فكذلك الأخوات من باب أولى، وأكثر علماء الأصول على أن فحوى الخطاب أعني: مفهوم الموافقة: الذي المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق، من قبيل دلالة اللفظ، لا من قبيل القياس...»[2].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ٣٦٤.
(٢) نفسه، ١/ ٣٦٥.

(ب) التناص في سورة الأعراف

وبالرجوع إلى جدول(٨) التناص في سورة الأعراف[1]. يتبين لنا الآتي:

التناص داخليا		مع سورة النساء		مع بقية سور القرآن	
عدد آيات الأعراف	الآيات المرتبطة	عدد آيات الأعراف	الآيات المرتبطة	عدد آيات الأعراف	الآيات المرتبطة
١١	١٥	٣	٢	٥٨	٢٤٤

يتضح كذلك أن عدد آيات سورة الأعراف المرتبطة بإجمالي آيات سور القرآن هي(٧٢) آية من الأعراف مرتبطة بـ(٢٦٢) آية من سور القرآن بدءاً من الجزء الأول: سورة البقرة حتى الجزء الثلاثين سورة العصر، مما له دلالة واضحة على تماسك النصّ القرآني كله كنصٍ واحدٍ.

(ب-١) نماذج التناص في سورة الأعراف

- قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢) لم يبين هنا – سبحانه وتعالى – المفعول به لقوله لتنذر، ولكنه " بينه في مواضع أخر كقوله: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾(مريم: ٩٧)، وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾(يس: ٦)، إلى غير ذلك من الآيات»[2].

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: ١٠). لم يبين هنا– سبحانه وتعالى – كيفية هذه المعايش التي جعل لنا في الأرض، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾(عبس: ٢٤ – ٣٢)، وقوله

(١) انظر للتفصيل: أضواء البيان، سورة الأعراف ٢/ ١٥٢: ٨١.
(٢) نفسه، ٢/ ٨٥.

Scanned by CamScanner

تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾(السجدة: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾(طه: ٥٣ – ٥٤). وذكر كثيراً من ذلك في سورة النحل كقوله: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(النحل: ٥) إلى غير ذلك من الآيات[1].

• قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾(الأعراف: ١٤ – ١٥). لم يبين هنا – سبحانه وتعالى – في السورة «الغاية التي أنظره إليها، وقد ذكرها في «الحجر» و «ص» مبيناً أن غاية ذلك الإنظار هو يوم الوقت المعلوم، لقوله: في سورة «الحجر» و «ص» ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (الحجر: ٣٧ – ٣٨)، فقد طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وأكثر العلماء يقولون: المراد به وقت النفخة الأولى، والعلم عند الله ـ تعالى ـ[2].

• قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾الأعراف: ٦٤ لم يبين هنا – سبحانه وتعالى – « كيفية إغراقهم، ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ (القمر: ١١)، وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(العنكبوت: ١٤)»[3].

• قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ

(١) انظر للتفصيل: أضواء البيان، سورة الأعراف، ٢/ ٨٨.
(٢) نفسه، ٢/ ٩١.
(٣) نفسه، ٢/ ١١٨.

ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٧١). لم يبين هنا – سبحانه وتعالى – شيئاً من هذا الجدال الواقع بين هود ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ وبين عاد، ولكنه أشار إليه في موضع آخر كقوله: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (هود: ٥٣ – ٥٦)[1].

• قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٠). بين ـ تعالى ـ أن المراد بهذه الفاحشة «اللواط بقوله بعده: ﴿ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ (الأعراف: ٨١)، وبين ذلك أيضاً بقوله: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٦٥)، وقوله: ﴿ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩)»[2].

• قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠١). ذكر – تعالى– أنباءهم مفصلة في مواضع كثيرة «كالآيات التي ذكر فيها خبر نوح وهود، وصالح ولوط، وشعيب وغيرهم، مع أممهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ففي هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه من التفسير: بعضها يشهد له القرآن:

منها: أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به، ولم يؤمنوا به، لاستحالة التغير فيما سبق به العلم الأزلي، ويروى هذا عن أبي بن كعب وأنس، واختاره ابن جرير، ويدل لهذا الوجه لآيات كثيرة كقوله ﴿ إِنَّ

---

(١) انظر للتفصيل: أضواء البيان، سورة الأعراف، ٢/ ١١٩.

(٢) نفسه، ٢/ ١٢٤.

Scanned by CamScanner

﴿الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(يونس: ٩٦)، وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(يونس: ١٠١). ونحو ذلك من الآيات.

ومنها: أن معنى الآية: أنهم أخذ عليهم الميثاق، فآمنوا كرهاً، فما كانوا ليؤمنوا بعد ذلك طوعاً. ويروى هذا عن السدي وهو راجع في المعنى إلى الأول.

ومنها: أن معنى الآية: أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة لكفروا أيضاً، فما كان ليؤمنوا في الرد إلى الدنيا بما كذبوا به من قبل أي في المرة الأولى، ويروى هذا عن مجاهد، ويدل لمعنى هذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(الأنعام: ٢٨).لكنه بعيد من ظاهر الآية.

ومنها: أن معنى الآية: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم»[1].

• قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾(الأعراف: ١٠٨). ذكر ـ تعالى ـ هنا أن «موسى نزع يده فإذا هي بيضاء، ولم يبين أن ذلك البياض خال من البرص، ولكنه بين ذلك في سورة «النمل» و «القصص» في قوله فيهما: ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(النمل: ١٢)،أي من غير برص»[2].

• قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف: ١٠٩). بين – سبحانه وتعالى – هنا أن «موسى لما جاء بآية العصا واليد قال الملأ من قوم فرعون إنه ساحر، ولم يبين ماذا قال فرعون، ولكنه بين في « الشعراء » أن فرعون قال مثل ما قال الملأ من قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: ٣٤)[3].

---

(١) أضواء البيان، ٢/ ١٢٩.
(٢) نفسه، ٢/ ١٣١.
(٣) نفسه، ٢/ ١٣٢.

• قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠). أوضح - سبحانه وتعالى - ما ذكره هنا بقوله في «طه»: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ (طه: ٨٦ - ٨٧).

• قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ (الأعراف: ١٥٠). أشار - تعالى - في هذه الآية الكريمة إلى «ما اعتذر به نبي الله هارون لأخيه موسى عما وجهه إليه من اللوم، وأوضحه في «طه» بقوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ (طه: ٩٤)، وصرح الله - تعالى - ببراءته بقوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٩٠ - ٩١)»[1].

• قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠). هدد - تعالى - في هذه الآية الذين يلحدون في أسمائه بتهديدين:

«الأول: صيغة الأمر في قوله: (وَذَرُوا۟) فإنها للتهديد.

والثاني: في قوله: (سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ).

وهدد الذين يلحدون في آياته في سورة حم «السجدة» بأنهم لا يخفون عليه في قوله: ﴿إِنَّ

(١) أضواء البيان، ٢/ ١٤٠.

الذين يلحدون في ءايتنا لا يخفون علينا ﴾فصلت: ٤٠، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي ءامنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ (فصلت: ٤٠)»[1].

• قال تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾(الأعراف: ١٨٨). هذه الآية دلالة على أنه ـ ﷺ ـ لم يكن يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، «وقد أمره ـ تعالى ـ أن يقول إنه لا يعلم الغيب في قوله في «الأنعام»: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾الأنعام: ٥٠، وقال: ﴿قل لا يعلم من في السموت والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾النمل: ٦٥، إلى غير ذلك من الآيات»[2].

• قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين ﴾(الأعراف: ١٩٩).

بين-تعالى- في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن ؛ «فبين أن شيطان الإنس يعامل باللين، وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته، وأن شيطان الجن لا منجى منه إلا بالاستعاذة بالله منه. قال في الأول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال في الثاني: ﴿وإما ينزغنك من الشيطن نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾(فصلت: ٣٦)».

وبين هذا الذي ذكرنا في موضعين آخرين هما: أحدهما: في سورة المؤمنون قال فيه في شيطان الإنس: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾(المؤمنون: ٩٦). وقال في الآخر: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزت الشيطين ۝ وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ (المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨). والثاني: في حم «السجدة» قال فيه في شيطان الإنس: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عدوة كأنه ولي حميم ﴾

(١) أضواء البيان، ٢/ ١٤٦.

(٢) نفسه، ٢ / ١٤٨.

Scanned by CamScanner

(فصلت: ٣٤)، وزاد هنا أن ذلك لا يعطاه كل الناس، بل لا يعطيه الله إلا لذي الحظ الكبير والبخت العظيم عنده فقال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(فصلت: ٣٥)»[1].

وفي ختام هذا المبحث التطبيقي، يمكننا القول بأن التناص القرآني له عظيم الأثر في تفسير كثير من الآيات،التي وقع فيها بعض الإبهام على متلقي النص القرآني؛ فلولا التناص لفقد النص تماسكه ومن ثمَّ قبوله لدى المتلقي،وفي النهاية نؤكد صحة ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان حيث يقول: «نؤكد ثقتنا في أن القرآن يفسر بعضه بعضا، وأن ما كشف عنه البحث اللغوي الحديث من مفهوم التناص يؤيد صدق تفسير القرآن بالقرآن،وأن من حقنا، بل من واجبنا أن نطيل التأمل في النص القرآني للعثور على ما يعزز هذه الثقة، في أن تفسير القرآن بالقرآن يعين على الكشف عن معاني كثير من النصوص القرآنية»[2]. كذلك نؤكد ثقتنا بأن مفسري آي القرآن الكريم كانوا على وعيٍ تام بأحد معايير النصية، وهو التناص، وإن لم يكن لديهم وعيٌ بجانبه النظري، شأن المنظرين الغربيين.

(١) أضواء البيان ٢/ ١٥١.

(٢) تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص ٣١٦.

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

(السيـــاق)

«Context»

Scanned by CamScanner

مصطلح السياق:

فالسياق(لغة): يعني التتابع والتوالي والتسلسُل، يقول ابن منظور:«ساق الإبل وغيرها، يَسُوقُها سوقاً وسياقاً...وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا، إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت، فهي مُتقاوِدَة ومُتساوِقة. وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تَسَاوَقُ، أي: ما تتابعُ، والمساوقة:المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضاً...وساق بنفسه سياقاً:نَزع بها عند الموت، تقول:رأيت فلاناً يسوق سُوقاً، أي يَنزِعُ نَزعاً عند الموت»[1].

ويقول الزمخشري: «تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليها يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده»[2]. مما سبق يلحظ معنى التتابع والتوالي والتسلسل في استعمال لفظ السياق، كما في سوق الإبل والدواب، وسوق النفس عتند الموت، وتتابع الكلام وتسلسله. أمّا في غير العربية، فالسياق كما يقول عيد بلبع: «يتكون Context من السابقة اللاتينية بمعنى مع، وTextus اللاتينية – أيضا – التي تعني النص أو المتن»[3].

أمّا السياق (اصطلاحاً): فالدراسات اللغوية تذكر أنّ كلمة (السياق) كانت شائعة بين القدماء بمدلولها اللغوي العام، ولم تحمل مفهومها الاصطلاحي المعروف لها الآن عند علماء الدلالة المحدثين إلا بعد استخدام مالينوفسكي وفيرث لها، فالقدماء لم ينصُّوا على تعريف اصطلاحي للسياق على الرغم من ممارستهم له

---

(١) ابن منظور،لسان العرب،١٠/ ١٦٦،(مادة: سوق).

(٢) أساس البلاغة، ١/ ٤٨٤.

(٣) عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع،ط١، شبين الكوم، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص١٢٦

Scanned by CamScanner

ولأهميته»[1]. يذكر أولمان أنَّ السياق هو: «النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة. إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة فحسب بل القطعة كلّها، والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل – بوجهٍ من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروفٍ وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»[2]. أما تمام حسان فيستند في تعريفه للسياق على معناه اللغوي وعلى نوعيه، فهو – عنده –: «التوالي من ناحيتين؛ الأولى: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب، ومن هذه الزاوية يُسمّى (سياق النص)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال ويُسمّى (سياق الموقف)»[3].

وشبيه بتعريف تمام حسان ما ذكره جمعان عبد الكريم بقوله: «أما السياق في الدراسة اللغوية الحديثة، فيعنى به كل ما يتعلق بأحوال المتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه؛ ولذلك فهو ينقسم إلى قسمين، وقد انطلق أغلب اللغويين في تعريف السياق من تعريف قسميه كلٌّ على حِدة»[4].

---

(١) قد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال، فيتوهم البعض أن هذا المصطلح واضح مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه بدا الأمر عسيراً غاية العسرة وغامضا أشدّ الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصية على التحديد الدقيق، بشكل متفق عليه بين الدارسين، مصطلح الكلمة، ومصطلح الجملة، ومصطلح السياق ". محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين،عالم الكتب،ط١، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م،ص٢٨.

(٢) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر،مكتبة الشباب، ط١، القاهرة،١٩٩٢م، ص ٦٢.

(٣) تمام حسان، مقال قرينة السياق، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم،مطبعة عبير للكتب،ط١، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م،ص٣٧٥.

(٤) جمعان عبد الكريم،إشكالات النص، دراسة لسانية نصية،المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء،٢٠٠٩م،ص٤٠٠.

Scanned by CamScanner

مما سبق من تعريفات يتبين لنا أن السياق هو كل ما يحيط بالنص من عوامل تعين على فهمه، سواء أكانت عوامل لغوية داخلية، متمثلة في العلاقات الصوتية، والصرفية،والنحوية،والدلالية، أم عوامل غير لغوية خارجية متمثلة في حال المخاطِب، والمخاطَب،وكذلك الزمان والمكان، والغرض من النص ودواعيه، والإشارات والإيماءات والتلميحات، والحركات الجسمية بوجه عام المصاحبة للموقف الكلامي...إلخ

السياق والتداولية:

يمثل السياق بُعداً جوهرياً فى التداولية إلى حد دخل معها فى تعريفها، إذ يشير جيفرى ليتش G.Leech إلى فكرة مقامات الكلام Speech situations فى تحديد الفرق بين التداولية والدلالة، وذكر أن العناصر المكونة لهذا المقام تتمثل فى: «المرسل والمستقبل ـ السياق ـ الأهداف والمقاصد ـ قوة فعل الكلام ـ الملفوظ» ورأى أنه من الممكن أن يضاف إليها عنصرا الزمان والمكان، ثم ذكر أن التداولية تتميز عن الدلالة فى كونها تهتم بالمعنى فى علاقته بمقام الكلام[1]. فالتداولية «تدرس استعمال اللغة فى السياق، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معانى مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق»[2].

(١) جيفري ليتش وجيني توماس: اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية(المعنى في السياق)، الموسوعة اللغوية، تحرير د. ن.ي. كولنج، ترجمة د. محي الدين حميدي، ود. عبدالله الحميدان، مج١، كلية اللغات، جامعة الملك سعود، ص ١٩٤:١٧٣.

(٢) انظر للتفصيل:

- عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس. مجلة فصول، العدد٦٦، ٢٠٠٥م، ص٤٠.
- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٢.

ويُعدُّ السياق من بين أهم العناصر التداولية المساعدة على التواصل؛ وإقامة العلاقة بين المتواصلين؛ لذا اعتمد المفسرون على هذا العنصر؛ لضمان التواصل بين القارئ والنص القرآني، و«تأتي علاقة السياق بالمعنى من كون العديد من الملفوظات، لا يمكن تحديد معناها بدقة إلاّ بمعرفة سياقها الذي وردت فيه؛ فعادة ما يسأل شخص عن معنى كلمة، فيضطر إلى التساؤل عن سياقها الذي وردت فيه، وفي هذا الصدد يقول بيرغيرو: «إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول عندما توضع في سياقها»[(١)].

ولأهمية السياق – سياق الموقف – في التداولية يقول ديكرو: «إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها...، ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهوية هؤلاء...، وإننا لنعرف التداولية – غالباً – بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة»[(٢)]. فالتداولية تراعي السياق – بنوعيه: اللغوي(الداخلي/ المقالي) وغير اللغوي(الخارجي/ المقامي) - الذي يضمن نجاح عملية التواصل.

---

(١) انظر للتفصيل:

- علي آيت أوشان – النص والسياق الشعري(من البنية إلى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، المغرب، ٢٠٠٠م، ص٣٩.
- حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، ط١، لبنان، ٢٠٠٥م، ص١٢٨.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط١، لبنان، ٢٠٠٥م، ص١٨٧.

(٢) أوزوالد ديكرو، مقام الخطاب، مقال ضمن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط٢، المغرب، ٢٠٠٧م، ص٦٧٧.

Scanned by CamScanner

العلاقة بين النص والسياق

العلاقة بين النص والسياق جدُّ وثيقة، لدرجة تجعل الإنسان يظنهما وجهين لعملة واحدة، حيث إن نصية النص تخلق نوعا من التماسك والترابط الداخلي بين مكونات النص من ناحية، والترابط بين النص وما يحيط به من ظروف وملابسات غير لغوية من ناحية أخرى ولأهمية السياق تناوله كثير من الدارسين قديماً وحديثاً، فمنهم من تناوله من خلال قضايا لغوية أخرى، ومنهم من أفرد له بحثاً، أو رسالة، أو كتاباً[1].

---

(١) ومن هذه الأعمال حول السياق:

- محمد بنعدة، السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله - المغرب - ١٤١٨هـ.
- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى،١٤٢٤هـ.
- السياق ودلالته في توجيه المعنى، فوزي إبراهيم عبد الرازق، رسالة دكتوراه في اللغة العربية،كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- نوح الشهري، أثر السياق في النظام النحوي مع تطبيقات على كتاب:البيان في غريب القرآن لابن الأنباري،، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م.
- سعيد بن محمد الشهراني، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- عبد الحكيم القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٢٠هـ.
- إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٤١١هـ.
- عبد النعيم عبد السلام خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية واللغات الشرقية، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ.
- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، ١٩٨٧م.
- علي عزت، اللغة ونظرية السياق، مقال في مجلة الفكر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد(٧٦)، ١٩٧١م...إلخ.

Scanned by CamScanner

كما تعد نظرية السياق عماد علم الدلالة، يقول حلمي خليل: «نظرية السياق تشكل - بلا شك - ركنا هاما من أركان علم الدلالة الآن؛ لأنّ التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي، أو معنى ظاهر النص، وهو معنًى فارغٌ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزلٌ تماماً عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى»[1]. ومن ثمّ يقسم تمام حسان ما يسميه المعنى الدلالي - وهو عنده محصلة السياق اللغوي والاجتماعي معاً - إلى قسمين:

الأول: المعنى المقالي وهو مكوّن من المعنى الوظيفي والمعجمي ويشمل القرائن المقالية.

الثاني: المعنى المقامي وهو مكوّن من ظروف أداء المقال التي تشتمل على القرائن الحالية[2].

والمقامية أو سياق الموقف «Situationality» من معايير النصية السبعة التي ذكرها ديبوجراند ودريسلر، وتختص بمناسبة النص للموقف الذي قيل فيه، وهي من الأهمية بمكان، بحيث يفهم على ضوئها - كما مر - النص، وهي - كما يقول دي بوجراند-: «تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف، كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية، يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر»[3]. إذا كان للسياق هذا الدور الفعال، وهذا الأثر الواضح في فهم معنى النص، والذي أدركه اللغويون والبلاغيون والمفسرون والأصوليون قديماً * والمحدثون والغربيون حديثاً، صار لزاماً علينا أن نستجلي بعض الجوانب لمفهوم السياق وأنواعه وأهميته عند القدماء والمحدثين.

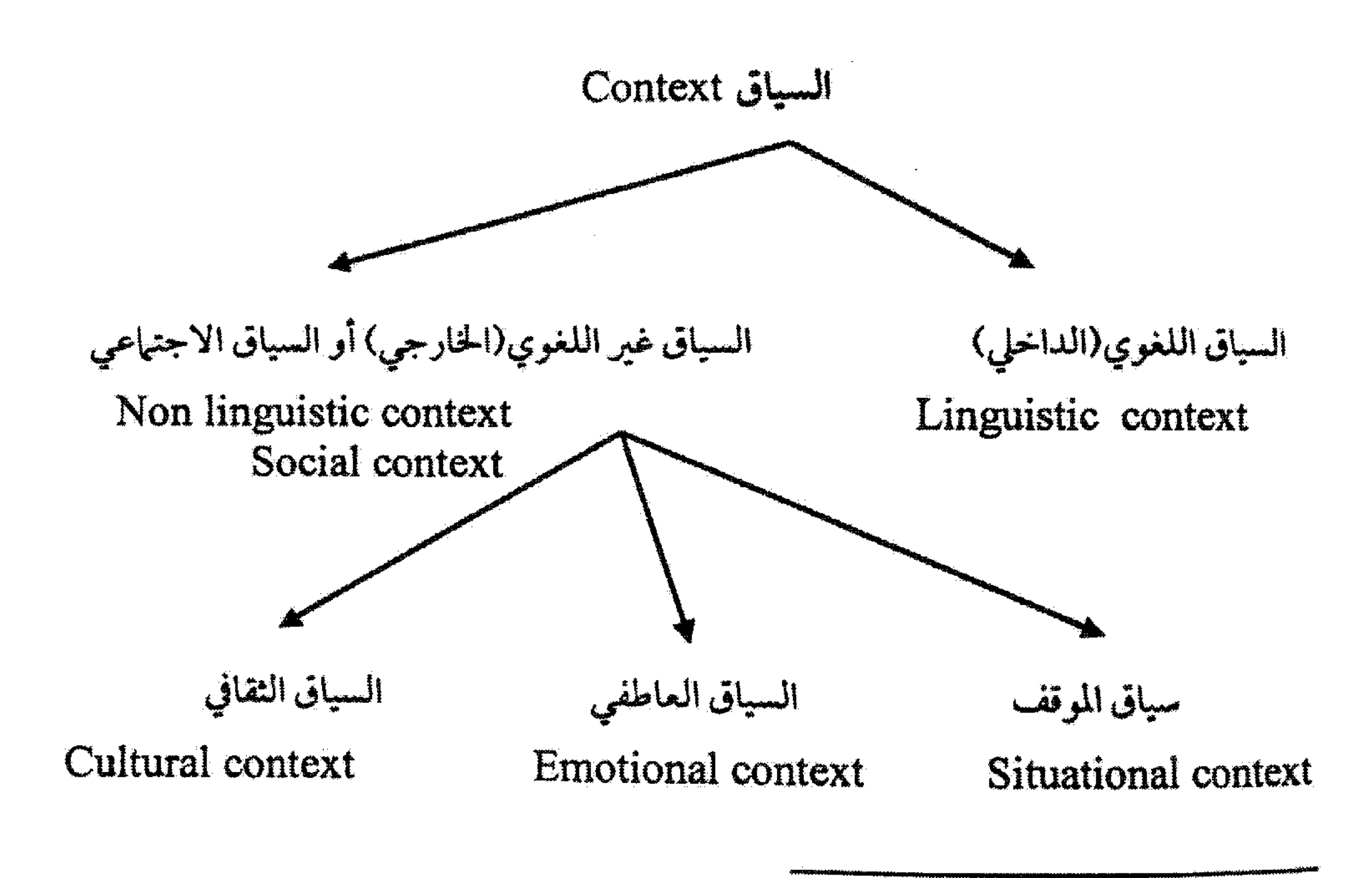
---

(١) الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص١٦٢.
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٣٣٩.
(٣) النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤.

Scanned by CamScanner

أنواع السياق:

تباينت تقسيمات اللغويين المحدثين للسياق بين الإجمال والتفصيل؛ فمنهم من جعل السياق نوعين: أحدهما: السياق اللغوي، والآخر: السياق غير اللغوي أو الاجتماعي(١). ومنهم من جعل السياق ثلاثة أنواع: **أولها**: السياق اللغوي، **والثاني**: سياق المقام، **والثالث**: السياق الثقافي(٢)، ومنهم من جعل السياق أربعة أنواع؛ فزاد على تقسيم الثلاثي السابق السياق العاطفي(٣). بيد أنني أفضل التقسيم الثنائي الذي يشمل الأنواع الأربعة المذكورة آنفاً، والذي يبينه المخطط الآتي:



---

(١) ينظر:
- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط١، دار قباء، القاهرة، ص١٥٩،.
- الكلمة. دراسة لغوية معجمية، ص١٦١.
- السياق وتوجيه دلالة النص، ص١٣٠-١٣١.

(٢) عاطف مدكور. علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٤١ وما بعدها

(٣) علم الدلالة،ص٧١:٦٩، ويحيى عبابنة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي،ط١، الأردن، ص٩٦-٩٧.

Scanned by CamScanner

وربما دفع الباحث لهذا الاختيار ما ذكره محمود فهمي حجازي بقوله: «كلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدهما في أمرين، هما السياق اللغوي «Linguistic context» على عكس السياق الاجتماعي عند فيرث باسم «Context of situation» أي سياق الموقف، وعند بالمر«Non linguistic context» أي السياق غير اللغوي»[1]. وكذلك ما ذكره محمد خطابي عندما تحدث عن كيفية تفسير معنى النص بقوله: «السامع أو القارئ حين يحدد - بوعي أو بدون وعي- وضعية عينة لغوية يستدعي بنيتين: خارجية وداخلية؛ تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام، أي أنّ المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط»[2].

وقد تفاوتت تعريفات المحدثين للسياق اللغوي، فمنهم من نظر إليه باعتبار دوره في فهم دلالة الكلمة في ضوء ما يسبقها وما يليها،وآخر نظر إليه باعتبار العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات[3].

---

(١) مدخل إلى علم اللغة،ص١٥٩.

(٢) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٤.

(٣) من الفريق الأول:

- محمد حماسة،النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط١، ١٩٨٣م، ص١١٧.
- ومحمد حسن جبل، المعنى اللغوي، مكتبة الآداب،ط١، القاهرة،٢٠٠٥م، ص٢٢٠.
- وعاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص٢٤١.

ومن الفريق الثاني:

- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص١٥٩.
- وحلمي خليل،الكلمة. دراسة لغوية معجمية،ص١٦١.
- وعيد بلبع،السياق وتوجيه دلالة النص،ص١٣٠.
- محمد حبلص،البحث الدلالي عند الأصوليين،ص٣١.

Scanned by CamScanner

أمّا بالنسبة لتعريفات السياق غير اللغوي(الاجتماعي) فملخصها: كل ما يتعلق بالنص من أشياء خارج النص تساعد على فهم معنى النص[1].

مما سبق يتبين لنا الآتي:

أولاً: السياق ينقسم إلى نوعين فقط يندرج تحتهما كل السياقات هما: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي؛ وذلك لأن السياق اللغوي معروف، وهو توالي العناصر اللغوية التي يتكون منها النص، ويتحقق بها السبك والحبك داخل النص، وكل ما عدا ذلك فهو ينتمي إلى السياق غير اللغوي؛ لأنه يضم كل العناصر غير اللغوية التي تسهم في تفسير النص وفهمه؛ فهو يضم السياق الاجتماعي، والسياق الثقافي، وسياق الموقف؛ لأنها جميعاً سياقات تشتمل على أمورٍ غير لغوية، وإن كانت تؤثر في السياق اللغوي، وتسهم في تفسيره.

ثانياً: لم نفرد للسياق التاريخي، أو السياق الديني، أو السياق السياسي، أو السياق الاقتصادي فرعاً خاصاً به؛ لأنها جميعاً تنضوي تحت السياق الاجتماعي؛ فهي جميعاً من الخصائص الاجتماعية التي يجب معرفتها عن العصر(الزمن)، والبلد(المكان) اللذين قيل فيهما النص، فيجب معرفة العقيدة الدينية لهذا البلد، وكذلك المواقف التاريخية سواء معارك، أو انقلابات، أو...إلخ، وكذلك الأحوال السياسية والاقتصادية، وبخاصة إذا كان لها تأثير في إيضاح النص وتفسيره.

---

(١) للتفصيل انظر:

- تمام حسان: الأصول، دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،ص٣٠٤.
- السياق توجيه ودلالة النص، ص١٣١.
- علم اللغة المعاصر، ص٣٧.
- إبراهيم الدسوقي، نحو النص، قصة موسى عليه السلام في النص القرآني نموذجاً، رسالة دكتوراه، دار العلوم -القاهرة، ص٢٠٠.

Scanned by CamScanner

لقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالسياق بنوعيه – اللغوي(المقالي)، وغير اللغوي(المقامي) – مما يدل على أهميته الواضحة في تفسير النصوص، والكشف عن علاقاتها السطحية، والعميقة.

ولقد أدرك أسلافنا من علماء العربية ما أراده المحدثون الآن من أنَ النص اللغوي، إنما هو نص في موقف، فما ذكره هؤلاء المحدثون من علماء النص حول «سياق الموقف» (المقامية) لا تكاد تخرج دائرته عما قاله العرب قديماً. يقول عبد الفتاح البركاوي بعد أن خلص من مناقشة مفاهيم السياق إلى أن: «مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من المقام والحال والموقف، وأنَ مفهوم السياق يتسع أيضاً ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النص«Context Verbal »، وسياق الموقف أو المقام الخارجي، وهو ما يعرف بـ « Context of situation » أي أنَّ هذا السياق كما فهمه العلماء العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعاً»[1].

بيد أنَ علماء العربية لم يتمكنوا من صياغة نظرية منهجية متكاملة تُسمَّى السياق، لكن إرهاصاتهم العبقرية عن السياق جاءت في صورة مقولات كثيرة ومتناثرة في ثنايا كتبهم السامقة، حيث لم يفردوا السياق بدرس لغوي مستقل؛ «حيث كان السياق في الأعمال القديمة ينصَّبُ على معنى العبارة المفردة، أو معنى عدة عبارات مأخوذة على هذا الشكل المتمايز الأجزاء، على نحو ما تتمايز حبات العِقدِ فيما بينها، والحق أن المعنى يُفهم من السياق أكثر مما يفهم من الوحدات الصريحة التي تؤلفه»[2].

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة المعاصر،ص ٣٠.
(٢) البلاغة والأسلوبية، ص٣٢١.

أسباب النزول وعلاقتها بالسياق:

جدير بالذكر أن معنى سبب النزول: «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ـ ﷺ ـ أو سؤال وُجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله ـ تعالى ـ ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال»[1]، وليس لكل آية وردت في كتاب الله ـ تعالى ـ سبب نزول، فكثير من الآيات نزل من الله ابتداء لمجرد هداية الخلق، أما ما نزل مرتبطاً بسبب – وهو كثير أيضاً – فلا يمكن استعراضه جميعه، حيث إن ذلك شأوٌ بعيدٌ، وقد أفرده الكثيرون بالتأليف، وأبرزهم: الواحدي والنيسابوري والسيوطي...إلخ. كما تعد معرفة أسباب النزول من ألصق الموضوعات بسياق المقام، أو السياق الاجتماعي، فما من مفسرٍ للقرآن إلاّ تعرض لأسباب النزول بغية الوقوف على الفهم الصحيح للنص القرآني، يقول تمام حسان: « يُحتِم الأصوليون على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن، أموراً لا ينبغي أن يغفل عنها، هي في الواقع «مقام» للفهم، فعليه مثلاً:

١. ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.

٢. ألا يغفل عن السنة في تفسيره.

٣. أن يعرف أسباب النزول.

٤. أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة «المقام»، ولا ينبغي لمن يتصدى لتفسير آية أن يغفل عن مقامها[2]. وهذا الواحدي يذكر أهمية سياق الموقف – متمثلاً في معرفة أسباب نزول الآيات – في تفسير النص القرآني وبيان معاني آياته،

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، القاهرة، ص١٠٦.
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٤٨.

Scanned by CamScanner

يقول: «عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن، وأما اليوم فكل واحدٍ مخترعٌ شيئاً، ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة غير مفكرٍ في الوعيد للجاهل بسبب الآية»[1]. وينقل السيوطي نصاً آخر عن الواحدي يقول: «قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها»[2]. ويقول ابن تيمية: «ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية: فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات، حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال»[3]. وبالمثل قال الزركشي[4]، والشاطبي[5].

مما سبق نخلص إلى أهمية أسباب النزول في تفسير القرآن، كما يعد وجهاً من وجوه السياق الخارجي(غير اللغوي) في فهم المعنى المراد للنص القرآني؛ وذلك لتعلق أسباب النزول بمعرفة حال الخطاب، «كما ينبغي أن نشير إلى أن المفسرين قد فطنوا منذ زمنٍ سحيقٍ في القدم إلى الفرق بين ظاهر النص القرآني وباطنه»، فكان فهمهم هذا

---

(١) انظر:

- الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، ط١، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص٥: ٦.
- السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٦.

(٢) ينظر:

- لباب النقول في أسباب النزول، ص٥.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٦٨هـ ١/ ٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٢.

(٥) الموافقات ٤/ ١٤٦.

Scanned by CamScanner

الفرق تفريقاً منهم بين المعنى «المقالي» والمعنى «المقامي»[1]. كما أنه لابد من تضافر السياقين معاً– كما سيتبين لنا بعد قليل إن شاء الله – فالسياق بنوعيه– اللغوي وغير اللغوي – مرجح دلالي بين كثير من الأقوال والآراء التي ازدحمت بها كتب التفسير، خاصة في تلك الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، ففهم المعنى دوَّارٌ مع السياق «وكأن السياق هو الذي ينطق الكلمات ويُصرِف لسانها... إلخ»[2]. ولا شكَّ أن المفسرين اعتمدوا على السياق القرآني بنوعيه في تحليل الآيات، والكشف عن معانيها، ثم إن اعتبار المفسرين السياق منهجاً عاماً في تفسيرهم للقرآن الكريم جعلهم يوظفونه في فهم دلالات ألفاظه وتراكيبه، «وقد تجلى اعتماد المنهج السياقي أكثر ما تجلى في تفسير القرآن بالقرآن ولما كانت دلالة السياق من أهم القرآئن التي تدل على مراد المتكلم، وإثبات المعنى المراد دون غيره، فإن المفسرين اهتموا بمنهج السياق، واعتبروا كل قولٍ لا يؤيده السياق لا عبرة به، ولا يعول عليه»[3].

السياق القرآني ودوره:

(أ) في فهم المعنى:

(أ-١) النساء

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣٩.

(٢) محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، ط٤، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص٢٤٠.

(٣) أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص٢٠٠.

Scanned by CamScanner

شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(النساء: ٣٢). هل النهي عن التمني في أمور: الدنيا وأنصبة المواريث بين الرجال والنساء أم في أمور: منازل الفضل وفعل الخيرات ؟ ذكر الرأيين الطبري فقال في الرأي الأول: «عن ابن عباس قوله: «﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، يقول: لا يتمنى الرجل يقول:«ليت أنّ لي مالَ فلان وأهلَه»! فنهى الله ـ سبحانه ـ عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله، وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يتمنَّ بعضكم ما خصّ الله بعضًا من منازل الفضل»[1].

وبالرجوع إلى أسباب النزول للواحدي يقول: «قوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ قالت أم سلمة: يارسول الله تغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ .. ﴾، عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد، فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، وقال قتادة والسدي: لما نزل قوله– ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ للذكر مثل حظ الأنثيين – قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء، وقالت النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾»[2]. ولكن أبا حيان – بعد ما ذكر أسباب النزول – يربط بين الآية وسياق الآيات التي قبلها، فيقول:«ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه ـ تعالى ـ لما نهى عن أكل المال بالباطل، وعن قتل الأنفس، وكان ما نهى عنه مدعاة إلى التبسط في الدنيا والعلو فيها وتحصيل حطامها، نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعضهم على بعض، إذ التمني لذلك سبب مؤثر في

(١) تفسير الطبري ٨/ ٢٦١،٢٦٤.

(٢)أسباب النزول ١/ ٩٩، ١٠٠.

Scanned by CamScanner

تحصيل الدنيا وشوق النفس إليها بكل طريق، فلم يكتف بالنهي عن تحصيل المال بالباطل وقتل الأنفس، حتى نهى عن السبب المحرّض على ذلك، وكانت المبادرة إلى النهي عن المسبب آكد لفظاعته ومشقته فبدىء به، ثم أتبع بالنهي عن السبب حسماً لمادة المسبب، وليوافق العمل القلبي العمل الخارجي فيستوي الباطن والظاهر في الامتناع عن الأفعال القبيحة، وظاهر الآية يدل على النهي أن يتمنى الإنسان لنفسه ما فضل به عليه غيره، بل عليه أن يرضى بما قسم الله له، وتمني ذلك هو أن يكون له مثل ما لذلك المفضل»[1]. أي: أن أبا حيان يرجح أن النهي عام في كل الأمور دون تقييد أو تخصيص بأسباب النزول – وهو الرأي الثاني الذي ذكره الطبري – استناداً إلى سياق الآيات اللغوي– وذهب إلى ترجيح هذا الرأي من قبله الزمخشري[2]، وهو أولى القولين عند الباحث؛ لأن الأصل في النص القرآني أن يؤخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أن العموم يشمل أمور الدنيا والآخرة فهو أعم وأشمل من الرأي الثاني –فلا تعارض–. وهل نصيب الرجال ونصيب النساء – أيضاً – في أمور التوريث أو في أمور الفضل والطاعات ؟

وقد ذكر الرأيين – أيضاً – الطبري فقال: «اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: للرجال نصيب مما اكتسبوا، من الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، وللنساء نصيب من ذلك مثل ذلك. وقال آخرون: بل معنى ذلك: للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم، وللنساء نصيب منهم»[3]. وفي الترجيح بين القولين. قال الطبري معتمداً على السياق اللغوي: «وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: معناه: للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه مما

(١) البحر المحيط ٤/ ١١٣، ١١٤.
(٢) الكشاف ١/ ٥٣٥.
(٣) تفسير الطبري ٨/ ٢٦٥، ٢٦٦.

Scanned by CamScanner

اكتسبوا فعملوه من خير أو شر، وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كما للرجال. وإنما قلنا: إن ذلك أولى بتأويل الآية من قول من قال: «تأويله: للرجال نصيب من الميراث، وللنساء نصيب منه»؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أن لكل فريق من الرجال والنساء نصيبًا مما اكتسب. وليس الميراث مما اكتسبه الوارث، وإنما هو مال أورثه الله عن ميّته بغير اكتساب، وإنما (الكسب) العمل، و(المكتسب): المحترف. فغير جائز أن يكون معنى الآية - وقد قال الله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾، للرجال نصيبٌ مما ورِثوا، وللنساء نصيب مما ورثن؛ لأن ذلك لو كان كذلك لقيل: «للرجال نصيب مما لم يكتسبوا، وللنساء نصيب مما لم يكتسبن»!![1].

أما أبوحيان فذكر أربعة أقوال، فيقول: «قال ابن عباس: معناه من الميراث، لأن العرب كانت لا تورث النساء. وضعف هذا القول لأن لفظ الاكتساب ينبو عنه، لأن الاكتساب يدل على الاعتمال والتطلب للمكسوب، وهذا لا يكون في الإرث؛ لأنه مال يأخذه الوارث عفواً بغير اكتساب فيه...، وقالت فرقة: المعنى أن الله ـ تعالى ـ جعل لكل من الصنفين مكاسب تختص به، فلا يتمنى أحد منهما ما جعل للآخر. فجعل للرجال الجهاد والإنفاق في المعيشة، وحمل التكاليف الشاقة كالأحكام والإمارة والحسبة وغير ذلك. وجعل للنساء الحمل ومشقته، وحسن التبعل، وحفظ غيب الزوج، وخدمة البيوت. وقيل: المعنى مما اكتسب من نعيم الدنيا، فينبغي أن يرضى بما قسم الله له، وهذه الأقوال الثلاثة هي بالنسبة لأحوال الدنيا. وقالت فرقة: المعنى نصيب من الأجر والحسنات»[2]. أي: أن أباحيان ومن قبله الطبري يضعفان الرأي

---

(١) تفسير الطبري، ٨/ ٢٦٧.

(٢) البحر المحيط، ٤/ ١١٤،١١٥.

Scanned by CamScanner

الأول استناداً إلى المعنى الدلالي للفظ الاكتساب وهو سياق لغوي -أيضاً-، بينما نجد الألوسي يرجح الرأي الأول في تحديد الأنصبة في المواريث استناداً إلى النظم القرآني وسياق الحديث في الآيات السابقة عن الميراث وأنصبة كل من الفريقين: الرجال والنساء، وهذا ما يؤكده - أيضا- سبب النزول، يقول: «والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده، وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيدًا؛ لاستحقاق كل منهما لنصيبه، وتقوية لاختصاصه بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور انتهى»[1].

ويرى الباحث أن ما يؤكده السياق بنوعيه - اللغوي وغير اللغوي(سبب النزول)- أولى مما يؤكده أحد نوعيه فقط، وهو ما ذكره الألوسي من صحة التأويل بما يتناسب مع سبب النزول، وكذلك سياق الآيات السابقة عن أنصبة المواريث، واستخدام لفظ الاكتساب على لغة التغليب.

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء: ٤٣). فالمعنى الظاهري لنص الآية يثير عدة تساؤلات منها: هل المنهي عنه السكر في الصلاة فقط دون غيرها؟ وهل المقصود من السكر هو ذهاب العقل الناتج عن شرب الخمر أم سكر النوم؟ وقد ذكر الرأيين الطبري فقال: «اختلف أهل التأويل في(السكر) الذي عناه الله بقوله:

(١) روح المعاني ٥/ ١٩.

Scanned by CamScanner

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾. فقال بعضهم: عنى بذلك السكر من الشراب. وقال آخرون: معنى ذلك: لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى من النوم»[1]. وبالعودة إلى أسباب النزول- سياق الموقف «غير اللغوي»- يتبين لنا الإجابة عن السؤال الأول. يقول الواحدي: «نزلت في أناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة وهم نشاوى، فلا يدرون كم يصلون ولا ما يقولون في صلاتهم...، عن أبي عبد الرحمن قال: صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا أناساً من أصحاب رسول الله -ﷺ-، فطعموا وشربوا، وحضرت صلاة المغرب فتقدم بعض القوم فصلى بهم المغرب، فقرأ - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾- فلم يقمها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾»[2].

ويذكر أبو حيان سبباً آخر للنزول، فيقول: «وقيل: نزلت بسبب قول عمر ثانياً: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، وكانوا يتحامونها أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها، فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر، إلى أن سأل عمر ثالثاً فنزل تحريمها مطلقاً»[3]. وذكر الطبري -من قبل- قوله: «﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾، قال: كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات، ثم نسخ بتحريم الخمر»[4]. أي أن النهي المذكور في الآية كان نهياً يخص السكر حين دخول وقت الصلاة فقط دون غيرها من بقية الأوقات، ولم يكن شرب الخمر قد نزل في تحريمه شيء بعد. وفي الإجابة عن السؤال الثاني، يقول الطبري: «وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، تأويل من قال: ذلك نهيٌ من الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر، للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله -

(١) تفسير الطبري ٨/ ٣٧٦، ٣٧٧.
(٢) أسباب النزول ١/ ١٠٢، ١٠٢.
(٣) التحرير والتنوير ٤/ ١٤٠.
(٤) تفسير الطبري ٨/ ٣٧٧.

ﷺ- بأن ذلك كذلك، نهيٌ من الله، وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه»[1]. وذكر الرأيين أبو حيان إلاّ انه زاد رأياً ثالثاً ولكنه رجح الرأي الأول فقال: (والجمهور على أن المراد: وأنتم سكارى من الخمر، وقيل: المراد السكر من النوم، لقوله ﷺ: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه» وقيل....: المراد بقوله وأنتم سكارى إذا كنتم حاقنين، لقوله ﷺ: «لا يصلين أحدكم وهو حاقن» وفي رواية: «وهو ضام فخذيه»)[2].

ويرجح الباحث الرأي الأول؛ وذلك بتعانق السياقين معاً – اللغوي وأسباب النزول «غيراللغوي»-؛ وذلك لأن الآية تمثل مرحلة من مراحل تحريم شرب الخمر مع ما قبلها في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة:٢١٩)، وما بعدها في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠)، وهو يمثل السياق اللغوي، ومع الأخذ بأسباب النزول وهو يمثل السياق غير اللغوي.

(أ-٢) الأعراف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(الأعراف: ١٦٤). اختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، هل كانت من الناجية، أم من الهالكة!؟.. ذكر الطبري دون ترجيحٍ فقال: «فقال بعضهم: كانت من الناجية، لأنها كانت هي الناهيةَ الفرقةَ الهالكةَ عن الاعتداء في السبت. وقال آخرون: بل الفرقة التي قالت:﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، كانت من الفرقة الهالكة»[3]. وجاء في سبب

---

(١) تفسير الطبري ، ٨/ ٣٧٨.

(٢) التحرير والتنوير ٤/ ١٤١. القرطبي، ٥/ ٢٠١.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ١٩٦: ١٩٩.

Scanned by CamScanner

نزول الآية-سياق الموقف«غير اللغوي»-: «عن عكرمة قال: جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تَقَدَّمْتُ فَجَلَسْتُ، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس، جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات! قال: وإذا هو في «سورة الأعراف»، قال: تَعْرِفُ أَيْلَةَ! قلت: نعم! قال: فإنه كان حيّ من يهود، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغُوصوا، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تنبطحُ ظهورُها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام! فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، وتنحّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت. وقال الأيمنون: ويلكم! اللهَ، اللهَ، ننهاكم أن تعرّضوا لعقوبة الله! وقال الأيسرون:﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾؟ قال الأيمنون:﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ينتهون، هو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم، يا أعداء الله! والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب! فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلّمًا، وأعلوا سور المدينة رجلاً فالتفت إليهم فقال: أي عبادَ الله، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكي، فتقولُ لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم! ثم قرأ ابن عباس: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا﴾ . قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: إنَّ جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾؟ قال: فأمرَ بي فكسيت بُرْدَين غليظين»[1]. أي: أن ابن عباس أظهر خوفه لعدم وضوح نجاة الطائفة– استناداً إلى سياق الموقف فقط «سبب النزول» – التي تنحت ولم تعظ، وحينما ذكر له عكرمة –استناداً إلى السياق اللغوي– أنهم من الناجين؛ لأنهم كرهوا ما علية الطائفة الظالمة انشرح صدره وأهداه البردين.

أما الزمخشري فإنه يرجح كون الفرقة التي قالت﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾أنها من الناجين استناداً إلى السياق اللغوي، وكذلك سياق حال القوم، فقال: «فإن قلت: الأمة الذين قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين؟ قلت: من فريق الناجين، لأنهم من فريق الناهين. وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه، حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم. وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه، سقط عنه النهي، وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث. ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه، كان ذلك عبثاً منك، ولم يكن إلاّ سبباً للتلهي بك. وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إمّا لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين، ولم يخبروهم كما خبروهم، أو لفرط حرصهم وجدّهم في أمرهم كما وصف الله ـ تعالى ـ رسوله ـ ﷺ ـ في قوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (الكهف: ٦). وقيل: الأمة هم الموعوظون، لما وعظوا قالوا للواعظين: لم

(١) تفسير الطبري، ١٣/ ١٨٩.

تعظون منا قوماً تزعمون أنّ الله مهلكهم أو معذبهم ؟»[1]. وكذلك ذهب القرطبي مذهب الزمخشري، فقال: «ومما يدل على أنه إنما هلكت الفرقة العادية لا غير قوله: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. وقوله:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ الآية»[2].

وقد أكد ابن عاشور كون هذه الفرقة من الناجين اعتماداً على السياقين معاً – اللغوي وغير اللغوي«سياق الحال»– فقال:«قال المفسرون: إن أمة من بني إسرائيل كانت دائبة على القيام بالموعظة والنهي عن المنكر، وأمة كانت قامت بذلك ثم أيست من اتعاظ الموعوظين وأيقنت أن قد حقت على الموعوظين المصمين آذانهم كلمة العذاب، وأمة كانت سادرة في غلوائها لا ترعوي عن ضلالتها ولا ترقب الله في أعمالها. وقد أجملت الآية مما كان من الأمة القائلة إيجازاً في الكلام اعتماداً على القرينة؛ لأن قولهم﴿ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ يدل على أنهم كانوا منكرين على الموعوظين. وأنهم ما علموا أن الله مهلكهم إلا بعد أن مارسوا أمرهم وسبروا غورهم ورأوا أنهم لا تغني معهم العظات ولا يكون ذلك إلا بعد التقدم لهم بالموعظة. وبقرينة قوله بعد ذلك: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾؛ إذ جعل الناس فريقين فعلمنا أن القائلين من الفريق الناجي؛ لأنهم ليسوا بظالمين، وعلمنا أنهم ينهون عن السوء»[3].

• قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(الأعراف: ١٧٥). يروى أن الذي أوتي الآيات قولين: أحدهما: رجل من بني إسرائيل، والثاني: أمية بن أبي الصلت. وقد ذكر القولين الطبري فقال: «واختلف أهل التأويل فيه.فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل. وقالت ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت. وقال آخرون: كان بلعم هذا من أهل

---

(١) الكشاف، ٢/ ١٦٢.

(٢) تفسير القرطبي، ٧/ ٣٠٧.

(٣) التحرير والتنوير،١/ ١٦٦٢.

Scanned by CamScanner

اليمن. وقال آخرون: كان من الكنعانيين»[1]. ويذكر ابن عاشور القولين غير أنه زاد قولاً ثالثاً فقال: «وظاهر اسم الموصول المفرد أن صاحب الصلة واحد معين، وأن مضمون الصلة حال من أحواله التي عرف بها، والأقرب أن يكون صاحب هذا النبأ ممن للعرب إلمام بمجمل خبره، فقيل المعنى به أمية بن أبي الصلت الثقفي...؛ ذلك أن أمية بن أبي الصلت الثقفي كان ممن أراد اتباع دين غير الشرك طالبا دين الحق ونظر في التوراة والإنجيل فلم ير النجاة في اليهودية، ولا النصرانية، وتزهد وتوخى الحنيفية دين إبراهيم، وأخبر أن الله يبعث نبياً في العرب فطمع أن يكونه...، فلما بُعث محمد - ﷺ - أسف أن لم يكن هو الرسول المبعوث في العرب...، ورُوي عن أمية أنه قال لما مرِض مرَض موته» أنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد - ﷺ -، وقيل: نزلت في أبي عامر بن صيفي الراهب واسمه النعمان الخزرجي وكان يلقب بالراهب في الجاهلية؛ لأنه قد تنصر في الجاهلية، ولبس المسوح، وزعم أنه على الحنيفية فلما قدم النبي - ﷺ - المدينة دخل على النبي فقال: «يا محمد ما الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال: فإني عليها فقال النبي: لست عليها لأنك أدخلت فيها ما ليس منها» فكفر وخرج إلى مكة؛ يحرض المشركين على قتال النبي - ﷺ - ويخرج معهم إلى أن قاتل في حنين بعد فتح مكة فلما انهزمت هوازن يئس وخرج إلى الشام فمات هنالك.

وذهب كثير من المفسرين إلى أنها نزلت في رجل من الكنعانيين وكان في زمن موسى - عليه السلام - يقال له بلعام بن باعور وذكروا قصته فخلطوها، وغيروها واختلفوا فيها، والتحقيق أن بلعام هذا كان من صالحي أهل مدين وعرافيهم في زمن مرور بني إسرائيل على أرض (مؤاب)، ولكنه لم يتغير عن حال الصلاح وذلك مذكور

---

(1) تفسير الطبري، ١٣/ ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥.

في سفر العدد من التوراة في الإصحاحات [٢٢ - ٢٣ - ٢٤]، فلا ينبغي الالتفات إلى هذا القول لاضطرابه واختلاطه»[١].

ويرى الباحث: ترجيح قول ابن عاشور - كون الذي أوتي الآيات أمية بن أبي الصلت - هو الصواب؛ استناداً لسياق الحال لكل من الشخصيات موضع الاختلاف، حيث وجد أن أقرب الشخصيات استناداً إلى دراسة حالهم هو أمية بن أبي الصلت - هو الصواب؛ لأن السياق ومنه سياق الحال يرجح لنا أحد أسباب النزول إذا تعدد، كما أن أسباب النزول يرجح لنا أحد احتمالات السياق للترجيح - كذلك - إذا تعدد.

(ب) معرفة الناسخ والمنسوخ

تعتمد معرفة الناسخ والمنسوخ - على أرجح الأقوال - على زمن نزول الآيات، أو مكان نزولها، ومن المعروف مما سبق القول فيه أن الزمان والمكان من عناصر سياق الموقف (السياق غير اللغوي)، ومما لا شك فيه أن معرفة الزمان والمكان له من الأهمية - خاصة - في ترتيب الأحداث وما استقرت عليها الأحكام الفقهية...، مما يعني أن تجاهلهما يؤدي إلى إرباك النص بل إرباك المتلقي وفقدان النص لأهم معايير تماسكه - سبكه وحبكه - كما بينا سابقاً - وقصده وقبوله[٢]-. وقد اختُلِف في الناسخ والمنسوخ، لكن أرجح الأقوال ما أورده الزركشي- في البرهان حيث يقول: «الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين وكانت إحداهما متقدمة الأخرى، فالمتأخرة ناسخة الأولى»[٣]، وهو هنا يجعل المقياس زمن نزول الآيتين ثمَّ يقول: «وقيل: ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة»[٤]، وهو هنا يجعل المقياس هو مكان نزول الآيتين.

(ب-١) النساء:

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٦٧٢،١٦٧٣.

(٢) انظر للتفصيل: فصل القصد والقبول، ص٢٨١: ٢٣٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٦.

(٤) نفسه،٢/ ٣٦.

Scanned by CamScanner

• قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾النساء: ١٥ يقول الزمخشري: «﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي..﴾ » (الآية النور ٢)[١]، وبالمثل قال القرطبي[٢]، ويؤكد ابن عاشور حجة النسخ فيقول: وجزمنا بأن أول هذه السورة نزل قبل أول سورة النور وأن هذه العقوبة كانت مبدأ شرع العقوبة على الزنا فتكون هاته الآية منسوخة بآية سورة النور لا محالة كما يدل عليه قوله﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ قال ابن عطية: أجمع العلماء على أن هاتين الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور[٣].

يتضح لنا أن ظاهر النص – دون مراعاة السياق بنوعيه – يجعل عقوبة الزانية الحبس في البيوت حتى يأتي أجلهن، ولكن السياق اللغوي لنفس الآية يؤكد على أن هذا الحكم مؤقت حتى يحكم الله حكماً آخر، بدليل قوله ـ تعالى ـ:﴿ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ بعد قوله ـ تعالى ـ:﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ ﴾، ثم يأتي سياق الموقف (غير اللغوي) الذي يوضح لنا زمن ترتيب الآية لنفس الحكم الشرعي مع آية سورة النور؛ فيتضح أن الآية قد نسخت بآية النور وأصبح الحكم الذي استقر عليه الفقهاء هو الجلد أو الرجم. وبذلك فقد تعانق السياق – بنوعيه– في تماسك النص القرآني؛ لمعرفة الفهم الصحيح للحكم الشرعي لعقوبة الزنا الذي استقر عليه في الإسلام

(١) الكشاف،١/ ٥١٨.

(٢)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،، تحقيق: هشام سمير البخاري،دار عالم الكتب، ط ٢، الرياض، المملكة العربية السعودية١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م، ٥/ ٨٤.

(٣) التحرير والتنوير،١/ ٩٠٩.

Scanned by CamScanner

• قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء: ٢٤). يقول الزمخشري: «قيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ـ ﷺ ـ ثم نسخت؛ كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً: ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب أو غير ذلك، ويقضي منها وطره ثم يسرحها، وسميت متعة؛ لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها»[1]. ثم يذكر الزمخشري نسخ هذه الآية بما ورد في السنة فيقول: «وعن عمر أنه قال: لا أوتى برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمتهما بالحجارة، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه أباحها ثم أصبح يقول: (**يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا أن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة**)، وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين، وعن ابن عباس هي محكمة يعني: لم تنسخ، وكان يقرأ (**فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى**) ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته، وقال اللهم إني أتوب اليك من قولي بالمتعة»[2].

يقول القرطبي: «واختلف العلماء في معنى الآية، فقال الحسن ومجاهد وغيرهما: المعنى فما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن...، و قال ابن خويز منداد: ولا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة، لأن رسول الله ـ ﷺ ـ نهى عن نكاح المتعة وحرمه؛ ولأن الله تعالى ـ قال: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، ومعلوم أن النكاح بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين، ونكاح المتعة ليس كذلك. وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام. وقرأ ابن عباس وأبي وابن جبير (**فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى**

---

(١) الكشاف ١٠/ ٥٣٠.

(٢) نفسه،١/ ٥٣٠.

Scanned by CamScanner

فآتوهن أجورهن) ثم نهى عنها النبي ﷺ، وقال سعيد بن المسيب: نسختها آية الميراث، إذ كانت المتعة لا ميراث فيها، وقالت عائشة والقاسم بن محمد: تحريمها ونسخها في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (المؤمنون: ٥ – ٦). (وليست المتعة نكاحا ولا ملك يمين، وروى الدارقطني عن علي بن أبي طالب قال: نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن المتعة، قال: وإنما كانت لمن لم يجد، فلما نزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نسخت....إلخ»[1].

يتضح لنا مما سبق أن ظاهر النص القرآني يبيح للمسلمين نكاح المتعة على إطلاقه، وليس في القرآن نص صريح على تحريمه، ولكن (سياق الموقف) الذي يوضح لنا –ليس في النص القرآني فحسب وإنما في السنة المطهرة أيضاً– أنَ هذا النوع من الأنكحة قد حرمها الإسلام بما ورد في صحيح السنة عن النبي ـ ﷺ ـ وصحابته ـ رضي الله عنهم ـ ومن ثم كان دور السياق في تحديد الحكم الشرعي لنكاح المتعة في الإسلام.

(ج) تحديد المعنى الدلالي المقصود:

إن السياق يلعب دوراً مهماً في تحديد المعنى الدلالي المقصود للنص؛ حيث إن النص الواحد قد يمتلك غير دلالة إلا أن الذي يحدد إحدى هذه الدلالات هو السياق بنوعيه أو أحدهما، ويؤكد الدكتور محمد حماسة على هذا المعنى فيقول: «إن دلالة السياق تجعل الجملة الواحدة إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة اختلف معناها الدلالي باختلاف السياق الذي قيلت فيه، وذلك مهما كانت بساطة الجملة... »[2].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٥/١٢٨: ١٣٠.

(٢) النحو والدلالة ص١١٣..

(ج-١) النساء:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء: ١٢). يقول الزمخشري: «فإن قلت ما الكلالة ؟ قلت: ينطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولدًا ولا والدًا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد، ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة...، والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة من الأعياء[1] فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد»[2]. ويقول القرطبي: «قوله تعالى -: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ الكلالة مصدر؛ من تكلله النسب أي أحاط به. وبه سمي الإكليل، وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا احتل بها. ومنه الإكليل أيضا وهو التاج والعصابة المحيطة بالرأس. فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة. هذا قول أبي بكر الصديق وعمر وعلي وجمهور أهل العلم....، وأجمعوا على أن الكلالة من مات ليس له ولد ولا والد...، فسموا القرابة كلالة؛ لأنهم أطافوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم، وإحاطتهم به أنهم ينتسبون معه. كما قال أعرابي: مالي كثير ويرثني كلالة متراخ نسبهم»[3].

يتبين لنا أن معنى الكلالة اللغوي: بمعنى أحاط أو ذهاب القوة، وقد استعمل اللفظ في غير معناه اللغوي إلى معنى دلالي آخر فُهم من سياق الموقف(السياق غير اللغوي) وهي أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -، كما نستطيع أن نقول: إن السياق اللغوي يؤكد ذلك – أيضاً – من خلال ما ذكرته الآية قبل ذكر الكلالة من

---

(١) الكشاف ١/ ٥١٦.

(٢) يقال هو مصدر من تكَلَّله النسبُ أي: تطرَّفه؛كأنه أخذ طَرَفيه من جهة الولد والوالد، وليس له منهما أحد؛ فسمي بالمصدر، لسان العرب، ١١/ ٥٩٠، مادة(كلل).

(٣) تفسير القرطبي،٥/ ٧٦.

Scanned by CamScanner

وجود الولد أو عدم وجوده للزوج أو الزوجة، وحينها ذكر الكلالة سواء كان رجلاً أم امرأة لم يذكر معهما الولد، فأصبح الميت بلا ولدٍ وارث، فأحاطته قرابته وهم ليسوا منه ولا هو منهم بمنزلة الوالد أو الولد، هذا والله أعلم. وللألوسي كلام طيب - أيضاً - قريب من نفس المعنى[1].

• قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾(النساء: ١٢٧). فإن قوله تعالى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ من المعاني التي تحمل معنيين متضادين،أحدهما: وترغبون في أن تنكحوهن، والآخر: وترغبون عن أن تنكحوهن، ولا يحدد السياق اللغوي أحد المعنيين دون الآخر. يقول ابن عاشور:«ولحذف حرف الجر بعد ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ هنا موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى، أي: ترغبون عن نكاح بعضهن وفي نكاح بعض آخر، فإن فعل رغب يتعدى بحرف(عن) للشيء الذي لا يحب؛ وبحرف (في) للشيء المحبوب. فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف»[2].

ولكن سياق الموقف يساعد على تحديد أحد المعنيين دون الآخر، يقول القرطبي: «وقوله تعالى:﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: وترغبون عن أن تنكحوهن، ثم حذفت(عن)، وقيل: وترغبون في أن تنكحوهن ثم حذفت (في)، قال (سعيد بن جبير ومجاهد): ويرغب في نكاحها إذا كانت كثيرة المال، وحديث (عائشة) يقوي حذف(عن) فإن في حديثها: وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته التي

---

(١) روح المعاني ٤/ ٢٣٣.

(٢) التحرير والتنوير، ١/ ١٠٣٢.

تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال»[1]. أي أنه إذا كانت اليتيمة كثيرة المال والجمال كانت سبباً في الرغبة فيهن للزواج، والعكس صحيح – أيضاً – إذا كانت اليتيمة قليلة الجمال والمال كانت سبباً في الرغبة عنهن للزواج بهن. إذن: سياق الموقف يحدد أحد المعنيين بحسب الموقف، فإذا كانت اليتيمة كثيرة المال موفورة الجمال فإن الموقف يستدعي معنى الرغبة في الزواج، أما إذا كانت اليتيمة قليلة المال والجمال فإن الموقف يستدعي معنى الرغبة عن الزواج، والإعراض عنه، وبذلك فكل موقف يحدد المعنى الذي يتلائم معه.

(ج-٢) الأعراف:

• قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧). هل المقصود بنزع اللباس هو ما تعارف عليه الناس أم أنه مجاز عن شيءٍ آخر كالنور مثلاً أو التقوى؟ ذكر الطبري الأقوال الثلاثة ولكنه رجح الرأي الأول، فقال: «وقد اختلف أهل التأويل في صفة (اللباس) الذي أخبر الله ـ جل ثناؤه ـ أنه نزعه عن أبوينا، وما كان. فقال بعضهم: كان ذلك أظفارًا...، وقال آخرون: كان لباسهما نورًا...،

وقال آخرون: إنما عنى الله بقوله: ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ ، يسلبهما تقوى الله. والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله ـ تعالى ـ حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء، وأن يجرِّدهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما. (اللباس) المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس، وهو ما اجتابَ فيه اللابس من أنواع الكُسي، أو غطى بدنه أو بعضه.

(١) تفسير القرطبي، ٥/ ٤٠٣.

وإذ كان ذلك كذلك، فالحق أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما»[1]. ويذكر أبوحيان الرأيين مع ترجيح الرأي الأول، فيقول: «والظاهر أنّ لباسهما هو الذي كان عليهما في الجنة»[2]. أما ابن عاشور، فيقول: «واللباس يجوز هنا أن يكون حقيقة وهو لباس جللهما الله به في تلك الجنة يحجب سوآتهما كما روى أنه حجاب من نور وروي أنه كقشر الأظفار وهي روايات غير صحيحة والأظهر أن نزع اللباس تمثيل لحال التسبب في ظهور السوءة...، ولما كان إلهام الله آدم أن يستر نفسه بورق الجنة منة عليه وقد تقلدها بنوه خوطب الناس بشمول هذه المنة لهم بعنوان يدل على أنها منة موروثة وهي أوقع وأدعى للشكر...، واللباس اسم لما يلبسه الإنسان أي يستر به جزءاً من جسده فالقميص لباس والإزار لباس والعمامة لباس ويقال لبس التاج ولبس الخاتم قال تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (فاطر: ١٢)...»[3].

ويرى الباحث أن دلالة اللفظ تشمل كل المعاني ولا تعارض بينهما إلاّ أن سياق الآيات السابقة يرجح ما ذهب إليه الطبري وأبوحيان وابن عاشور من تحديد المعنى باللباس المعروف والمتعارف عليه بين الناس وذلك لقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾، وقوله ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤). يقول الزمخشري: «أي

---

(١) تفسير الطبري، ٣/ ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) البحر المحيط، ٥/ ٣٢٩.

(٣) التحرير والتنوير، ١/ ١٥١٢، ١٥١٣.

Scanned by CamScanner

يلحق الليلَ النهارُ، أو النهارَ بالليل يحتملهما جميعاً. والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: يغشى الليلَ النهارُ، بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار، أي يدرك النهارُ الليلَ ويطلبه حثيثاً، حسن الملاءمة لقراءة حميد»[1]. يقول السمرقندي: «قال تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ يعني أن الليل يأتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشى النهار الليل؛ لأن في الكلام دليلا عليه وقد بين في آية أخرى ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ (الزمر ٥)، فكذلك هاهنا معناه يغشى النهار الليل ويغشى الليل النهار يعني إذا جاء النهار يذهب بظلمة الليل وإذا جاء الليل يذهب بنور النهار»[2]. فقد اعتمد كلٌّ من الزمخشري والسمرقندي على السياق اللغوي في تفسير معنى ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في الآية وهو أن كليهما يغشي الآخر وهو من التراكيب النحوية، فقد اعتمد الزمخشري على قراءة حميدبن قيس، واعتمد السمرقندي على آية الزمر، وكلاهما سياق لغوي.

(د) اختيار صيغة صرفية معينة:

قد يفرض السياق صيغة صرفية معينة، فقد يستعمل (التصغير) مثلاً للتقليل من شأن المتحدث عنه، وقد تستخدم (صيغ المبالغة) عندما تراد المبالغة والتكثير، ومن ذلك:

(د-١) النساء:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

(النساء: ٩٧). يقول الألوسي حول صيغة الفعل (توفاهم) كونه للماضي أو للمضارع: «وتوفاهم يحتمل: أن يكون ماضياً وتُركت علامة التأنيث للفصل، ولأن الفاعل غيرالمؤنث حقيقي، ويحتمل: أن يكون مضارعاً، وأصله تتوفاهم؛ فحذفت إحدى

---

(١) الكشاف ٢/ ١٠٤.

(٢) السمرقندي، بحر العلوم، ت: محمود مطرجي، ط١، دار الفكر، بيروت،١٠٠/ ٥٣٧.

التاءين تخفيفاً، وهو لحكاية الحال الماضية، ويؤيد الأول قراءة من قرأ توفتهم والثاني قراءة إبراهيم توفاهم بضم التاء على أنه مضارع»[1]، وبالمثل قال من قبل الزمخشري[2]، وأبوحيان[3]. ويرى الباحث أننا لا نستطيع أن نحدد أي الصيغتين أولى، ولكن السياق اللغوي للحوار بين الملائكة والذين توفاهم يغلب عليه صيغة الماضي مثل: قالوا – كنتم...إلخ، مما يرجح صيغة الماضي للفعل توفاهم، وخاصة أن المعنى لا يتغير لكونه ماضياً او مضارعاً، وذلك لأن المضارع هو أيضاً لحكاية الحال الماضية، وكلاهما يفيد التوكيد والتحقيق، والله أعلم.

• قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾ (النساء: ١٠٧). يقول أبو حيان: «أتى بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد»[4]، ويقول البيضاوي: «مبالغاً في الخيانة مصراً عليها»[5]. و إذا ما عرفنا(سياق الموقف) – من خلال سبب نزول الآية– تبين لنا ضرورة استخدام السياق لصيغة المبالغة، وصحة ما ذهب إليه أبو حيان والبيضاوي.

يقول الواحدي: «روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي

---

(١) روح المعاني، ٥/ ١٢٥.
(٢) الكشاف،١/ ٥٨٧.
(٣) البحر المحيط،٤/ ٢٤٥.
(٤) البحر المحيط ٤/ ٢٥٩.
(٥) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٤٩.

Scanned by CamScanner

فأخذوها، فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح، وبريء اليهودي؛ فَهَمَّ رسول الله ـ ﷺ ـ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، وقيل هم أن يقطع يده فنزلت. وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتدَ ونقبَ حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله»[1].

وهذا ما أكده الزمخشري – من قبل – بقوله:«..على المبالغة قلت: كان الله عالماً من طعمة بالإفراط في الخيانة، وركوب المآثم، ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله، وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر ـ ﷺ ـ أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي، وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه، فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة»[2].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾(النساء: ١٢٢). يقول أبوحيان في تفسير اختيار صيغة المصدر لكلٍ من (وعد، وحقاً، وقيلا): «لما ذكر أنّ وعد الشيطان هو غرور باطل، ذكر أنّ هذا الوعد منه ـ تعالى ـ هو الحق الذي لا ارتياب فيه، ولا شك في إنجازه، وانتصب وعد الله حقاً على أنه مصدر مؤكد لغيره، فوعد الله مؤكداً لقوله: سيدخلهم، وحقاً مؤكد لوعد الله. والقيل والقول واحد، أي: لا أحد أصدق قولاً من الله، وهي جملة مؤكدة أيضاً لما قبلها، وفائدة هذه

---

(١) الواحدي، النيسابوري، أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ١/ ١٨١.

(٢) الكشاف، ١/ ٥٩٦.

Scanned by CamScanner

التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين، بخلاف مواعيد الشيطان وأمانته الكاذبة المخلفة لأمانيه»[1].

ويؤكد ابن عاشور قول أبي حيان فيقول: «وقوله ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون جملة ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾ الخ، وهي بمعناه؛ فلذلك يسمي النحاة مثله مؤكداً لنفسه أي: مؤكداً لما هو بمعناه، وقوله﴿حقاً﴾ مصدر مؤكد لمضمون﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ إذ كان هذا في معنى الوعد أي: هذا الوعد أحققه حقاً أي: لا يتخلف، ولما كان مضمون الجملة التي قبله خالياً عن معنى الإحقاق كان هذا المصدر مما يسميه النحاة مصدراً مؤكداً لغيره، وجملة﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ تذييل للوعد وتحقيق له أي: هذا من وعد الله، ووعود الله وعود صدق إذ لا أصدق من الله قيلاً»[2].

ويرى الباحث أنّ السياق اللغوي للآيات التي سبقت هذه الآية والتي تحدثت عن وعود الشيطان وأمانيه الكاذبة الخادعة، أتت بهذه المصادر لتحقيق التوكيد بل المبالغة في التوكيد لوعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ طمأنةً للمؤمنين وحسرةً للكافرين.

(د-٢) الأعراف:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(الأعراف: ٢٠ – ٢١). يقول الزمخشري: «قلت: كأنه قال لهما: أقسم

(١) البحر المحيط،٤/ ٢٧٣.
(٢) التحرير والتنوير،١/ ١٠٢٩.

لكما إني لمن الناصحين، وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين، فجعل ذلك مقاسمة بينهم. أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها. أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة؛ لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم »[1]. يقول البيضاوي: «أي: أقسم لهما على ذلك، وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة، وقيل أقسما له بالقبول، وقيل أقسما عليه بالله انه لمن الناصحين، فأقسم لهما؛ فجعل ذلك مقاسمة»[2]. فقد استخدم السياق صيغة المفاعلة، ومعلوم من(سياق الموقف) أن إبليس – لعنه الله– لا يمل ولا يألو جهداً في الإيقاع ببني آدم في المعصية، فناسب ذلك استخدام صيغة المفاعلة للمبالغة.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦). يوضح الزمخشري العلة في اختيار صيغة(ضلالة) بدلاً من(ضلال) استناداً إلى السياق الثقافي والاجتماعي للعرب، فيقول: «فإن قلت: لم قال: ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَـٰلَةٌ ﴾ ولم يقل ضلالٌ كما قالوا ؟ قلت: الضلالة أخصّ من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: ما لي تمرة»[3]. في حين نجد أن ابن عاشور يخالف الزمخشري، ويرى أن اختيار صيغة(ضلالة) لمجرد التباين بينها وبين صيغة(ضلال) في الآية السابقة، فيقول: «والضلالة مصدر مثل الضلال فتأنيثه لفظي محض، والعرب يستشعرون التأنيث غالباً في أسماء أجناس المعاني مثل: الغواية والسفاهة فالتاء لمجرد تأنيث اللفظ وليس في هذه التاء معنى الوحدة؛ لأن أسماء أجناس المعاني لا تراعى فيها المشخصات فليس الضلال بمنزلة اسم الجمع للضلالة خلافا لما في الكشاف وكأنه حاول إثبات

(١) الكشاف ٢/ ٩١.

(٢) تفسير البيضاوي،٣/ ١٢.

(٣) الكشاف،٢/ ١٠٨.

Scanned by CamScanner

الفرق بين قول قومه له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾، وقوله هو: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾...، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأن التخالف بين كلمتي ضلال وضلالة اقتضاه التفنن حيث سبق لفظ ضلال وموجب سبقه إرادة وصفه بـ(مبين) فلو عبر هنالك بلفظ ضلالة لكان وصفها بمبينة غير مألوف الاستعمال، ولما تقدم لفظ(ضلال) استحسن أن يعاد بلفظ يغايره في السورة دفعاً لثقل الإعادة؛ فقوله﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾رد لقولهم﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بمساوية لا بأبلغ منه»[1].

غير أنَّ الباحث يؤيد رأي الزمخشري، وذلك؛ لأن قوم نوح وصفوه بالضلال المبين، وهو الضلال البالغ الغاية في البعد عن طريق الحق، وهذه شبهة منهم فإنهم قد توهموا أن الحق هو ما هم عليه، فلا عجب إذا جعلوا ما بعد عنه بعداً عظيماً ضلالاً بيناً؛ لأنه خالفهم وجاء بما يعدونه من المحال؛ فاستلزم أن يأتي سياق الكلام على لسان نبي الله نوح بنفي تلك الشبهة العظيمة بصيغة المبالغة - أيضا- في أقل درجاتها وأصغر صورها، بالإضافة إلى الكفاءة اللغوية لأصحاب اللغة التي تجعل نفي الشئ الأقل تأكيداً على نفي الأكبر لا محالة، ومن ثم يتعانق السياق اللغوي مع السياق الاجتماعي في تحقيق فهم المعنى من الحوار بين نبي الله نوح وبين قومه.

(هـ) الإجابة عن سؤال السائل: لماذا هذا المذكور خاصة ؟

وذلك عندما يرد ذكر لفظ بعينه في نصٍ ما أو ذكر أحد عناصر السياق غير اللغوي، ولا يتبين لمتلقي النص سبب ذكر هذا اللفظ خاصة، أو هذا العنصر؛ فنستعين بالسياق – بنوعيه او أحدهما – وعندها ينجلي لنا الأمر، ومن ذلك:

(هـ-١) النساء:

(١) التحرير والتنوير، ١/ ١٥٦٤.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء: ٣).

جاء في الآية الكريمة استخدام حرف العطف (الواو) دون غيره من بقية أدوات وحروف العطف في قوله: ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فلماذا خُصَّ دون غيره ؟ يقول الزمخشري: «فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون أو ؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك، ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة؛ أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها؛ فيجعلوا بعض القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو؛ وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاؤوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما وراء ذلك»[1]. فالزمخشري استند إلى السياق اللغوي في تفسير أعداد الزوجات التي يجوز للرجل الجمع بينهم بناءً على الفرق اللغوي بين حرفي العطف (الواو وأو)، كما اعتمد– أيضا – على سياق الحال أو الموقف «وهو الحكم الشرعي الجائز لأعداد الزوجات للرجل الواحد» في تفسير سبب وعلة اختيار حرف العطف (الواو) – خاصة – دون أو مثلاً.

وأما الألوسي – فنجده مفسراً ومعللاً السبب معتمداً على السياق اللغوي – فيقول «أنه إنما أتى بالواو دون أو؛ ليفيد الكلام أن تكون الأقسام على هذه الأنواع غير متجاوز إياها إلى ما فوقها، لا أن تكون على أحد هذه الأنواع غير مجموع بين إثنين منها، وذلك بناءً على أن الحال بيان لكيفية الفعل، والقيد في الكلام نفي لما يقابله،

(١) الكشاف ١/ ٤٩٩.

والواو ليست لأحد الأمرين أو الأمور كأو، و بهذا يندفع ماذهب إليه البعض من جواز التسع تمسكاً بأن الواو للجمع؛ فيجوز الثنتان والثلاث والأربع وهي تسع، وذلك لأن من نكح الخمس أو ما فوقها لم يحافظ على القيد، أعني: كيفية النكاح وهي كونه على هذا التقدير والتفصيل، بل جاوزه إلى ما فوقه»[1].

• قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١). يقول الزمخشري: «فإن قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً؟ قلت: تعظيماً لشأن المسلمين، وتخسيساً لحظ الكافرين؛ لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظٌ دنيٌ، ولمظةٌ من الدنيا يصيبونها»[2]. ويقول ابن عاشور: «وجعل ما يحصل للمسلمين فتحاً، لأنه انتصار دائم، ونسب إلى الله؛ لأنه مقدره ومريده بأسباب خفية ومعجزات بينة، وجعل ما يحصل للكافرين من النصر نصيباً تحقيراً له»[3]. أي أنّ سياق الحال «حال المؤمنين و الكافرين» وضح لنا سبب اختيار تلك الألفاظ خاصة؛ فالمؤمنين يجاهدون في سبيل أن ينالوا رضا الله عنهم في الدنيا والأخرة، ويؤمنون بأن هذه الدنيا دار عمل وفي الأخرة دار الحساب والخلود، في حين أن هؤلاء الكافرين الذين لا يؤمنون بالأخرة فعملهم ينتهي بإنتهاء هذه الدنيا الفانية؛ لذلك كان النصرفتح للمؤمنين سواء في الدنيا والأخرة؛ لأن هدفهم هو أن ينالوا رضا الله، بينما كان النصر للكافرين مجرد نصيب فانٍ في الدنيا فقط.

---

(١) روح المعاني ٤/ ١٩١.

(٢) الكشاف ١/ ٦١٢.

(٣) التحرير والتنوير١/ ١٠٤٥.

(هـ-٢) الأعراف:

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ (الأعراف: ٤). يقول الزمخشري في تفسير سبب اختيار هذين الوقتين تحديداً وهما: وقت البيات أي السحر، ووقت القيلولة: «وإنما خُصّ هذان الوقتان: وقت البيات ووقت القيلولة؛ لأنها وقت الغفلة والدعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشدّ وأفظع، وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب وقت القيلولة»[1]. ويؤكد المعنى البيضاوي فيقول:«وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب؛ ولذلك خص الوقتين؛ ولأنهما وقت دعة واستراحة؛ فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع»[2]. ومن ثَمّ كان سياق الحال للبشر -عامة - في مثل هذه الأوقات مفسراً لإختيار هذين الوقتين خاصة.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾(الأعراف: ٤٠) وفي إطار أهمية السياق الاجتماعي والعُرف في اختيار هذا المثل، ولماذا كان اختيار(الجمل) -خاصة - دون بقية الحيوانات الأخرى - استناداً إلى السياق الاجتماعي- ؟ يقول ابن عاشور: «فقد جُعل لانتفاء دخولهم الجنة امتداداً مستمراً؛ إذ جعل غايته شيئاً مستحيلاً، وهو أن يلج الجملُ في سَمِ الخِياط أي: لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل(وهو البعير) في سَمِ الخِياط، وهو أمر لا يكون أبدا، والجمل: البعير المعروف للعرب ضُرب به المثل؛لأنه أشهر الأجسام في الضخامة في عُرف العرب، والخياط هو المِخيط(بكسر الميم) وهو آلة الخياطة المسمى بالإبرة والفعال ورد اسما مرادفا للمفعل في الدلالة على آلة الشيء،كقولهم: حزام

(١) الكشاف ٢/ ٨٤.
(٢) تفسير البيضاوي ٣ / ٥.

Scanned by CamScanner

ويحزم وإزار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع، والسم: الخرت الذي في الإبرة يدخل فيه خيط الخائط وهو ثقبٌ ضيقٌ، وهو بفتح السين في الآية بلغة قريش،وتضم السين في لغة أهل العالية، وهي ما بين نجد وبين حدود أرض مكة، والقرآن أحال على ما هو معروف عند الناس من حقيقة الجمل وحقيقة الخياط ليُعلم أن دخول الجمل في خرت الإبرة محالٌ متعذرٌ ما داما على حاليهما المتعارفين»[1].

• قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٦). يقول الزمخشري - معللاً سبب وصف الملأ من قوم سيدنا هود بالذين كفروا في حين لم يوصف الملأ من قوم سيدنا نوح بالكفر-: «فإن قلت: لم وصف الملأ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ دون الملأ من قوم نوح ؟ قلت: كان في أشراف قوم هود من آمن به، منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه، فأريدت التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن. ونحوه قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾(هود: ١٢). ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذمّ لا غير»[2]. ويؤكد الألوسي نفس العلة استناداً إلى نفس سياق الموقف، فيقول:" إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد»[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٥٣٥.

(٢) الكشاف ٢/ ١١٠.

(٣) روح المعاني ٣/ ٣٢.

Scanned by CamScanner

(و) المدح بما يشبه الذم:

وفيه مراعاة لأحوال المخاطبين على ما بهم من تباين في الطبائع، فالكريم من الناس يعرف للمحسن إحسانه، أما اللئيم فإنه يرى الإحسان إساءة، وحتى يراعي المبدع كل هذه النفوس فهو يمدح بشكل يشبه الذم حتى إذا قرأه منصف علم للمحسن إحسانه، وإذا قرأه غير منصف فليظن أن المبدع في هذه الحال يذم ولا يمدح، أي أن المدح بما يشبه الذم يعتمد على إرضاء المستمعين أو القارئين للنص على اختلاف طباعهم ونفوسهم، ومن المعروف أن المستمع أو مجموعة المستمعين، من عناصر السياق غير اللغوي (سياق الموقف)[1].

(و-١) النساء:

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(النساء: ٢٢). فنكاح الأبناء لنساء الآباء كان عرفاً في الجاهلية وفي صدر الإسلام، حتى حرمته الآية الكريمة. يقول القرطبي: «كان الناس يتزوجون امرأة الأب برضاها بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ فصار حراماً في الأحوال كلها؛ لأن النكاح يقع على الجماع والتزوج،

---

(١) ومن ذلك قول النابغة عن ملوك الشام من غسان:

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ** بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

انظر:

- ديوانه، شرح كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣ م، ص ١٥.
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ت: مفيد قمحية وجماعة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، ٧/ ١٠١.
- سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣٢٦.

فإن كان الأب تزوج امرأة أو وطئها بغير نكاح حرمت على ابنه؛ على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى»[1]. أي أن الآيات قد راعت أحوال المسلمين – المخاطبين في الآية – في صدر الإسلام قبل التحريم بهذا الاستثناء، ويوضح الزمخشري الحكمة في استخدام هذا الاستثناء فيقول:" فإن قلت: كيف استثنى ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مما نكح آباؤكم، قلت: كما استثنى (غير أن سيوفهم) من قوله:(ولا عيب فيهم)، يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال في التأبيد نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط»[2]. وهذا ما أكده – أيضاً – القرطبي بقوله: «﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي تقدم ومضى. والسلف؛ من تقدم من آبائك وذوي قرابتك. وهذا استثناء منقطع، أي لكن ما قد سلف فاجتنبوه ودعوه. وقيل: «إلا» بمعنى بعد، أي بعد ما سلف؛ كما قال تعالى:﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ أي بعد الموتة الأولى. وقيل:﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي ولا ما سلف؛ كقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ يعني ولا خطأ. وقيل: في الآية تقديم وتأخير، معناه: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا إلا ما قد سلف. وقيل: في الآية إضمار لقوله﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ فإنكم إن فعلتم تعاقبون وتؤاخذون إلا ما قد سلف»[3].

(و-٢) الأعراف:

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٢٦). يقول الزمخشري: «وما تعيب منا إلا الإيمان

(١) تفسير القرطبي، ٥/ ١٠٣.

(٢) الكشاف، ١/ ٥٢٥.

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ١٠٤.

بآيات الله، أرادوا: وما تعيب منا إلاّ ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان. ومنه قوله: وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ..."[1]. أي أن سحرة فرعون بعد ما رأوا آيات الله المعجزات أيقنوا أن ما جاء به موسى هو الحق، ولا يكون إلا من عند الله؛ فآمنوا به ولذلك جاء الاستثناء ليؤكد أن فرعون أصبح ناقماً على هؤلاء السحرة، فلولا إيمانهم لظل راضيا عنهم. وبمثل قول الزمخشري قال به القرطبي[2]، وأبو حيان[3]، وابن عاشور[4].

(ز) إبدال كلمة مكان كلمة:

وليس المقصود بالإبدال –هنا– الإبدال النحوي، أو الاستبدال الذي سبق وتحدثنا عنه في فصل السبك، ولكن المقصود به المعنى البسيط وهو: استعمال كلمة مكان كلمة قد تكون من نفس الحقل الدلالي، وقد تكون من حقل دلالي مختلف أو مضاد أحياناً، ومن ذلك:

(ز-١) النساء:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٣٨). كلمة بشر تستعمل غالباً في سياق الفرح والسعادة، وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت في الآية الكريمة في سياق الحزن والعذاب، والعلة في ذلك كما قال الزمخشري: "وضع (بشر) مكان أخبر تهكما بهم"[5]. وكذلك يؤكد البيضاوي نفس العلة فيقول: "يدل على أن الآية في المنافقين، وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٣.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ٢٦١

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٣٤؛

(٤) التحرير والتنوير ١/ ١٦١٤

(٥) الكشاف ١/ ٦١١.

Scanned by CamScanner

بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين، ووضع بشر مكان أنذر تهكم بهم»[1]. أما ابن عاشور فهو يشرح لنا من خلال السياق غير اللغوي (سياق الموقف) العلة في استعمال كلمة (بشر) -التي تستعمل في سياق الفرح- في سياق العذاب فيقول: «استئناف ابتدائي ناشئ عن وصف الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا، فإن أولئك كانوا مظهرين الكفر بمحمد -ﷺ- ، وكان ثمة طائفة تبطن الكفر وهم أهل النفاق، ولما كان التظاهر بالإيمان ثم تعقيبه بالكفر ضرباً من التهكم بالإسلام وأهله؛ جيء في جزاء عملهم بوعيد مناسب؛ لتهكمهم بالمسلمين فجاء به على طريقة التهكم إذ قال ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فإن البشارة هي الخبر بما يفرح المخبر به وليس العذاب كذلك»[2].

(ز-٢) الأعراف:

• قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣). جاءت كلمة ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ في الآية الكريمة بدلاً من كلمة (كفروا) وبمعناها. قال الزمخشري – مبيناً العلة -: «﴿فَظَلَمُوا۟﴾ : فكفروا بآياتنا. أجرى الظلم مجرى الكفر؛ لأنهما من وادٍ واحد ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدّوهم عنها، وآذوا من آمن بها، ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً، فلذلك قيل: فظلموا بها، أي: كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه، وهو موضع الإيمان»[3].

وعن أهمية السياق بنوعيه – اللغوي وغير اللغوي – في توضيح العلة من استعمال كلمة ظلموا مكان كلمة كفروا.

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٦٨.
(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٠٤٣.
(٣) الكشاف ٢/ ١٢٩.

Scanned by CamScanner

يقول أبو حيان: «لما قصّ الله ـ تعالى ـ على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آل إليه أمر قومهم، وكان هؤلاء لم يبقَ منهم أحد؛ أتبع بقصص موسى وفرعون وبني إسرائيل؛ إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات، وأمته من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً وجهلاً، وكان قد بقي من أتباعه عالم وهم اليهود فقصّ الله علينا قصصهم؛ لنعتبر ونتعظ ونتزجر عن أن نتشبه بهم، ومناسبة هذه الآية لما قبلها؛ أنّ بين موسى وشعيب عليهما السلام مصاهرة -كما حكى الله في كتابه- ونسب؛ لكونهما من نسل إبراهيم، ولما استفتح قصة نوح بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بنون العظمة، أتبع ذلك قصة موسى فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ والضمير في ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ عائد على الرسل من قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أو للأمم السابقة والآيات الحجج التي آتاه الله على قومه...، وقال الأصم: ظلموا تلك النعم التي آتاهم الله بأن استعانوا بها على معصية الله ـ تعالى ـ، فانظر أيها السامع ما آل إليه أمر المفسدين الظالمين جعلهم مثالاً توعد به كفرة عصر الرسول ـ ﷺ ـ»[1]. أي أن السياق اللغوي وهو الآيات السابقة التي تحدثت عن قصص أنبياء الله: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وهلاك أقوامهم - لظلمهم وكفرهم - لم يبق منهم أحد، هذا السياق اقتضى سرد قصص بني إسرائيل وموسى وفرعون الذين ظلموا أنفسهم -أيضاً- وكفروا بنبيهم، ثم السياق غير اللغوي (سياق الموقف) وهو تعنت أقوام رسل الله جميعاً ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ كل على حده، حتى نتعظ ولا نظلم أنفسنا ولا نجهل نعم الله علينا.

(١) البحر المحيط ٥/ ٤١٠.

(ح) التقديم والتأخير

من أهم مباحث علم المعاني موضوع التقديم والتأخير؛ حيث تتجلى فيه بلاغة الأساليب، وفصاحة التراكيب، وجمال العبارات، كما أنه يُنبئ عن تمكن البلغاء، يقول الزركشي: «التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به؛ دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق»[1]. فقد يتقدم المتحدث عنه في سياق ويتأخر في سياق آخر، وذلك؛ لأن الموقف الأول يقتضي التقديم، والثاني يقتضي التأخير ويكون الحكم على بلاغة التقديم، و التأخير هو السياق، أو أحد عناصره، ومن ذلك:

(ح-١) النساء:

• قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(النساء: ١١). بين لنا الزمخشري العلة في تقديم الذكر على الأنثى فيقول: «قصد إلى بيان فضل الذكر، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث؛ وهو السبب لورود الآية فقيل: كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به»[2]، ويؤكد البيضاوي ما ذكره الزمخشري فيقول: «وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة»[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٣٣.

(٢) الكشاف ١/ ٥١١.

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ١٥٣.

Scanned by CamScanner

يتبين لنا من خلال سياق الموقف الذي وضحه الزمخشري وأكده البيضاوي:أن تقديم الذكر كان؛ لفضله عند العرب، كما أن العرب قبل الإسلام كانوا لا يورثون النساء شيئاً؛ فكان التقديم –أيضا– للتأكيد على حظ الذكر من مضاعفة نصيبه فيطمئن المسلمون على ما اعتادوا عليه من تفضيل الذكر على الأنثى، ولكن بوسطية الإسلام وليس بظلم الجاهلية. ويفسر الزمخشري – استناداً إلى السياق غير اللغوي(سياق الموقف)– الحكمة من تقديم الوصية على الدين، فيقول: «فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة ؟ قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة(أو) للتسوية بينهما في الوجوب.

ويقول البيضاوي معللاً – أيضا – من خلال سياق الموقف «سياق الحال» وهو حال الورثة، الحكمة من تقديم الوصية على الدين: «وقدم الوصية على الدين، وهي متأخرة في الحكم؛ لأنها مشبهة بالميراث، شاقة على الورثة، مندوب إليها الجميع، والدين إنما يكون على الندور»[1].

- قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(النساء: ١٤٧). يقول الزمخشري: «فإن قلت لم قدم الشكر على الايمان؟ قلت: لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكرا

(١) تفسير البيضاوي، ٢/ ١٥٥.

مفصلاً؛ فكان الشكر متقدماً على الإيمان، وكأنه أصل التكليف ومداره»[1]. فالزمخشري يعتمد على سياق الحال (السياق غير اللغوي) في تفسير علة تقديم الشكر على الإيمان؛ وذلك لأن الشكر من مقدمات وأولى خطوات الإيمان كما ذكر. في حين نجد الألوسي يعتمد على السياق اللغوي، فيقول: «وإنما قدم الشكر مع أن الظاهر تأخيره؛ لأنه لايُعتدُّ به إلا بعد الإيمان؛ لما أنه طريق موصل إليه في أول درجاته...، فتقديم الشكر على الإيمان، وحقه التأخير في الأصل؛ إعلام بأن الكلام فيه، وأن الآية السابقة مسوقة لبيان كفران نعمة الله تعالى العظمى، والكفر تابعٌ، فاذا أخر الشكر بهذه الأسرار واللطائف، ومن ثم ذيل - سبحانه - الآية على سبيل التعليل بقوله - جل وعلا -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا ﴾، أي: مثيباً على الشكر عليماً»[2]. أي أن الألوسي اعتمد على نظم الآية مع سابقتها وهو يمثل السياق اللغوي أو النصي الداخلي في تفسيره للعلة في تقديم الشكر على الإيمان بالشكل الذي ذكره.

(ط) الحذف:

وللسياق - بنوعيه - دورٌ بارزٌ في إظهار المعنى وإن كان في النص حذف؛ وذلك لأنَ المحذوف إذا دلّ عليه سياق الموقف أصبح في حكم الملفوظ به بالنسبة لمتلقي النص «ومن ذلك أن ترى رجلاً قد سدّد سهماً نحو الغرض الذي أرسله، فتسمع صوتاً فتقول: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس ف (أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتة، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به»[3]، وقد سبق وذكرنا الحذف في سورتي النساء والأعراف من خلال فصل

---

(١) الكشاف ١/ ٦١٦.

(٢) روح المعاني ٥/ ١٨٠.

(٣) ابن جني: الخصائص ١/ ٢٨٥.

Scanned by CamScanner

السبك، وسوف نذكر هنا أمثلة على دور السياق في فهم المعنى على الرغم من وجود المحذوف، ومن ذلك:

(ط-١) النساء:

• قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). يقول الزمخشري: «قلت: فيه وجهان أحدهما: أن يعطف على محذوف كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب، وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها»[1]. أي ان الزمخشري اعتمد على(سياق الحال) حال خلق الناس من نفس آدم ـ عليه السلام ـ «في تقدير المحذوف المعطوف عليه وهو وصف هذه النفس الواحدة، بينما يخالفه أبوحيان فيقول: «وجاءت الواو في عطف هذه الصلة على أحد عامليها، من أنَّ خلق حواء كان قبل خلق الناس؛ إذ الواو لا تدل على ترتيب زماني كما تقرر في علم العربية، وإنما تقدم ذكر الصلة المتعلقة بخلق الناس، وإن كان مدلولها واقعاً بعد خلق حواء، لأجل أنهم المنادون المأمورون بتقوى ربهم، فكان ذكر ما تعلق بهم أولاً آكد، ونظيره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، ومعلوم أنّ خلقهم تأخر عن خلق من قبلهم، ولكنهم لما كانوا هم المأمورين بالعبادة والمنادين لأجلها، اعتنى بذكر التنبيه على إنشائهم أولاً، ثم ذكر إنشاء من كان قبلهم، وقد تكلف الزمخشري في إقرار ما عطف بالواو متأخراً عن ما عطف عليه، فقدر معطوفاً عليه محذوفاً متقدماً على المعطوف في الزمان، فقال: يعطف على محذوف كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩١.

Scanned by CamScanner

أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حوّاء من ضلع من أضلاعها. ولا حاجة إلى تكلف هذا الوجه مع مساغ الوجه الذي ذكرناه على ما اقتضته العربية. وقد ذكر ذلك الوجه الزمخشري فقال: يعطف على خلقكم»[1]. والشاهد في كلام الزمخشري أنه اعتمد على السياق (سياق الحال أو الموقف) في تقدير المحذوف، وهو أحد وجهين ذكرهما، وأبوحيان نفسه يذكر الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري، فيقول: «ويجوز أن يكون قوله: وخلق منها زوجها معطوفاً على اسم الفاعل الذي هو واحدة التقدير من نفس وحدت، أي انفردت، وخلق منها زوجها»[2].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(النساء: ١١).يقول الزمخشري: «والمعنى للذكر منهم أي: من أولادكم، فحذف الراجع إليه؛ لأنه مفهوم، كقولهم السمن منوان بدرهم»[3]. ويؤكد الألوسي نفس تقدير المحذوف استناداً إلى فهم القارئ وهو أحد عناصر السياق غير اللغوي (سياق الموقف)، فيقول: «ولا بد في الجملة من ضمير عائد إلى الأولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم والتقدير هنا للذكر منهم فتدبر»[4].

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١١.

(٢) الكشاف ١/ ٤٠٩، البحر المحيط ٤/ ١٢.

(٣) الكشاف ١/ ٥١١.

(٤) روح المعاني ٤/ ٢١٧.

Scanned by CamScanner

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(النساء: ٥٨). وفي تقدير حذف المخصوص بالمدح، يقول الزمخشري: «(ما) إما أن تكون منصوبة موصوفة بـ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾، وإما أن تكون مرفوعة موصولة به، كأنه قيل: نعم شيئا يعظكم به، أو نعم الشيء الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف أي: نعما يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم»[1]. فالزمخشري اعتمد على السياق اللغوي في هذا التقديروعدم تكرار المخصوص بالمدح وهو أداء الأمانات والعدل في الحكم،وبالمثل قال الألوسي[2].

(ط-٢) الأعراف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الأعراف: ١٦).

وفي تقدير القسم المحذوف، يقول الزمخشري: «بم تعلقت الباء؟ قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره: فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدنّ، أي فبسبب إغوائك أقسم. ويجوز أن تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه كان تكليفاً، والتكليف من أحسن أفعال الله، لكونه تعريضاً لسعادة الأبد، فكان جديراً بأن يقسم به»[3]. ويقول ابن عاشور: «والباء في قوله﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ سببية وهي ظرف مستقر واقع موقع الحال من فاعل﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ أي: أقسم لأقعدن لهم حال كون ذلك مني بسبب إغوائك إياي»[4]، وكلا الرأيين اعتمدا على السياق اللغوي.

---

(١) الكشاف ١/ ٥٥٦.

(٢) روح المعاني ٥/ ٦٤.

(٣) الكشاف، ٢/ ٨٨.

(٤) التحرير والتنوير، ١/ ١٤٩٨.

Scanned by CamScanner

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(الأعراف: ٤٤). يقول ابن عاشور معتمداً على السياق اللغوي في الآية في تقدير مفعول ﴿وَعَدَ﴾ الثانية: «وحذف مفعول ﴿وَعَدَ﴾ الثاني في قوله: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾؛ لمجرد الإيجاز؛ لدلالة مقابله عليه في قوله: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؛ لأن المقصود من السؤال سؤالهم عما يخصهم. فالتقدير: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم أي: من العذاب؛ لأن الوعد يستعمل في الخير والشر»[1]، ومن قبله قال الزمخشري استناداً – أيضاً – على السياق اللغوي: «قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه»[2].

(ي) تفسير الضمائر و المبهمات

فقد يأتي النص وبه ضمائر ولا مرجع لها داخل النص، وقد يكون المرجع يحتمل أكثر من واحد ولا نستطيع أن نجزم أيها أصح، وعندئذٍ فلابد من الرجوع إلى السياق بنوعيه،أو أحدهما؛ لنحدد مرجع الضمير.

(ي-١) النساء:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾(النساء: ٥). الخطاب في الآية غير مصرح به، ولكن سياق الآية يرجح كونه موجه لأولياء الأمور، يقول الزمخشري: «والخطاب للأولياء، وأضاف الأموال اليهم؛ لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم، كما قال ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ (النساء ٧٩)، و﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ (النساء ٢٥)، والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا

(١) نفسه، ١/ ١٥٣٩.

(٢) الكشاف، ٢/ ١٠٢.

Scanned by CamScanner

﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾، و﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ أي: تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم»[1].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(النساء: ١٨).وفي تحديد مرجع الضمير(الواو) في﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ اعتماداً على السياق، يقول الزمخشري: «فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات، أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد الكفار؛ لظاهر قوله:﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، وأن يراد الفساق؛ لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله:﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وارداً على سبيل التغليظ،كقوله:﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧)، وقوله:(فليمت إن شاء الله يهودياً أو نصرانياً)، و(من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر)؛ لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر؛ لأنه لا يجترىء على ذلك إلا قلب مصمت»[2]. أي أن الزمخشري استند إلى السياق اللغوي(النصي أو الداخلي) في تحديد المعنى والمرجع للذين يعملون السيئات، وكلا الرأيين له ما يقويه داخل النص، سواءً أكان المراد بمرجع الضمير هو الفساق أم الكافرين. وذكر الرأيين الألوسي– أيضاً – دون ترجيح فقال: «والكثير من أهل العلم على أن المراد بالذين يعملون السيئات ما يشمل الفسقة والكفرة، وجوز أن يراد

---

(١) الكشاف، ١/ ٥٠٣.

(٢) نفسه، ١/ ٥٢١.

Scanned by CamScanner

بالموصولين الكفار خاصة وأن يراد بهما الفسقة وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفاراً للتغليظ، وأن يراد بهما ما يعم الفريقين جميعاً؛ فالتسمية حينئذ للتغليب»[1].

- قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾(النساء: ١٤٧). فضمير المخاطب في الآية يحتمل وجهين: أحدهما: المنافقين، والثاني: المؤمنين وقد ذكر الوجهين الألوسي، فقال: «خطاب للمنافقين وقيل للمؤمنين»[2]. ولكن سياق الآيات السابق التي تتحدث عن المنافقين ترجح توجيه الخطاب لهم دون المؤمنين، فيقول الألوسي – أيضاً-: «إن الذي يقتضيه النظم الفائق أن هذا الخطاب مع المنافقين، وأن قوله ـ سبحانه ـ مايفعل الله بعذابكم متصل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ...إلخ، وتنبيه لهم على أن الذي ورطهم فى تلك الورطة كفرانهم نعم الله تعالى وتهاونهم فى شكر ماأوتوا، وتفويتهم على أنفسهم بنفاقهم البغية العظمى وهو الإسعاد بصحبة أفضل الخلق – ﷺ- والانخراط فى زمرة الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل فاذا تابوا وأصلحوا وأعتصموا بالله تعالى ـ وأخلصوا دينهم له؛ فأولئك حكمهم أن ينتظموا فى سلك أولئك السعداء من المؤمنين بعد ماكانوا مستأهلين الدرجات السفلى من النيران، ثم التفت تعريضاً لهم أن ذلك العذاب كان منهم ويسبب تقاعدهم وكفرانهم تلك النعمة الرفيعة وتفويتهم على أنفسهم تلك الفرصة السنية، وإلا فان الله غنى مطلق عن عذابهم فضلا على أن يوقعهم فى تلك الورطات»[3].

---

(١) روح المعاني ٤/ ٢٤٠.
(٢) نفسه، ٥/ ١٧٩.
(٣) نفسه، ٥/ ١٧٩.

Scanned by CamScanner

(ي-٢) الأعراف:

• قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف: ٧٥). الضمير في قوله﴿ مِنْهُمْ ﴾، هل يعود على﴿ قَوْمِهِ ﴾ أم على﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾؟ وقد ذكر الوجهين، دون ترجيح بينهما الألوسي، فقال: «وقوله تعالى -: ﴿ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل من الموصول بإعادة العامل؛ بدل الكل من الكل، كقولك: مررت بزيد بأخيك، والضمير المجرور راجع إلى قومه، ويجوز أن يكون بدل بعض من كل؛ على أن الضمير للذين استضعفوا فيكون المستضعفون قسمين مؤمنين وكفرين»[1]. ولكن سياق الحال(حال قوم سيدنا صالح) وموقفهم من نبيهم والإيمان به يجلي لنا ترجيح عود الضمير للذين استضعفوا من قومه، بقول ابن عاشور: «والذين استضعفوا هم عامة الناس الذين أذلهم عظماؤهم واستعبدوهم؛ لأن زعامة الذين استكبروا كانت قائمة على السيادة الدنيوية الخلية عن خلال الفضيلة من: العدل، والرأفة، وحب الإصلاح؛ فلذلك وصف الملأ بالذين استكبروا، وأطلق على العامة وصف الذين استضعفوا...، وقوله:﴿ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل من﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ بإعادة حرف الجر الذي جر بمثله المبدل منه»[2].

• قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(الأعراف: ١٨٩). فضمير المخاطب في الآية في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم﴾ يحتمل مرجعين،أحدهما:آدم وحواء، والثاني: قريش، وقد ذكر الوجهين

(١) روح المعاني، ٨/ ١٦٤.
(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٥٧٦.

Scanned by CamScanner

الزمخشري فيقول: «﴿ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام،﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، وهي حواء، خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه، أو من جنسها كقوله:﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (النحل: ٧٢)، ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل...،﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ حيث جمع الضمير، ووآدم وحواء بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة، وعبد شمس وما أشبه ذلك، مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم. ووجه آخر، وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ، وهم آل قصي...، ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصيّ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السويّ جعلا له شركاء فيما آتاهما، حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصيّ وعبد الدار، وجعل الضمير في﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك، وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه »[1]، أما أبو حيان فقد ذكر عدة أوجه،وهي،**الأول**:الخطاب عام لمشركي قريش وللمسلمين، **والثاني**: أن الخطاب للعرب قبل الإسلام، **والثالث**: أن الخطاب عام لجميع الخلق، **والرابع**: لآدم وحواء، **والخامس**:لمشركي قريش المعاصرين لسيدنا محمد - ﷺ -[2]، أما الطبري والشوكاني فقد ذكرا وجهين: أحدهما: آدم وحواء، والآخر: رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم[3]. والمتتبع لسياق الآيات يجد أن كل الوجوه جائزة ولا تعارض بينها؛ فسواء كان المخاطب هو آدم وحواء، أو رجل وامرأة كافرين من نسلهما، أو

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٦.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٨:١٠.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٣١٣،٣١٥، فتح القدير ٢/ ٤٠٠.

العرب قبل الإسلام، أومشركي قريش، أو أن الخطاب عام يشمل الجميع؛ وذلك لأن من مقاصد السورة الكريمة استعراض صور الصراع بين الحق والباطل، وهذا الصراع نشأ منذ أن خلق الله – سبحانه وتعالى – آدم وحواء، كما أنه مستمر – مروراً بموقف كل قوم من نبيهم، حتى سيدنا محمد – ﷺ – إلى يوم الدين. ولكننا نجد أن أحد نوعي السياق وهو(سياق الموقف) يرجح الوجه الأول: وهو أن يكون الخطاب موجه لآدم وحواء، يقول ابن عباس: « كانت حوّاء تلد لآدم، فتعبِّدهم لله، وتسميه (عبيد الله)، و (عبد الله)، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش ! فولدت له رجلاً فسماه (عبد الحارث)، ففيه أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾، إلى قوله:﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾، إلى آخر الآية»[1].

نخلص مما سبق: أن النص – أيّاً كان نوعه – الواحد بشكله وتركيبه يُقصد به غير معنى[2]، وهذه المعاني المختلفة – تختلف باختلاف المتكلم والمخاطب، وعلاقة كلٍّ منهما بالآخر، والدافع وراء الكلام، والزمان الذي يقال فيه هذا الكلام، وكذلك المكان...، وكلها من عناصر السياق – كفيلة بتشتيت القارئ أو متلقي النص لولا السياق – بعناصره المختلفة – الذي حافظ على النص وتماسكه. لذا لا نبالغ إذا قلنا ما كان للنص أن يحقق تماسكه – سبكه، وحبكه، وقصده، وقبوله – بدون معرفة سياقه بنوعيه – اللغوي وغير اللغوي–؛ ومن ثَمَّ يمكن القول على هدي مما تقدم إنَّ السياق – بنوعيه– قرينة لها دورها الذي لا ينكر في مجال تحقيق معايير النصية – دون تفرقة بين النص المكي والمدني– بل لا نبالغ إذا قلنا إن معيار السياق يُعدُّ أهم معيار من

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٣١٠.

(٢) كما سيتبين لنا من خلال الفصل الأخير: القصد والقبول – إن شاء الله – ص٢٨٥:٢٣٨.

المعايير السبعة؛ وذلك لأنه لا يمكن فهم أي نصٍ مهما تحقق فيه من بقية المعايير الأخرى دون تحقق معيار السياق. كما تبين – أيضاً– أنه لا يمكن أن نستغني بأحد نوعي السياق عن الآخركأن يكتفى بالسياق اللغوي للتراكيب، ويهمل السياق الغير اللغوي، فالسياق اللغوي – وحده لا يرشد إلى المعنى الدلالي للكلمة سواء كانت مفردة أو مقرونة بغيرها، كما أن السياق الغير اللغوي – كأسباب النزول – لا يكفي وحده للترجيح بين أسباب النزول المتعددة للآية الواحدة أو النص الواحد؛ إذن لا بد من تضافر السياقين معاً، فالسياق بنوعيه مرجح دلالي بين كثير من الأقوال والآراء التي ازدحمت بها كتب التفسير، خاصة تلك الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، ففهم المعنى دوّار مع السياق.

الفصل الخامس

(الإعلامية)

«Informativity»

Scanned by CamScanner

مصطلح الإعلامية:

تعد الإعلامية من المعايير المهمة للنصية؛ وذلك لأنها تتناول «مدى التوقع الذي يحظى به بعض وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول»[1]. ولعل معنى هذا المصطلح يزداد وضوحاً بقول دي بوجراند: «إن إعلامية «Informativity» عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الانتقائية، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية»[2]. أي أنه كلما كان النص غير متوقع كانت كفاءته الإعلامية أعلى «وذلك لأن النصوص الغامضة إلى حدٍ ما تعطي القارئ الفرصة ليكون إيجابياً ومتفاعلاً مع النص، ومنتجاً لدلالته، وليس مستهلكاً له فحسب، حيث إن القارئ إذا لم يجد ما يغمض عليه، أو يصطدم مع توقعه بأن تتحقق توقعاته واحداً تلو الآخر فإنه لن يجد –عندئذٍ– شيئاً يمكن وصفه بالجِدة، ومن ثم فإنه لا يحتاج إلى رويةٍ، أو إعمال فكرٍ حتى يصل إلى ذلك المعنى الغامض، أو تلك الفكرة غير المتوقعة»[3]. ومهما يكن من أمر فإنه ينبغي على منتج النص أن يتوخى الحذر، فلا يصل عدم التوقع، أو الغموض إلى درجة التعقيد؛ لأن ذلك قد يصل بالنص إلى عدم القبول؛ حيث تنقطع الصلة بين المرسل، والمستقبل. والإعلامية بهذا المفهوم تطبق عادة على المحتوى؛ فالناظر إلى إعلامية نصٍ ما يبحث عن الجديد في المحتوى، أو غير المتوقع من معاني النص، أو أنه يبحث عن

---

(١) زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٣:٣٢.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ص ٢٤٩.

(٣) معايير النصية، بتصرف، ص٣٥٣.

Scanned by CamScanner

عدم الترابط الواضح بين معاني النص (الحبك)، ومن خلال ذلك يحكم على النص بأنه ذو إعلامية مرتفعة أولا، في حين تبدو الأنظمة اللغوية الأخرى من مثل الفونيات، أو النحو أنظمة ثانوية، مما يحرمها من البروز، والتعبير عن دورها في رفع إعلامية النص، إلا إذا تمت معالجتها بطرقٍ بالغة الخروج عن المألوف، فعندئذٍ تفرض هذه الأنظمة نفسها حيث تضفي على النص روح الغموض، أو عدم التوقع مما يرفع من درجة إعلاميته[1].

وقد يكون التركيز على النحو (السبك)، وذلك من خلال تتاليات بالغة الخروج عن المألوف، فإن هذا الترتيب غير المألوف له الأثر العظيم في رفع درجة الإعلامية.

مراتب الإعلامية:

ويميل اللسانيون إلى تقسيم الإعلامية إلى مراتب ثلاث:

أولاً: إعلامية من الدرجة الأولى:

وتتميز بالابتذال، فهي تكون مستوعبة استيعاباً تاماً، ومتوقعة بشكل يقيني؛ ومن ثمّ فلا تحظى باهتمام المتلقي، حيث إنه لا يجد فيها ما يتسم بالجدة، أو التنوع، أو عدم التوقع، أو يكون من الساذجية بما يشبه أسلوب الأطفال في التعبير عن رغباتهم، وينضوي تحت مفهومها كذلك ما يسمى بالكلمات الوظيفية (كالأدوات)، وحروف الجر، وحروف العطف، حيث إنها تشير إلى علاقات لا إلى محتوى، فقد يتجاوزها مستقبل النص في قراءته العجلة حتى يربط بين كلمات المحتوى التي توصل إليه قصد منشئ النص في أسرع وقت ممكن وبأقل جهدٍ مبذول ليس هذا فحسب، بل قد يستغني عنها في النصوص التي تتطلب قدراً من الاقتصاد كالبرقيات مثلاً، هذا على خلاف كلمات المحتوى التي تتميز بأنه أكثر

(١) من أمثلة ذلك ما نجده من طرائف ونوادر رواها القدماء تندراً ببعض النحاة الذين يتقعرون في حديثهم ويأتون بأصوات لا تؤلف كلمات معروفة؛ مما يجعلها تقع في بؤرة الاهتمام، ومن ذلك ما قاله أبو علقمة النحوي عندما ذهب إلى الطبيب «البيان والتبيين»، ٢/ ٢٧٠.

إعلامية «وأحد أسباب ذلك هو توافر مجموعة أوسع كثيراً يتم الاختيار من بين عناصرها بالقياس إلى الكلمات الوظيفية ثم إن كلمات المحتوى تستثير مواد معرفية أوسع مدى، وأكثر تنوعاً وفي وسعها أيضاً استخلاص صور ذهنية، أو انفعالات بارزة بأكثر مما تقوى على فعله الكلمات الوظيفية»[1].

ثانياً: إعلامية من الدرجة الثانية:

إن الإعلامية من الدرجة الأولى لا تحتاج إلى جهد، أو انتباه شديد؛ لفهم وقائعها؛ حيث إن عمليات الاختيار التي يقوم بها المتلقي عند الاتصال تكون سهلة لعدم وجود أي أدلة تخالف هذا الاختيار، فالاختيار يتم بصورة شبه آلية، أما عندما تتجاوز الوقائع حالات الاختيار شبه الآلي، وعندما توجد أدلة تخالف اختيار المتلقي، ويصبح للوقائع درجة من الغموض تحتاج إلى إعمال الفكر للترجيح بين الاختيارات عندئذٍ نحكم على هذه الوقائع بأنها ذات إعلامية من الدرجة الثانية، فهي تحتاج إلى قدرٍ كبير من مشاركة المتلقي، حيث إنه يشارك مبدع النص بشكل ما في انتاج دلالات النص، ومن ثم تكون هذه الدرجة من الإعلامية ممتعة ومفيدة للمتلقي «ولعل وجود عناصر واردة من المرتبة الثانية هو المستوى العادي للاتصال بطريق النص، حتى إن العناصر الواردة من المرتبة الأولى يمكن إعلاء مرتبتها – ما لم تكن تستحق مزيد اهتمام– كما أن العناصر الواردة من المرتبة الثالثة يمكن خفض نسبتها»[2].

ثالثاً: إعلامية من الدرجة الثالثة:

يستطيع مستقبل النص أن يحكم على ما في النص من وقائع، أنها تتسم بإعلامية من الدرجة الثالثة عندما تكون هذه الوقائع خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة، بمعنى «أن هذه الوقائع تكون نادرة الوقوع أي غير متوقعة،

---

(١) مدخل إلى علم لغة النص، ١٨٨.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ٢٥٥.

Scanned by CamScanner

وبالتالي فإنها تحتاج إلى جهدٍ ومشقة عند معالجتها، أو الاتصال عن طريقها، ولكنها بما تمتلك من غموض، وعدم توقع تشد انتباه المتلقي، وتجعله يفكر فيها ويجتهد كثيراً لإيجاد رابطٍ يربطها بما قبلها إذ تبدو – لأول وهلة – منقطعة الصلة بما قبلها وما بعدها، وكلما توصل مستقبل النص إلى إيجاد علاقة مقبولة كانت إسهاماته في إنتاج النص أكثر، وعندئذٍ تكون عملية الاتصال ناجحة، ويكون النص مقبولاً، أما عندما يفشل مستقبل النص في إيجاد تلك العلاقة فإن عملية الاتصال تكون معرضة للفشل، ومن ثم يكون النص معرضاً للرفض، لذلك يجب ألا يصل عدم التوقع، أو الغموض إلى درجة التعقيد التي لا يخرج منها للمتلقي بطائلٍ مهما بذل من جهدٍ، ومهما أعمل ذهنه في سبر أغوار النص»[1].

وعلى الرغم مما يجد مستقبل النص الغامض من مشقةٍ، وعناءٍ؛ حيث إنه يبذل أعلى درجات الاهتمام والتركيز، فإنه – في النهاية – يحصل على أعلى درجات اللذة، والمتعة عندما يتوصل إلى حلِ ما في النص من شِفراتٍ وملء ما به من فجوات، والتوصل على علاقات تربط ما به من مفارقات، «حيث إن هذا الغموض الذي ينتاب الوقائع التي تتسم بهذه الدرجة العالية من الإعلامية يعود غالباً إلى:

(أ) **الانقطاعات**: بمعنى الحذف، أو عدم وجود مادة.

(ب) **المفارقات**: بمعنى أن الأنماط التي ترد في النص تكون مختلفة عن أنماط المعرفة المختزنة»[2].

ومن هنا تكون تبعة مستقبل النص عظيمة، حيث إنه هو الذي يملأ هذه الفراغات بما يتناسب مع سياق النص، وهو الذي يبحث عن علاقات تربط بين هذه الوقائع التي تبدو غير منسجمة إلا أنه يوضح انسجامها، ويبرر سبب اختيارها.

---

(١) معايير النصية، ص٣٦٤. بتصرف.

(٢) النص والخطاب والإجراء ص ٢٥٥، مدخل إلى علم لغة النص ص ١٩٠.

أنواع الخفض:

ومهما يكن من أمرٍ فإنه لن يكون يسيراً على مستقبل النص أن يقوم بهذا الدور بغير خفض منزلة وقائع الدرجة الثالثة إلى الدرجة الثانية، «وعملية الخفض لها اتجاهات ثلاث:

(أ) **خفض رجعي**: ويكون بالرجوع إلى الوقائع السابقة للوصول إلى الغرض من هذا الغموض، وحل شفراته.

(ب) **خفض تقدمي**: ويكون بانتظار الوقائع اللاحقة التي تأتي لتفسير الغموض الذي واجه المتلقي، ولتضع مبرراً مقبولاً لوجود عناصر غير متوقعة.

(ج) **خفض خروجي**: وذلك عندما يخرج مستقبل النص خارج نطاق النص ليبحث عن تفسيرٍ؛ وذلك باللجوء إلى أحد عناصر سياق الموقف»[1].

وجدير بالذكر أن مراتب الإعلامية الثلاثة متوافرة في أنواع النصوص المختلفة، ولكن تختلف مطالب الناس من الكفاءة الإعلامية باختلاف أنواع النصوص والمواقف، «فالمحادثة بين الأزواج فيما يبدو تتم بقدرٍ ضئيلٍ جداً من الكفاءة الإعلامية على حين تتطلب الأعمال الفنية المعاصرة أعلى مرتبة»[2].

الإعلامية والتداولية:

إن مصطلح النص عادة يشير إلى رسالة تم تسجيلها بطريقة ما (كتابة أو تسجيل صوتي أو تسجيل تلفزيوني)؛ لذا فهي رسالة مستقلة في وجودها المادي عن مرسلها ومستقبلها. يقول الدكتور عيد بليع: «إن النص هو مجموعة من العلامات مثل: الكلمات والصور والأصوات وأحياناً الإيماءات، وهذه الرسالة مبنية (ومؤولة)

(١) النص والخطاب والإجراء ص ٢٥٥ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص ٢٥٥.

Scanned by CamScanner

بالإشارة إلى ملابسات عرفية في نوع أدبي أو وسيط خاص من الاتصال، والوسيط المستعمل على نحو متكرر أو أكثر طلاقة أو على نحو أكثر خفاء أو أكثر وضوحاً، هذا الوسيط يميل إلى أن يكون ملائماً، وبالنسبة لأكثر الأهداف إمعاناً في تكرارها المنتظم فإن الوعي بالوسيط ربما يعوق تأثيره كوسيلة إلى النهاية، وفي الواقع يصبح الأداء نموذجياً عندما يكتسب الوسيط درجة الوضوح التي تملك قدرة كامنة في تأدية وظيفتها الأولية على نحو أعظم»[1]. أي أنَّ الرسالة تنتقل من المرسل إلى المتلقي عبر وسيطٍ ما، هذا الوسيط يحمل العبء الأكبر في الحكم على الرسالة – النص – بالقبول أو الرفض حسب درجة ملائمته للمعنى المقصود من الرسالة. لذا من أهم المصطلحات التي يبنى عليها الرؤية التداولية «نظرية الملاءمة اللغوية» وهي من أقرب المفاهيم علاقة بالإعلامية؛ فإنَّ «درجة ملاءمة الخطاب ليست موقوفة على الآثار السياقية التي تنشأ عن تفاعل قضيتين، لأن لوسيط الجهد المعرفي دور في تقويم مدى ملاءمة هذا الملفوظ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهداً كبيراً كانت ملاءمته ضعيفة»[2]. إضافة إلى أن ملاءمة الملفوظ تزداد إذا كانت نتائجه أكثر، من ذلك مثلاً أن يؤدي إلى استنتاجات في نهاية العملية الاستدلالية للتأويل؛ فكلما تطلب العمل جهداً أقل في تأويله ازدادت ملاءمته، وكلما كانت له نتائج أكثر كلما ازدادت ملاءمته، ومن ثَمَّ فإنَّ الملائمة اللغوية تحقق المرتبة الثانية للإعلامية؛ فهي تتطلب جهداً

---

(١) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، العدد٦٦، القاهرة،ربيع ٢٠٠٥م، ص٤٠.

(٢) انظر للتفصيل:

- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٤٥:٣٦.
- عبدالعزيز شرف، علم الإعلام اللغوي، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٢٣.

Scanned by CamScanner

للوصول إلى المعنى، ولكن هذا الجهد غير مبالغٌ فيه - كما ذكرنا سابقاً - حتى تتحقق الملائمة اللغوية مع المعنى الذي يقصده المتكلم. إن مفهوم الملاءمة بهذا الشكل يجعلنا نبحث عما يمكننا من الحكم على العمل بالملاءمة من عدمها، فما من شكٍ في أن المعلومات المتوافرة في السياق، التي تمكننا من الوصول إلى بعض النتائج هي صاحبة الحظ في الحكم على القول بأنه ملائم، وتستلزم هذه الصياغة ألا نكتفي بالمعلومات الكفيلة بتحقيق نتائج مهمة، بل علينا دائماً أن نلقف المعلومات الأسهل منالاً[1].

آليات الإعلامية:

ومن الأمثلة التي تحمل درجة عالية من الإعلامية إلى المتلقي بتأثير المتوقع واللامتوقع: (أ) التناص. (ب) الحذف. (ج) إيحائية اللغة. (د) الكناية. (هـ) الاستعارة.

(أ) التناص:

يقوم التناص بدورٍ مؤثرٍ في رفع درجة الإعلامية، وذلك لأن الشاعر يُضمن شعره شعراً آخر لغيره من الشعراء، وكذلك النص القرآني كما ذكرنا سابقاً- في فصل التناص - يفسر بعضه بعضاً، والمتلقي في هذه الحالة يقرأ هذا النص ويلتقط معنى التضمين فيذكر النص المضمَن، ويذكر الجو الذي قيل فيه، والمعاني التي يوصلها، وعندئذٍ فإن المتلقي يتوقع أنه سيقرأ في نفس المعنى وباستئناف القراءة يصطدم بما يخالف هذا المعنى، أو بما يتعارض معه تماماً فيشعر بالمفاجأة حيث إنه عندما تذكر

---

(١) انظر للتفصيل:

- التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، ص٤٠ وما بعدها.
- آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٣٣ وما بعدها.
- أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد بحيري، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م، ص ٢٩ وما بعدها.

معاني النص المُضمَن توقع أن تستمر خلال النص، فإذا بها تخالفه، ومن هنا يكون بحث المتلقي عن الدافع وراء هذه المخالفة، فيستخلص الدوافع ويكتشف المعاني المستورة، وبذلك ترتفع إعلامية النص [١].

(ب)الحذف:

فالحذف من الأمثلة التي تتمتع بدرجة عالية من الإعلامية؛ حيث إن مرسل النص – أي نص – حين يفصح عما بداخله بدون حذف، فإنه يجعل خيال المتلقي مقصوراً على ما ذكره فقط، ولكنه عندما يذكر بعضاً ويحذف بعضاً، فإن هذا المحذوف سيكون بمثابة الصدمة التي تفجر طاقات المتلقي، وتفتح الآفاق أمام خياله، ليصل إلى هذه المعاني المحذوفة، وعندئذٍ يُثري المتلقي النص بمعانٍ كثيرة ربما يخطربعضها ببال المرسل نفسه «فإن ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن» [٢].

(ب –١) النساء:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١) يقول الزمخشري: «فإن قلت علام عطف قوله: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو إبتدأها وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها»[٣]، فالحذف كان إعمالاً لذهن المتلقي ورفعاً لدرجة الإعلامية.

---

(١) بالرجوع إلى فصل التناص ما يغني عن التكرار.

(٢) دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

(٣) الكشاف، ١/ ٤٩١.

Scanned by CamScanner

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(النساء:١٧). يقول ابن عاشور: «وقوله ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ ﴿مِن﴾ فيه للابتداء، و ﴿قَرِيبٍ﴾ صفة لمحذوف أي من زمن قريب من وقت عمل السوء، وتأويل بعضهم معنى ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ بأن القريب هو ما قبل الاحتضار وجعلوا قوله بعده﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يبين المراد من معنى ﴿قَرِيبٍ﴾ »[1].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ (النساء: ٣٧ – ٣٨). يقول ابن عاشور: «فيكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ مبتدأ وحذف خبره، ودل عليه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، وقصد العدول عن العطف: لتكون مستقلة ولما فيه من فائدة العموم وفائدة الإعلام بأن هؤلاء من الكافرين؛ فالتقدير: الذين يبخلون أعتدنا لهم عذاباً مهيناً وأعتدنا ذلك للكافرين أمثالهم وتكون جملة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوفة أيضاً على جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ محذوفة الخبر أيضاً يدل عليه قوله ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ إلخ، والتقدير: والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس قرينهم الشيطان، ونكتة العدول إلى العطف مثل نكتة ما قبلها»[2]. والعدول والحذف كلاهما يرفع من درجة الإعلامية؛ لاستنادهما إلى عدم المتوقع.

(ج) إيحائية اللغة:

إن النص القرآني زاخرٌ بالاستخدامات الجديدة للغة، مما يثير اهتمام المتلقي، ويدفعه إلى القراءة الاستنباطية التي تخرج من النص معاني جديدة وثرية، مما يرفع من

---

(١) التحرير والتنوير،١/ ٩١٣.

(٢) نفسه،١/ ٩٤٩.

درجة إعلامية النص «وتتمثل مثل هذه الاستخدامات الجديدة في نقل الكلمات إلى سياقات جديدة غير معهودة من قبل... ولذلك فإن بعض استخدامات اللغة قد شكلت من خلال تركيب العبارات الجديدة انتهاكاً لما هو مألوف وعادي، وقد وسمت مثل هذه الاستخدامات غير المألوفة للغة بالانحراف، والتوتر، والفجوة، والصدمة، والمفاجأة، والخلخلة، وكسر بنية التوقعات، وذلك قياساً على معيار الحقيقة، والواقع ومعرفة القارئ الأولية»[1]. ومن الأمثلة القرآنية لسورتي النساء والأعراف التي تبرز قدرة النص القرآني على انتهاك حدود اللغة المألوفة لدى المتلقي، والتخطي إلى لغة تثير فضول المتلقي وتحثه على البحث وراءها ومحاولة سبر أغوارها:

(ج-١) النساء:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(النساء: ٢٦). زيدت اللام لإرادة التبيين، يقول الزمخشري: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أصله يريد الله أن يبين لكم؛ فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبالك؛ لتاكيد إضافة الأب، والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم»[2]. أي أن الآية الكريمة خرجت على الأصل في التعبير عن التبيين لإظهار أعلى درجات التبيين مما يثير المتلقي ويجعله يسبح بذهنه ليقدر درجة التبيين التي توضحها الآية وفيه رفعٌ لدرجة الإعلامية.

(١) جماليات الأسلوب والتلقي، ص١٠٦.

(٢) الكشاف،١/ ٥٣٣.

Scanned by CamScanner

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٥). أصله شقاقاً بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع وفي هذا -أيضاً- خروج عن المألوف لدى المتلقي، يقول أبوحيان: «والشقاق: المشاقة، والأصل شقاقاً بينهما، فاتسع وأضيف، والمعنى على الظرف كما تقول: يعجبني سير الليلة المقمرة، أو يكون استعمل اسماً وزال معنى الظرف، أو أجرى البين هنا مجرى حالهما وعشرتهما وصحبتهما»[1]. فقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى غرضٍ بلاغي؛ مما يجعل المتلقي يعمل فكره للوصول إلى الهدف من وراء هذا الغرض البلاغي الجديد، وفيه رفعٌ لدرجة الإعلامية.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ٥٣). وكذلك نجد أم المنقطعة، ومعنى الهمزة - هنا - للإنكار، يقول الألوسي: «والمراد إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما تدعيه اليهود من أن الملك يعود إليهم في آخر الزمان»[2].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤). أسلوب التفات حيث قيل استغفر لهم ولم يقل استغفرت لهم، يقول الزمخشري: «لم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ـ ﷺ ـ وتعظيماً لاستغفاره»[3]. وفي هذا الأسلوب إثارة لذهن المتلقي، وإعمالاً لذهنه مما يرفع من درجة الإعلامية.

---

(١) البحر المحيط، ٤/ ١٢٤.
(٢) روح المعاني ٥/ ٥٦.
(٣) الكشاف ١/ ٥٥٩.

(ج-٢) الأعراف:

• قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾(الأعراف: ٦ - ٧). الأسلوب يحمل معنى التوبيخ والتقريع للأمم التي كذبت رسلهم يوم القيامة، يقول ابن عاشور: «وسؤال الذين أرسل إليهم سؤال عن بلوغ الرسالة، وهو سؤال تقريع في ذلك المحشر، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾- ﷺ - وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة سؤال إرهاب لأممهم؛ لأنهم إذا سمعوا شهادة رسلهم عليهم أيقنوا بأنهم مسوقون إلى العذاب، وقد تقدم ذلك في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (النساء: ٤١)، وقوله ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾(المائدة:١٠٩). والذين أرسل إليهم هم أمم الرسل، وعبر عنهم بالموصول لما تدل عليه الصلة من التعليل فإن فائدة الإرسال هي إجابة الرسل فلا جرم أن يسأل عن ذلك المرسل إليهم ولما كان المقصود الأهم من السؤال هو الأمم لإقامة الحجة عليهم في استحقاق العقاب قدم ذكرهم على ذكر الرسل»[1].

• قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾(الأعراف: ١٥). أسلوب لإبتلاء العباد بوسوسة إبليس – لعنه الله – حتى يوم الدين، يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٤٨٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٨٧.

Scanned by CamScanner

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(الأعراف: ٢٧). أسلوب للتحذير والتخويف، يقول الألوسي: «أي قرناء لهم مسلطين عليهم متمكنين من إغوائهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة، أو بارسالهم عليهم وتمكينهم منهم، والجملة إما تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير إثر تأكيد، وإما فذلكة لحكاية السابقة»[1].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢). أسلوب للإنكار، يقول أبوحيان: «ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرميها، وقد كانوا يحرمون أشياء من لحوم الطّيبات وألبانها، والاستفهام إذا تضمّن الإنكار لا جواب»[2].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(الأعراف: ٧٠). استفهام للإنكار، يقول الزمخشري: «أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة، وترك دين الآباء، في اتخاذ الأصنام شركاء معه؛ حباً لما نشأوا عليه، وألفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به»[3].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٩). يقول الشوكاني: «والاستفهام في (أفأمنوا مكر الله) للتقريع والتوبيخ وإنكار ما هم عليه من أمان ما لا يؤمن من مكر الله بهم وعقوبته لهم، وفي

(١) روح المعاني ٨/ ١٠٦.
(٢) البحر المحيط ٥/ ٣٣٧
(٣) الكشاف ٢/ ١١١.

Scanned by CamScanner

تكرير هذا الاستفهام زيادة تقرير لإنكار ما أنكره عليهم، ثم بين حال من أمن مكر الله فقال ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي الذين أفرطوا في الخسران ووقعوا في وعيده الشديد، وقيل: مكر الله هنا هو استدراجه بالنعمة، والصحة والأولى حمله على ما هو أعم من ذلك»[1].

• قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(الأعراف: ١٥٨).

أسلوب إلتفات، يقول ابن عاشور: «وفي قوله ﴿وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ التفات من التكلم إلى الغيبة لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد ﷺ»[2].

(د) الكناية:

إن التعبيرات المجازية بشكل عام تحمل شحنات إبلاغية أعلى بكثير من التعبيرات الحقيقية التي تخلو من المجاز ومن الخيال، حيث إن التعبيرات الخيالية تأتي محاطة بشيء من الغموض الذي يحتاج إلى روية وبحث من قبل المتلقي حتى يحدث لها عملية خفض تمكنه من فهم المطلوب، وتمكنه من إيجاد علاقة بين المعنى المراد، والمعنى المستخدم، ودرجة الإعلامية العليا التي تتميز بها هذه التعبيرات ليس مرجعها فقط الغموض، لكن إلى كثرة المعاني التي توحي بها وتستفزها في ذاكرة المتلقي، وذلك لأن «الصفة إذا لم تأتك مصرَّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليه بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض، والكناية، والرمز،

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٣٢.
(٢) نفسه ١/ ١٦٥٧.

والإشارة، كان له من الفضل، والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضعُ الفضيلة فيه»[1]، ومما ينطبق عليه هذا الكلام الكناية، ففيها مثلاً تريد وصف إنسانٍ بصفة فتترك التصريح بذلك وتكني عن كونها فيه بجملها في شيء يشتمل عليه، ويتصل به بشكلٍ ما، ومن أمثلة ذلك من خلال سورتي النساء والأعراف:

(د-١) النساء:

• قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾(النساء: ٢١). الكناية: في قوله تعالى (وقد أفضى بعضكم إلى بعض): الكلام كناية عن الجماع، والعرب إنما تستعملها فيما يستحي من ذكره كالجماع، يقول القرطبي: «فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه: وكيف تأخذون ما آتيتموهن، وقد أفضى بعضكم إلى بعض بالجماع»[2]، وبه قال الألوسي[3].

• قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء: ٣٤). يقول الزمخشري: «﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد أي: لا تدخلوهن تحت اللحف، أو هي كناية عن الجماع، وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع، وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن»[4]، وكلها معاني تدور – أيضا – حول عدم الجماع أو ما يقاربها من مداعبات،

(١) دلائل الإعجاز، ص٣٠٦.
(٢) تفسير القرطبي، ٨/ ١٢٦.
(٣) روح المعاني، ٤/ ٢٤٤
(٤) الكشاف، ١/ ٥٣٨.

Scanned by CamScanner

ومن ثم تركت الآية الكريمة التصريح بمعنى الهجر في المضاجع؛ إعمالاً للذهن المتلقي وخفضاً للدرجة الإعلامية.

- قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨). يقول الألوسي: «عدم محبته ـ سبحانه وتعالى ـ لشيء كناية عن غضبه»[1]. والمعنى كما يقول الطبري: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، ولكن من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما نيل منه، أو ينتصر ممن ظلمه»[2].

(د-٢) الأعراف:

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾(الأعراف:١١). الكناية: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فالكلام كناية عن خلق آدم ـ عليه السلام ـ، والمعنى خلقنا أباكم آدم ـ عليه السلام ـ طيناً غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم،يقول ابن عاشور: «خلقنا أصلكم ثم صورنا وهو آدم كما أفصح عنه قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾»[3].

- قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف: ٧٢). فالكلام كناية عن الاستئصال، والدابر الآخر أي أهلكناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم، يقول الطبري:« أي: استأصلناهم»[4]. ويؤكد الألوسي ما ذهب إليه الطبري فيقول: «كناية عن الاستئصال والدابر الآخر أي أهلكناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم»[5].

---

(١) الكشاف، ٦/ ٢.

(٢) تفسير الطبري، ٩/ ٣٤٨.

(٣) التحرير والتنوير، ١/ ١٤٩٣.

(٤) تفسير الطبري، ١٢/ ٥٢٤.

(٥) روح المعاني، ٨/ ١٥٩.

Scanned by CamScanner

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(النساء: ١٠٢). ﴿حِذْرَهُمْ﴾ أي: احترازهم شبهه بما يتحصن به من الآلات؛ ولذا أثبت له الأخذ تخييلاً، وإلاَّ فهو أمر معنوي لا يتصف بالأخذ، ولا يضر عطف قوله سبحانه: وأسلحتهم عليه للجمع بين الحقيقة والمجاز، وهو من البلاغة في ذروتها ومن الفصاحة في شدتها، قاله الألوسي[1]. ويقول ابن عاشور: «وقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ استعمل الأخذ في حقيقته ومجازه: لأن أخذ الحذر مجاز إذ حقيقة الأخذ التناول وهو مجاز في التلبس بالشيء والثبات عليه، وأخذ الأسلحة حقيقة ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (الحشر: ٩). فإن تبوأ الإيمان الدخول فيه والاتصاف به بعد الخروج من الكفر»[2].

(ز-٢) **الأعراف:**

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧) الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ حيث شبه حال تسويل إبليس ووسوسته لهم كذلك بحال إتيان العدو لمن يعاديه من أي جهة أمكنته ولذا لم يذكر الفوق والتحت إذ لا إتيان منهما. يقول الشوكاني: «ذكر الجهات الأربع؛ لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوه؛ ولهذا ترك ذكر جهة الفوق والتحت وعدي الفعل إلى الجهتين

---

(١) روح المعاني ٥/ ١٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٠١٩.

Scanned by CamScanner

الأولين بمن وإلى الآخرين بعن؛ لأن الغالب فيمن يأتي من قدام وخلف أن يكون متوجهاً إلى ما يأتيه بكلية بدنه، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفاً؛ فناسب في الأولين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين التعدية بحرف المجاوزة، وهو تمثيل لوسوسته وتسويله بمن يأتي حقيقة»[1].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٢٦). الاستعارة: في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أي أفض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون، فـ﴿ أَفْرِغْ ﴾ على الأول استعارة تبعية تصريحية و﴿ صَبْرًا ﴾ قرينتها، والمراد هب لنا صبراً تاماً كثيراً، وعلى الثاني يكون ﴿ صَبْرًا ﴾ استعارة أصلية مكنية و﴿ أَفْرِغْ ﴾ تخييلية. يقول الزمخشري: «﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾: هب لنا صبراً واسعاً وأكثره علينا، حتى يفيض علينا ويغمرنا، كما يفرغ الماء فراغاً، وعن بعض السلف: إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوباً ثم يقول: قد مازحتك، أي يغمره بالحياء، والخجل، أو صبّ علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام، وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون؛ لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم»[2].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(الأعراف: ١٥٤).الاستعارة: في قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) ففي الكلام استعارة مكنية، حيث شبه الغضب بشخص ناه آمر،

(١) فتح القدير ٢/ ٢٨١.
(٢) الكشاف، ٢/ ١٣٤.

وأثبت السكوت على طريق التخييل يقول الزمخشري: «﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ هذا مثل، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألقي الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك»[١].

وقال السكاكي: إن فيه استعارة تبعية، حيث شبه سكون الغضب وذهاب حدته بسكون الأمر الناهي، والغضب قرينتها وقيل: الغضب استعارة بالكناية عن الشخص الناطق، والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه، فيكون في الكلام مكنية قرينتها تصريحية لا تخييلية، وأيا ما كان ففي الكلام مبالغة وبلاغة لا يخفى علو شأنها قاله الألوسي[٢].

نخلص مما سبق بأن هذا هو ديدن القرآن الكريم، حيث إنه يزخر بالآيات، والنصوص المرتفعة في درجة الإعلامية – لا فرق في ذلك بين السور المكية والسور المدنية – كما رأينا في التطبيق العملي لمعيار الإعلامية على سورتي النساء والأعراف–، والتي تدعو إلى التأمل الطويل بغرض الوصول إلى المعنى المراد، ومما لا شكّ فيه أن المتعة التي تأتي سهلة تذهب سريعاً، أما المتعة التي يحصل عليها المتلقي بعد طول نظر، وإمعان فكر، وكد ذهن فإنها تدوم، فكلما كان حصوله على الفائدة أصعب كان بقاء لذتها أطول، لكن يجب ألا يصل هذا الغموض إلى درجة التعقيد التي تنغلق عنده النصوص فيكد المتلقي ذهنه ويمعن فيها فكره ثم لا يخرج منها بشيء؛ فالتعقيد مذموم عند جميع النقاد منذ أقدم العصور.

---

(١) الكشاف، ٢/ ١٥٤.

(٢) روح المعاني ٩/ ٧١.

Scanned by CamScanner

الفصل السادس

أولا: (القصد)

«Intentionality»

Scanned by CamScanner

مصطلح القصد:

القصد له معانٍ لغوية كثيرة منها: «والقَصْدُ الاعتمادُ والأَمُّ...، وهو قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أي تُجاهَك...، والقَصْدُ إتيان الشيء تقول قصَدْتُه وقصدْتُ له وقصدْتُ إليه بمعنى...، والقَصْد في الشيء خلافُ الإفراطِ وهو ما بين الإسراف والتقتير...، قال ابن جني أصل«ق ص د» ومواقعها في كلام العرب الاعتزامُ والتوجُّه والنُّهودُ والنُّهوضُ نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جَوْر هذا أصلهُ في الحقيقة»[1] فالجامع بين هذه المعاني هو النية والتوجه و لاعتزام، ولكنها نيِة عامةٌ وتوجُهٌ عام. فإذا ما كانت هذه النية من منشىء النص ويوجهها إلى صورة من صور اللغة يعتزم أن تكون نصاً كان هذا هو معنى القصد بوصفه من معايير النصية،

وهو -كما يعرِفه روبرت دي بوجراند- «يتضمن موقف منشىء النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام- الحبك- وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة والوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام»[2]. ومن خلال هذا التعريف تتبين لنا مجموعة من الملاحظات المهمة وهي كالتالي:

أولاً: السبك والحبك معياران لهما صلة وثيقة بمادة النص نفسه غير أنهما من اختيار منشىء النص، أما القصد والقبول فهما معياران لهما صلة وثيقة بمستعملي النص،

---

(١) لسان العرب: ٥/ ٣٦٤٢، ٣٦٤٣ مادة: (ق ص د).

(٢) النص والخطاب والإجراء ص١٠٣.

حيث إن القصد يختص بمنشىء النص والقبول يختص بمستقبل النص، ومن ثم فالسبك والحبك تابعان للقصد.

ثانياً: أن القصد قصدان؛ الأول منهما وهو «متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها» وهذه الغاية هي القصد الأصلي لمنشىء النص، أما الثاني، وهو القصد الفرعي فهو قصد منشىء النص بصورة ما من صور اللغة أن يكون نصاً يتمتع بالسبك والحبك، وهذا القصد الفرعي وسيلة للوصول إلى القصد الأصلي الذي يؤمُه منشىء النص.

ثالثاً: وجود مساحة مُتغيِرة من التغاضي في مجال القصد؛ حيث إن هناك مواقف يصعب فيها تحقيق السبك والحبك، ومع ذلك يظل القصد – من الناحية العملية – قائماً، «ولا سيما في مجال المحادثات العارضة»[1].

أنواع المقاصد:

هذا الأمر يجعلنا نتساءل عن: مصدر الدلالة داخل النص، هل هو النص نفسه؟ أم المبدع؟ أم المتلقي؟ وبتعبير آخر، من صاحب القصد داخل النص؟ وللإجابة عن هذا السؤال نُورد المخطط التالي لأحد الباحثين الذي تتضح فيه الإجابة[2].

(١) معايير النصية، دراسة في نحو النص، ص ٢٠٨.
(٢) نفسه، ص٢١٩.

وحقيقة الأمر أن اكتشاف الفعل الكلامي الشامل أو الكلي للنص يمثل المقصد الرئيس للمتكلم من نصه، وقد لا يكون اكتشاف هذا المقصد من السهولة بمكان في بعض النصوص التي تحوي في ماوراء النص قصوداً خفية أو إضافية، وربما كان النص في وادٍ وقصده في وادٍ آخر[1].

القصد والمعنى القرآني:

معرفة مقاصد القرآن الكريم وسوره قائمة على الاحتمال والاجتهاد، ولا يمكن لبشرٍ أن يقف على مراد الله ومقاصده – عز وجل – في كتابه جزماً ويقيناً، بيدَ أن الوقوف على ذلك القصد والمعنى القرآني لا يتأتى بإدراك معاني كلمات القرآن في حقولها المعجمية منفردةً عن غيرها؛ ذلك «أنّا زعمنا أن الألفاظ، التي هي أوضاع اللغة، إنما وضعت لِيُعرف بها معانيها في أنفسها، لأدّى ذلك إلى ما لا يشكُّ عاقل في استحالته»[2]. وقد جعل بعضهم المعنى القرآني ضربين:

الأول: المعنى القصدي، وهذا هو عين مراد الله – سبحانه وتعالى – وهو معنى توفيقيٌّ، ليس لنا معه إلا الاجتهاد في فهمه، حين يبلغنا بسندٍ صحيح عن سيد المرسلين سيدنا محمدٍ - ﷺ -.

الثاني: المعنى الإدراكي، وهو كل ما يدركه أهل العلم والتدبُّر من النص القرآني، وفقاً لأصول الإدراك والتدبر وضوابطها. وتعريفه: كل ما يدركه ويستنبطه أهل العلم من النص في سياق السورة المقالي والمقامي وفقاً لأصول الفهم

---

(١) انظر للتفصيل:

- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية (د ط)، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٢ وما بعدها
- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفهان، ترجمة صابر الحباشنة، دار الحوار، ط١، سوريا، ٢٠٠٧م، ص١٨ ومابعدها.

(٢) دلائل الإعجاز ص٥٣٩.

والاستنباط»[1]. ومن ثمّ فإن مناط بحثنا هو ذلك المعنى الإدراكي القائم على التدبر والاجتهاد بعيداً عن الهوى والغواية، أما المعنى القصدي فلا يمكن لنا ولا لغيرنا من بشرٍ أن يُجزم أن ما يقصده البشر من كلامه – سبحانه وتعالى – هو عين مراده عزوجل – من قرآنه الموحَى إلى نبيه – ﷺ –.

مقاصد سورتي النساء والأعراف:

أولاً: سورة النساء:

سورة النساء مدنية، فقد روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: «مانزلت سورة البقرة والنساء إلاّ وأنا عنده-ﷺ – »[2]. ولا خلاف أنّ النبي - ﷺ - إنما بنى بها بالمدينة. وقد تباينت آراء العلماء والمفسرين في الكشف عن الموضوع الرئيس لسورة النساء ومنها: رأي الرازي الذي يرى أنّ في السورة طابع عام غالب على السورة دون تحديد وتصريح للموضوع الرئيس، فيقول: «اعلم أنّ هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم، وإيصال حقوقهم إليهم، وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة»[3].

في حين نجد الفيروز آبادي – كما هو دأبه – يغوص في بيان الأغراض الجزئية لمعاقد السورة، فيقول: «وأما ما اشتملت عليه السورة مجملاً فبيان خلقة آدم وحواء، والأمر بصلة الرحم، والنهي عن أكل مال اليتيم، وما يترتب عليه من عظم

---

(١) محمود توفيق سعد، العزف على أنوار الذكر؛ معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ص ١٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٩٩٣)، ٩/ ٤٥.

(٣) مفاتيح الغيب، ٩/ ١٦٣.

Scanned by CamScanner

الإثم،....إلخ»[١]. وسار على نهجه ابن عاشور[٢]. أما البقاعي فلم يكتف بالنظرة الثاقبة إلى سورة النساء ليكشف عن محورها الرئيس فحسب، بل امتدت نظرته إلى ربط مقصودها بمقصود السورتين السابقتين عليها، يقول: «مقصودها الإجتماع على التوحيد الذي هدت إليه سورة آل عمران، والكتاب الذي حدت إليه سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة؛ تحذيراً مما أراده شاس بن قيس، وأنصاره من الفرقة. ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، ولأن بالاتقاء فيهنّ تتحقق العفّة والعدل الذي لبابه التوحيد»[٣].

وما ذكره البقاعي ذكره علماء التفسير الموضوعي ونسبوه إليه، ولكنهم زادوا عليه تقسيم السورة إلى ثلاثة عشرة مقطعاً تُمثل المحاور الجزئية للسورة[٤]. وما ذكره معظم المفسرين لا يخرج مضمون اجتهاداتهم للموضوع الرئيس للسورة عما ذكره البقاعي عن وحدة الدين، فكل الأحكام التي ذُكرت في السورة، سواء كانت تعالج الشأن الداخلي، أو الخارجي للمجتمع المسلم لا يخرج عن كونه وحدة الدين الذي لا يفرق بين موضوعاته وجزئياته التي تتصل ببعضها اتصالاً عضوياً مترابطاً غير قابل للانفصال.

---

(١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١/ ١٧٠

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٤:٢١٣.

(٣) مصاعد النظر، ٢/ ٨٩:٨٨.

(٤) يُنظر تفصيل هذه المقاطع في: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط١، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ٢/ ٢٧٨:٤.

Scanned by CamScanner

ثانياً: سورة الأعراف:

هذه السّورة نزلت بمكة إجماعاً. ولهذه السّورة ثلاثة أسماء: سورة الأعراف، لاشتمالها على ذكر الأعراف فى ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وهى سُور بين الجنّة والنّار. الثّانى سورة الميقات؛ لاشتمالها على ذكر ميقات موسى فى قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾. الثالث سورة الميثاق؛ لاشتمالها على حديث الميثاق فى قوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾وأشهرها الأعراف[1]. والأعراف هو الاسم الذي عرفت به هذه السورة من عهد النبي -ﷺ- أخرج النسائي من حديث أبي مليكة عن عروة بن زيد بن ثابت: أنه قال لمروان بن الحكم: «ما لي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور وقد رأيت رسول الله -ﷺ-يقرأ فيها بأطول الطوليين. قال مروان قلت: يا أبا عبد الله ما أطول الطوليين قال: الأعراف»[2]. والمراد بالطوليين سورة الأعراف وسورة الأنعام فإن سورة الأعراف أطول من سورة الأنعام باعتبار عدد الآيات»[3]. وقد أجمل الفيروز آبادي أغراض السورة الجزئية فقال: «مقصود السّورة على سبيل الإجمال تسليةُ النبىّ -ﷺ- فى تكذيب الكفَّار إيَّاه، و ذكر وزن الأعمال يوم القيامة، وذكر خَلْق آدم، وإباءُ إبليس من السّجدة لآدم، ووسوسته لهما لأكل الشّجرة، وتحذير بنى آدمَ من قبول وسوسته، والأمر باتّخاذِ الزّينة، وستر العورة فى وقت الصّلاة، والرّد على المكذّبين، وتحريم الفواحش ظاهراً وباطناً، وبيان مَذَلَّة الكُفَّار فى النَّار، ومناظرة بعضهم بعضاً، ويأسهم من دخول الجنَّة، وذكر المنادِى بين الجنَّة والنَّار، ونداء أصحاب الأعراف لِكلا

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ١٤٣

(٢) انظر:

- صحيح البخارى (باب القراءة في المغرب) حديث رقم (٧٦٤).
- سنن أبي داود (باب قدر القراءة في المغرب) حديث رقم (٨١٢).
- سنن النسائي حديث رقم (٩٩٠).
- مسند أحمد حديث رقم (٢١٦٤١ -٢١٦٤٦).

(٣) التحرير والتنوير، ١/ ١٤٨٠.

الفريقين وتمنّيهم الرّجوع إلى الدّنيا، وحُجّة التوحيد، والبرهان على ذات الله تعالى وصفاته، وقصة نوح والطُّوفان، وذكر هود وهلاك عاد، وحديث صالح وقهر ثمود، وخبر لوط وقومه، وخبر شُعَيْب وأهل مَدْيَن، وتخويف الآمنين من مكر الله، وتفصيل أحوال موسى (وفرعون والسّحرة، واستغاثة بنى إسرائيل، وذكر الآيات المفصّلات، وحديث خلافة هارون، وميقات موسى)، وقصّة عِجْل السّامِرىّ فى غَيْبَةِ موسى و (رجوع موسى) إلى قومه، ومخاطبته لأخيه هارون، وذكر النبى الأُمّىّ العربىّ - ﷺ - والإشارة إلى ذكر الأسباط، وقصّة أصحاب السّبْت، وأهل أيْلة، وذم علماءِ أهل الكتاب، وحديث الميثاق ومعاهدة الله تعالى الذّرية وطرد بَلْعام بسبب ميله إلى الدنيا، ونصيب جهنّم من الجنّ والإنس، وتخويف العباد بقرب يوم القيامة، وإخفاء علمه على العالمين، وحديث صحبة آدم وحواء فى أوّل الحال، وذمّ الأصنام وعُبّادها وأمر الرّسول بمكارم الأخلاق، وأمر الخلائق بالإنصات والاستماع لقراءة القرآن، وخُطْبة الخطباءِ يوم الجمعة، والإخبار عن خضوع الملائكة فى الملكوت، وانقيادهم بحضرة الجلال فى قوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[1].

وقد حد ابن عاشور أغراض السورة ومقاصدها الفرعية – أيضاً –دون تحديد موضوع رئيس واحد تدور حوله تلك المقاصد الفرعية فقال: وتدور مقاصد هذه السورة على محور مقاصد؛ منها:

١ – النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله.

٢ – وإنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة.

٣ – ووصف ما حل بالمشركين والذين كذبوا الرسل: من سوء العذاب في الدنيا وما سيحل بهم في الآخرة.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ١٤٣.

Scanned by CamScanner

٤- تذكير الناس بنعمة خلق الأرض وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله.

٥- وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان.

٦- وتحذير الناس من التلبس ببقايا مكر الشيطان من تسويله إياهم حرمان أنفسهم الطيبات ومن الوقوع فيما يزج بهم في العذاب في الآخرة.

٧- ووصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين وكراماته للمتقين.

٨- والتذكير بالبعث وتقريب دليله.

٩- والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله لفائدة الإنسان.

١٠-والتذكير ببديع ما أوجده الله صلاحها وإحيائها.

١١-والتذكير بما أودع الله في فطرة الإنسان من وقت تكوين أصله أن يقبلوا دعوة رسل الله إلى التقوى والإصلاح.

١٢-وأفاض في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين ومما لاقوه من عنادهم وأذاهم وأنذر بعدم الاغترار بإمهال الله الناس قبل أن ينزل بهم العذاب وإعذارا لهم ان يقلعوا عن كفرهم وعنادهم فإن العذاب يأتيهم بغتة بعد ذلك الإمهال.

١٣- وأطال القول في قصة موسى مع فرعون وفي تصرفات بني إسرائيل مع موسى-ﷺ.

١٤-وتخلل قصته بشارة الله ببعثة محمد-ﷺ- وصفة أمته وفضل دينه.

١٥-ثم تخلص إلى موعظة المشركين كيف بدلوا الحنيفية وتقلدوا الشرك وضرب لهم مثلا بمن آتاه الله الآيات فوسوس له الشيطان فانسلخ عن الهدى.

١٦-ووصف حال أهل الضلالة ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول ووصف آلهتهم بما ينافي الإلهية وأن لله الصفات الحسنى صفات الكمال.

Scanned by CamScanner

١٧ - ثم أمر الله رسوله ﷺ والمسلمين بسعة الصدر والمداومة على الدعوة وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله بذكره سرا وجهرا والإقبال على عبادته[١].

أما سيد قطب فقد لخص موضوع السورة الرئيس والذي تدور حوله كل المقاصد الفرعية السابقة حول قضية الاتباع؛ منذ أن خلق الله آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ ومروراً بالصراع القائم بين الخير والشر في صوره المختلفة والمتنوعة إلى يومنا الحالي؛ بل إلى يوم الدين، فيقول: «هذه هي قضية هذا الدين الأساسية.. إنه إما اتباع لما أنزل الله فهو الإسلام لله، والاعتراف له بالربوبية، وإفراده بالحاكمية التي تأمر فتطاع، ويتبع أمرها ونهيها دون سواه.. وإما اتباع للأولياء من دونه فهو الشرك، وهو رفض الاعتراف لله بالربوبية الخالصة...؛ ولأن المحاولة ضخمة.. وهي تعني التغيير الأساسي الكامل الشامل للجاهلية: تصوراتها وأفكارها، وقيمها وأخلاقها، وعاداتها وتقاليدها، ونظمها، وأوضاعها، واجتماعها واقتصادها، وروابطها بالله، وبالكون، وبالناس..؛ لأن المحاولة ضخمة على هذا النحو؛ يمضي السياق فيهز الضمائر هزاً عنيفاً؛ ويوقظ الأعصاب إيقاظاً شديداً؛ ويرج الجبلات السادرة في الجاهلية، المستغرقة في تصوراتها وأوضاعها رجاً ويدفعها دفعاً.. وذلك بأن يعرض عليها مصارع الغابرين من المكذبين في الدنيا، ومصائرهم كذلك في الآخرة»[٢].

آليات القصد في سورتي النساء والأعراف:

(أ) براعة الاستهلال:

- وقد استهلت سورة النساء بما يحقق الموضوع الرئيس للسورة وهو وحدة الدين ومن قبل وحدة النوع الإنساني، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم

(١) التحرير والتنوير، ١/ ١٤٨١.
(٢) في ظلال القرآن، ٣/ ١٩٠.

Scanned by CamScanner

﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:١). يقول ابن عاشور: «فقد جاء الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: ليشمل جميع أمة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ. وفيما يأتي من الزمان؛ فضمير الخطاب في قوله ﴿خَلَقَكُم﴾ عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن أي لئلا يختص بالمؤمنين؛ إذ غير المؤمنين حينئذٍ هم كفار العرب، وهم الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر؛ لأن الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم، وقد كتب النبي -ﷺ- كتبه للروم وفارس ومصر بالعربية لتترجم لهم بلغاتهم، فلما كان ما بعد هذا النداء جامعاً لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر نودي جميع الناس فدعاهم الله إلى التذكر بأن أصلهم واحد إذ قال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد؛ فالمقصود من التقوى في ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾اتقاء غضبه ومراعاة حقوقه، وذلك حق توحيده، والاعتراف له بصفات الكمال وتنزيه عن الشركاء في الوجود والأفعال والصفات، وفي هذه الصلة براعة استهلال مناسبة لما شتملت عليه السورة من الأغراض الأصلية فكانت بمنزلة الديباجة»[1].

ويقول سيد قطب: «هذا الشوط الأول في السورة يبدأ بآية الافتتاح، التي ترد «الناس» إلى رب واحد، وخالق واحد؛ كما تردهم إلى أصل واحد، وأسرة واحدة، وتجعل وحدة الإنسانية هي «النفس» ووحدة المجتمع هي الأسرة، وتستجيش في النفس تقوى الرب، ورعاية الرحم... لتقيم على هذا الأصل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم في الأسرة الواحدة، ثم في الإنسانية الواحدة. وترد إليه سائر التنظيمات والتشريعات التي تتضمنها السورة»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٨٨١.

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٣٨.

Scanned by CamScanner

• يقول تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۞ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(الأعراف: ١ – ٢) يقول ابن عاشور: «افتتحت هذه السورة بالتنويه بالقرآن والوعد بتيسيره على النبي - ﷺ - ليبلغه وكان افتتاحها كلاما جامعا وهو مناسب لما اشتملت عليه السورة من المقاصد فهو افتتاح وارد على أحسن وجوه البيان وأكملها شأن سور القرآن»[١].

(ب) العدول:

• ولتأكيد أحد مقاصد السورة – وهو مراعاة حق اليتيم والمحافظة على أمواله - يأتي تعليل العدول عن الضمير إلى الإسم الظاهر في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾(النساء: ٦).فيقول ابن عاشور: «يجوز أن يكون جملة ﴿وَٱبۡتَلُواْ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ لتنزيلها منها منزلة الغاية للنهي، فإن كان المراد من السفهاء هنالك خصوص اليتامى فيتجه أن يقال: لماذا عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر وعن الاسم الظاهر المساوي للأولى إلى التعبير بآخر أخص وهو اليتامى؛ ويجاب بأن العدول عن الإضمار لزيادة الإيضاح والاهتمام بالحكم، وأن العدول عن إعادة لفظ السفهاء إيذان بأنهم في حالة الابتلاء مرجو كمال عقولهم ومتفائل بزوال السفاهة عنهم؛ لئلا يلوح شبه تناقض بين وصفهم بالسفه وإيناس الرشد منهم»[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٤٨٥.

(٢) نفسه،١/ ٨٩٣.

Scanned by CamScanner

- ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(النساء:٢٢). وعدل عن أن يقال: «لا تنكحوا نساء آبائكم ليدل بلفظ نكح على أن عقد الأب على المرأة كاف في جرمه تزوج ابنه إياها»[1]. وهذا العدول يحقق أحد مقاصد السورة وهو الحفاظ على أواصر الأسرة –خاصة– والقرابة والمجتمع بوجهٍ عام

- ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(النساء: ٧٤). والخطاب في قوله ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ التفات من طريق الغيبة وهو طريق الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إلى طريق المخاطبة والالتفات أحد مظاهر العدول، وفيه التأكيد على حض المؤمنين على القتال والجهاد في سبيل الله للمحافظة على هذا الدين، وللمحافظة على كيان الدولة المسلمة –من مقاصد السورة –من أعدائها المتربصين بها الدوائر.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(الأعراف: ٣). ﴿تَذَكَّرُونَ ﴾ «فالضمير عائد إلى المشركين على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أعرض عنهم ووجه الكلام على غيرهم من السامعين: إلى النبي –ﷺ– والمسلمين، أي تذكرا قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون لا كثيراً، حيث لا تتأثرون بذلك، ولا تعملون بموجبه وتتركون الحق وتتبعون غيره»[2]. وفيه ما لا يخفى من تحقير لشأن المشركين لعدم إتباعهم للرسول –ﷺ– وهو المحور الرئيس للسور: قضية التوحيد والاتباع.

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٩٢٥.

(٢) روح المعاني، ٨/ ٧٧.

• ومنه قوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥). وجيء لتعريف الرب بطريق الإضافة دون ضمير الغائب مع وجود معاد قريب في قوله: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ ﴾، ودون ضمير المتكلم؛ «لأن في لفظ الرب إشعاراً بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية، وليتوسل بإضافة الرب إلى ضمير المخاطبين إلى تشريف المؤمنين، وعناية الرب بهم كقوله ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الأعراف: ١٥٣).ففي قوله: ﴿ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ التفات من التكلم إلى الغيبة؛ لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص سيدنا محمد - ﷺ -.

(ج) الحذف:

• ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾(النساء: ٣٩). استمراراً في دحض حجج كل من يخالف عقيدة التوحيد والحفاظ على وحدة هذا الدين والدولة المسلمة، يقول الألوسي: «وجوز أن تكون الجملة مستأنفة وجوابها مقدر أي حصلت لهم السعادة ونحوه وإنما قدم الإيمان ههنا وأخر في الآية المتقدمة لأنه ثمة ذكر لتعليل ما قبله من وقوع مصارفهم في دنياهم في غير محلها وهنا للتحريض فينبغي أن يبدأ فيه بالأهم فالأهم»[2].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾(النساء: ٦٢). ﴿ فَكَيْفَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف معلوم من سياق الكلام «أي: كيف حالهم حين تصيبهم مصيبة بسبب ما فعلوا فيجيئونك معتذرين»[3].

---

(١) روح المعاني، ١/ ١٥٥٤.
(٢) نفسه، ٥/ ٣١.
(٣) التحرير والتنوير ١/ ٩٧٨.

Scanned by CamScanner

• ومن رد النص القرآني لشبهات منكري البعث قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾(النساء: ٨٧).فجملة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾جواب قسم محذوف واقع جميعه موقع الخبر عن اسم الجلالة «وأكد هذا الخبر: بلام القسم ونون التوكيد وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية تحقيق هذا الخبر إبطالاً لإنكار الذين أنكروا البعث»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤). وعلى الاحتمالات كلها فجواب الشرط لـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ محذوف تدل عليه علته والتقدير: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يعرض عن دين الله أو فلا يصد عن سؤاله أو فلا يقتصر على سؤاله أو فلا يحصله من وجوه لا ترضي الله ـ تعالى ـ[2].

• يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨). ومن مقاصد السورة الكريمة بيان مذلة الكافرين وسوء عاقبتهم في الآخرة «فجملة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾معترضة بين جملة: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾، وبين جملة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا﴾ إلخ، على أن تكون جملة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا﴾مرتبطة بجملة ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ بتقدير محذوف تقديره: فيدخلون حتى إذا اداركوا»[3]، وكذلك مفعول﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف دل عليه قوله ﴿لِكُلٍّ﴾ ضعف والتقدير: لا تعلمون سبب تضعيف العذاب لكل من الطائفتين يعني لا تعلمون سبب تضعيفه لكم لظهور أنهم علموا سبب تضعيفه للذين أضلوهم.

---

(١) روح المعاني ٥/ ١٠٤.
(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٠٣٨.
(٣) نفسه، ١/ ١٥٣١.

Scanned by CamScanner

• ومنه قوله تعالى: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾(الأعراف: ٤٩). وجملة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ مقول قول محذوف اختصاراً لدلالة السياق عليه، وحذف القول في مثله كثير ولا سيما إذا كان المقول جملة إنشائية، والتقدير: «قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله، الجامعين في الدنيا الأموال مكاثرة ورياء: أيها الجبابرة -الذين كانوا في الدنيا-أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال: قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ١٢٣). ومن المقاصد التي تتكرر في السورة: التوبيخ للمشركين في كل العصور لعدم اتباعهم لرسلهم ومنه: «الإنكار والتوبيخ الوعيد بقوله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وحذف مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ لقصد الإجمال في الوعيد لإدخال الرعب ثم بينه بجملة ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾»[2].

(د) الاحتراس:

• وحرصاً على الإماء المسلمات ودفعهن ليترفعن عن الفواحش حتى يتساوين مع الحرائر كان النص القرآني واشتراطه عليهن دليلاً على الوحدة الإنسانية بعد وحدة التوحيد، نفس الآية(٢٥). استخدام النهي في قوله: ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾، وكذلك ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ احتراساً. يقول ابن عاشور: «قصد منها تفظيع ما كانت

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٤٧٠.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٦١٣.

تركبه الإماء في الجاهلية بإذن مواليهن لاكتساب المال بالبغاء ونحوه، وكان الناس يومئذٍ قريباً عصرهم بالجاهلية، والمسافحات الزواني مع غير معين، ومتخذات الأخدان هن متخذات أخلاء تتخذ الواحدة خليلاً تختص به لا تألف غيره، وهذا وإن كان يشبه النكاح من جهة عدم التعدد إلا أنه يخالفه من جهة التستر، وجهل النسب، وخلع برقع المروءة؛ ولذلك عطفه على قوله ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ سد لمداخل الزنى كلها»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء: ١٣٥). يقول ابن عاشور: «فإن أبيت إلا جعل الأنفس بمعنى ذوات الشاهدين فاجعل عطف ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ بعد ذلك؛ لقصد الاحتراس لئلا يظن أحد أنه يشهد بالحق على نفسه؛ لأن ذلك حقه فهو أمير نفسه فيه، وأنه لا يصلح له أن يشهد على والديه أو أقاربه؛ لما في ذلك من المسبة والمعرة أو التأثم، وعلى هذا تكون الشهادة مستعملة في معنى مشترك بين الإقرار والشهادة كقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨)، والمقصود من ذلك التحذير من التأثر بأحوال يلتبس فيها الباطل بالحق»[2].

• ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(النساء: ١٤٨). فقد رخص الله للمظلوم الجهر بالقول السيئ ليشفي غضبه حتى لا يثوب إلى السيف أو إلى البطش باليد في هذا الإذن توسعة على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به، «والمقصود من هذا هو الاحتراس في حكم ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (النساء: ١٤٨)»[3].

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٩٣١.

(٢) نفسه، ١/ ١٠١٣٨.

(٣) نفسه،١/ ١٠٥٠.

• ومنه قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٦٢). والاستدراك بقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ جمعاً لمعان كثيرة مما تتضمنه الرسالة، وتأييداً لثباته على دوام التبليغ، والنصح لهم والاستخفاف بكراهيتهم وأذاهم؛ لأنه يعلم ما لا تعلمونه مما يحمله على الاسترسال في عمله ذلك فجاء بهذا الكلام الجامع، ويتضمن هذا الإجمال البديع تهديداً لهم بحلول عذاب بهم في العاجل والآجل وتنبيهاً للتأمل فيما أتاهم به وفتحا لبصائرهم أن تتطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه، وكل ذلك شأنه أن يبعثهم على تصديقه وقبول ما جاءهم به، وهذه المعاني التي تضمنها هذا الاستدراك هي ما يسلم كل عاقل أنها من الهدى والصلاح، وتلك هي أحواله وهم وصفوا حاله بأنه في ضلال مبين ففي هذا الاستدراك نعي على كمال سفاهة عقولهم[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾(الأعراف: ٧٩). والاستدراك بـ (لكن) ناشئ عن قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾؛ «لأنه مستعمل في التبرؤ من التقصير في معالجة كفرهم سواء كان بحيث هم يسمعونه أم كان قاله في نفسه؛ فذلك التبرؤ يؤذن بدفع توهم تقصير في الإبلاغ والنصيحة؛ لانعدام ظهور فائدة الإبلاغ والنصيحة فاستدرك بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: تكرهون الناصحين فلا تطيعونهم في نصحهم؛ لأن المحب لمن يحب مطيع فأراد بذلك الكناية عن رفضهم النصيحة»[2].

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٥٦٤.

(٢) نفسه،١/ ١٥٧٩.

• ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩). ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ عطف على قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ الآية. «فهذا تخصيص لظاهر العموم الذي في قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ قصد به الاحتراس لئلا يتوهم أن ذلك قد عمله قوم موسى كلهم وللتنبيه على دفع هذا التوهم قدم ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ على متعلقه»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩). ومعنى: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ «التحذير من أن يعملوا ما لا يرضي الله - تعالى - والتحريض على الاستكثار من الطاعة ليستحقوا وصف المتقين تذكيرا لهم بأنه عليم بما يعملونه»[2].

(هـ) التقديم والتأخير:

• يقول تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١١). ولحرص النص القرآني على التأكيد من رفع شأن النساء اللاتي كن لا قيمة ولا شأن لهن قبل الإسلام -وخاصة في المواريث- بل كن هن أنفسهن من متاع المواريث فجاء تقديم الخبر (للذكر) على المبتدأ (مثل) لإثبات حق النساء ومشاركتهن للرجال في

(١) التحرير والتنوير، ١/ ١٦٥٧

(٢) نفسه، ١/ ١٦١٧.

المواريث يقول ابن عاشور: «وتقديم الخبر على المبتدأ في هذه الجملة للتنبيه من أول الأمر على أن الذكر صار له شريك في الإرث وهو الأنثى لأنه لم يكن لهم به عهد من قبل إذ كان الذكور يأخذون المال الموروث كله ولاحظ للإناث كما تقدم آنفا في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٦). فمن أجل الحفاظ على كيان الأسرة جاء تقديم الشهادة على الحكم، يقول ابن عاشور: «ومن البين أن إتيان النساء بالفاحشة هو الذي سبب إمساكهن في البيوت، وإن كان قد بنى نظم الكلام على جعل ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ﴾ هو الخبر لكنه خبر صوري وإلا فإن الخبر هو ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ لكنه جيء به جواباً لشرط هو متفرع على ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ ففاء ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ هي الفاء المشبهة لفاء الجواب وفاء ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ تفريعية وفاء ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ جزائية، ولولا قصد الاهتمام بإعداد الشهادة قبل الحكم بالحبس في البيوت لقيل: واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فامسكوهن في البيوت إن شهد عليهن أربعة منكم»[2].

• ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥). فقد تقدم القسط على الشهادة وذلك؛ «لأنّ القيام بالقسط أعم، والشهادة أخص. ولأنّ القيام بالقسط فعل وقول، والشهادة قول فقط»[3].

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٩٠٤.
(٢) نفسه، ١/ ٩١٣.
(٣) نفسه، ٤/ ٢٩٠.

Scanned by CamScanner

• يقول تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف:٢). فقد جُعل الإنذار به مقدماً في التعليل؛ «لأنه الغرض الأهم لإبطال ما عليه المشركون من الباطل، وما يخلقونه في الناس من العوائد الباطلة التي تعاني أزالتها من الناس بعد إسلامهم»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٣٣). يقول الألوسي:«وأما الإثم فهو كل ذنب فهو أعم من الفواحش وتقدم في قوله تعالى -: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ في سورة البقرة. وقوله: ﴿ وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ في سورة الأنعام فيكون ذكر الفواحش قبله للاهتمام بالتحذير منها قبل التحذير من عموم الذنوب فهو من ذكر الخاص قبل العام للاهتمام كذكر الخاص بعد العام إلا أن الاهتمام الحاصل بالتخصيص مع التقديم أقوى لأن فيه اهتماما من جهتين»[2].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(الأعراف: ٤٦). فتقديم ﴿ وَبَيْنَهُمَا ﴾ وهو خبر على المبتدإ؛ للاهتمام بالمكان المتوسط بين الجنة والنار وما ذكر من شأنه.

• ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٤٨٣.

(٢) روح المعاني، ٨/ ١١٢.

﴿يَٰأَيَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ وقد رتبت الجمل على ترتيب حصول مضمونها في الوجود، فإن الإنذار مقدم؛ لأنه حمل على الإقلاع عما هم عليه من الشرك، أو الوثنية ثم يحصل بعده العمل الصالح، فترجى منه الرحمة[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(الأعراف: ١٤٩). فكان مقتضى الظاهر في ترتيب حكاية الحوادث أن يتأخر قوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية. عن قوله ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ لأنهم ما سقط في أيديهم إلا بعد أن رجع موسى ورأوا فرط غضبه وسمعوا توبيخه أخاه وإياهم، وإنما خولف مقتضى الترتيب تعجيلاً بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة، وتبين الضلالة موعظة للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم حتى يتبينوا عواقب ما هم متحولون إليه[2]. ولا يخفى في كل ما سبق من أمثلة التقديم والتأخير في سورة الأعراف، أنها كلها تدور حول قضية التوحيد والإتباع، وجزاء المتبعين، وعقاب المنكرين المعاندين -غير المتبعين- لله ولرسله - عليهم وعلى نبينا -جميعاً- الصلاة والسلام -.

(و) التعريف والتنكير:

• ومن التأكيد على مصدر التلقي للتوحيد والتشريع – من أهم مقاصد السورة بل هو الموضوع الرئيس للسورة وحدة الدين ووحدة النوع الإنساني – تنكير لفظ كلمة ﴿شَيْـًٔا ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(النساء: ٢٠).

ولفظ ﴿شيء﴾ نكرة متوغلة في الإبهام فهو في حيز الشرط يفيد العموم أي: في كل شيء

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٥٦٦.
(٢) نفسه، ١/ ١٦٤٢.

فيصدق بالتنازع في الخصومة على الحقوق ويصدق بالتنازع في اختلاف الآراء عند المشاورة أو عند مباشرة عمل ما كتنازع ولاة الأمور في إجراء أحوال الأمة... إلخ. يقول ابن عاشور: «والرد هنا مجاز في التحاكم إلى الحاكم وفي تحكيم ذي الرأي عند اختلاف الآراء...، وعموم لفظ شيء في سياق الشرط يقتضي عموم الأمر بالرد إلى الله والرسول وعموم أحوال التنازع تبعاً لعموم الأشياء المتنازع فيها، فمن ذلك: الخصومات والدعاوى في الحقوق...، ومن ذلك التنازع في طرق تنفيذ الأوامر العامة كما يحصل بين أفراد الجيوش، وبين بعض قوادهم، وقد قيل: إن الآية نزلت في نزاع حدث بين أمير سرية الأنصار عبد الله بن حذافة السهمي...، ومن ذلك الاختلاف بين أهل الحل والعقد في شؤون مصالح المسلمين وما يرومون حمل الناس عليه، ومن ذلك اختلاف أهل العلم في الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد والنظر في أدلة الشريعة؛ فكل هذا الاختلاف والتنازع بأمور أصحابه برد أمره إلى الله والرسول، ورد كل نوع من ذلك يتعين أن يكون بحيث يرجى معه زوال الاختلاف وذلك ببذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحق الجلي في تلك الأحوال»[1].

• ولتوضيح بعض التشريعات الخاصة بحقوق الرجال والنساء والمجتمع العائلي جاء التعريف في ﴿ٱلرِّجَالُ﴾ و ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء: ٣٤). يقول ابن عاشور: «فلذلك فالتعريف في ﴿ٱلرِّجَالُ﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٩٤١.

و﴿وَنِسَآءٌ﴾ للاستغراق، وهو استغراق عرفي مبني على النظر إلى الحقيقة كالتعريف في قول الناس (الرجل خير من المرأة) يؤول إلى الاستغراق العرفي للأحكام المستقرة للحقائق أحكام أغلبية فإذا بني عليها استغراق فهو استغراق عرفي، والكلام خبر مستعمل في الأمر كشأن الكثير من الأخبار الشرعية»[1].

• بقـول تعـالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(الأعراف: ١١). وتعريف ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ للجنس فلا يلزم أن يكون الأمر عاماً لجميع الملائكة بل يجوز أن يكون المأمورون هم الملائكة الذين كانوا في المكان الذي خلق فيه آدم، ونقل ذلك عن ابن عباس، ويحتمل الاستغراق لجميع الملائكة[2].

• ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: ٣٨).
فـ﴿أُمَّةٌ﴾ نكرة وقعت في حيز عموم الأزمنة فتفيد العموم أي كل أمة دخلت، وكذلك: ﴿أُخْتَهَا﴾ نكرة؛ لأنه مضاف إلى ضمير نكرة فلا يتعرف فتفيد العموم أيضاً: أي كل أمة تدخل تلعن كل أخت لها، والمراد بأختها المماثلة لها في الدين الذي أوجب لها الدخول في النار كما يقال: هذه الأمة أخت تلك الأمة إذا اشتركتا في النسب فيقال: بكر وأختها تغلب[3].

---

(١)التحرير والتنوير، ١/ ٩٧٤.
(٢) نفسه، ١/ ١٤٩٤.
(٣)نفسه، ١/ ١٥٣١.

Scanned by CamScanner

• ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف: ٦٣). وتنكير ﴿ذِكْرٌ﴾ و ﴿رَجُلٍ﴾ للنوعية إذ لا خصوصية لذكر دون ذكر ولا لرجل دون رجل فإن الناس سواء والذكر سواء في قبوله لمن وفقه الله ورده لمن حرم التوفيق أي هذا الحدث الذي عظمتموه وضججتم له ما هو إلا ذكر من ربكم على رجل منكم[1]

• ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٣١). وفي ذلك تعريض بأن نعم الله كانت متكاثرة لديهم، وأنهم كانوا معرضين عن الشكر، وتعريض بأن إصابتهم بالسيئات نادرة، وهم يعدون السيئات من جراء موسى، ومن آمن معه فهم في كلتا الحالتين بين كافرين بالنعمة، وظالمين لموسى ومن معه؛ ولهذين الاعتبارين عرفت الحسنة تعريف الجنس المعروف في علم المعاني بالعهد الذهني أي: جاءتهم الحسنات لأن هذا الجنس محبوب مألوف كثير الحصول لديهم ونكرت ﴿سَيِّئَةٌ﴾لندرة وقوعها عليهم[2].

(ح) الإجمال والتفصيل:

• قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(النساء: ٧). أول إعطاء لحق الإرث للنساء في العرب؛ وهو أحد مقاصد السورة المحورية وهو المحافظة على حقوق النساء. قال ابن عاشور: «ولكون هذه الآية كالمقدمة جاءت بإجمال الحق والنصيب في الميراث وتلاه تفصيله لقصد تهيئة النفوس وحكمة ورود الأحكام المراد نسخها إلى أثقل لتسكن النفوس إليها بالتدريج»[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٥٦٥.

(٢) نفسه،١/ ١٦١٨.

(٣) نفسه، ١/ ٨٩٩.

Scanned by CamScanner

• ومنه قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(النساء: ١١). يقول ابن عاشور: «تتنزل آية ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ منزلة البيان والتفصيل لقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وهذا المقصد الذي جعل قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾ إلخ بمنزلة المقدمة له فلذلك كانت جملة ﴿ يُوصِيكُمُ ﴾ مفصولة لأن كلا الموقعين مقتض للفصل»[1].

(ط) أسباب النزول:

• ومن مظاهر تحقيق مقاصد السورة، ومنها الحفاظ على حقوق النساء، بل إن النساء أصبحن يطالبن بحقوقهن؛ فيأتي النص القرآني ليقر لهن ما طلبن، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(النساء:٧). روى الواحدي في أسباب النزول والطبري في تفسيره ما حاصله: «إن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة فجاءت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: (إن زوجي قتل معك يوم أحد وهاتان بنتاه وقد استوفى عمهما مالهما فما ترى يا رسول الله؟ فوالله ما تنكحان أبدا إلا ولهما مال). فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: (يقضي الله في ذلك). فنزلت سورة النساء وفيها ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾. قال جابر بن عبد الله: فقال لي رسول الله: (ادع لي المرأة وصاحبها)، فقال لعمهما: (أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فلك).

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٩٠٢.

Scanned by CamScanner

ويروى: أن ابني عمه سويد وعرفطة وروى أنهما قتادة وعرفجة وروي أن النبي -ﷺ- لما دعا العم أو ابني العم قال أو قالا: «يا رسول الله لا نعطي من لا يركب فرسا ولا يحمل كلاً ولا ينكي عدواً» فقال: «انصرف أو انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله فيهن» فنزلت آية ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية. وروي أنه لما نزلت هاته الآية أرسل النبي -ﷺ- إلى ولي البنتين فقال: (لا تفرق من مال أبيهما شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيباً)»[1].

- بل من مظاهر تحقق المقصد الرئيس للسورة وهو وحدة الدين ووحدة النوع الإنساني، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾(النساء: ٦٠ -٦١). ما ذكره الطبري في تفسيره، قال: «كان بين قريظة والخزرج حلف، وبين النضير والأوس حلف في الجاهلية، وكانت النضير أكثر وأشرف؛ فكانوا إذا قتل قرظي نضيرياً قتل به، وأخذ أهل القتيل دية صاحبهم بعد قتل قاتله، وكانت الدية مائة وسق من تمر، وإذا قتل نضيري قرظياً لم يقتل به وأعطى ديته فقط: ستين وسقا، فلما أسلم نفر من قريظة والنضير قتل نضيري قرظياً، واختصموا؛ فقالت النضير: نعطيكم ستين وسقا كما كنا اصطلحنا في الجاهلية، وقالت قريظة: هذا شيء فعلتموه في الجاهلية؛ لأنكم كثرتم وقللنا فقهرتمونا، ونحن اليوم اخوة وديننا ودينكم واحد، فقال بعضهم: (وكان منافقاً: انطلقوا إلى أبي بردة،

---

(١)انظر:

- سنن أبي داود، حديث رقم(٢٨٩١)/٤/ ٥١٩.
- البيهقي السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، لبنان،، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م، حديث رقم (١٢٣١١) ٦/ ٣٧٦.
- الواحدي، أسباب النزول ١/ ٥٠.
- تفسير الطبري، ١/ ٥٩٨

وكان أبو بردة كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه فيه)، وقال المسلمون: لا بل ننطلق إلى النبي -ﷺ- فأنزل الله هذه الآية. أو ما جاء في رواية...: أن الذين عناهم الله تعالى ناس من أسلم تنافروا إلى أبي بردة الأسلمي، وفي رواية...: أن الآية نزلت في رجلين أحدهما: اسمه (بشر) من الأنصار، والآخر: من اليهود، تدارءا في حق فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند النبي -ﷺ-؛ لعلمه بأنه يقضي بالحق، ودعاه الأنصاري إلى التحاكم للكاهن؛ لأنه علم أنه يرتشي فيقضي له؛ فنزلت فيهما هذه الآية، وفي رواية الشعبي مثل ما قال قتادة ولكنه وصف الأنصاري بأنه منافق، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الخصومة بين منافق ويهودي، فقال اليهودي: (لننطلق إلى محمد)، وقال المنافق: (بل نأتي كعب بن الأشرف اليهودي)، وهو الذي سماه الله الطاغوت»[1].

- ومن تحقيق الموضوع الرئيس للسورة وهو وحدة الدين والنوع الإنساني قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾(النساء: ٦٤) عن الزبير: أحسب هذه الآية نزلت في خصومة بيني وبين أحد الأنصار في شِرَاج من الحَرَّة (أي مسيل مياه جمع شَرج بفتح فسكون وهو مسيل الماء يأتي من حرّة المدينة إلى الحوائط التي بها) إلى رسول الله -ﷺ- قال رسول الله: «اسق يا زبيرُ ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: لأنْ كانَ ابنَ عمّتك. فتغيّر وجه النبي -ﷺ- وقال: اسق يا زبير حتّى يبلغ الماء الجَدْرَ ثم أرسل إلى جارك واستَوْف حقّك (والجدَر هو ما يدار بالنخل من التراب كالجِدار) فكان قضاؤه الأوّل صلحاً، وكان قضاؤه الثاني أخذاً بالحقّ، وكأنّ هذا الأنصاري ظنّ أنّ النبي- ﷺ - أراد الصلح بينهم على وجه فيه توفير لحقّ الزبير جبراً لخاطره، ولم ير في ذلك ما ينافي العصمة، فقد كان الصحابة

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ٥١٠: ٥١٦.

Scanned by CamScanner

متفاوتين في العلم بحقائق صفات الرسول مدفوعين في سبر النفوس بما اعتادوه من الأميال والمصانعات، فنبههم الله تعالى على أنّ ذلك يجرّ إلى الطعن في العصمة. وليس هذا الأنصاري بمنافق ولا شاك في الرسول فإنهم وصفوه بالأنصاري، وهو وصف لخيرة من المؤمنين وما وصفوه بالمنافق، ولكنه جهل وغفل فعفا عنه رسول الله ولم يستتبه[1].

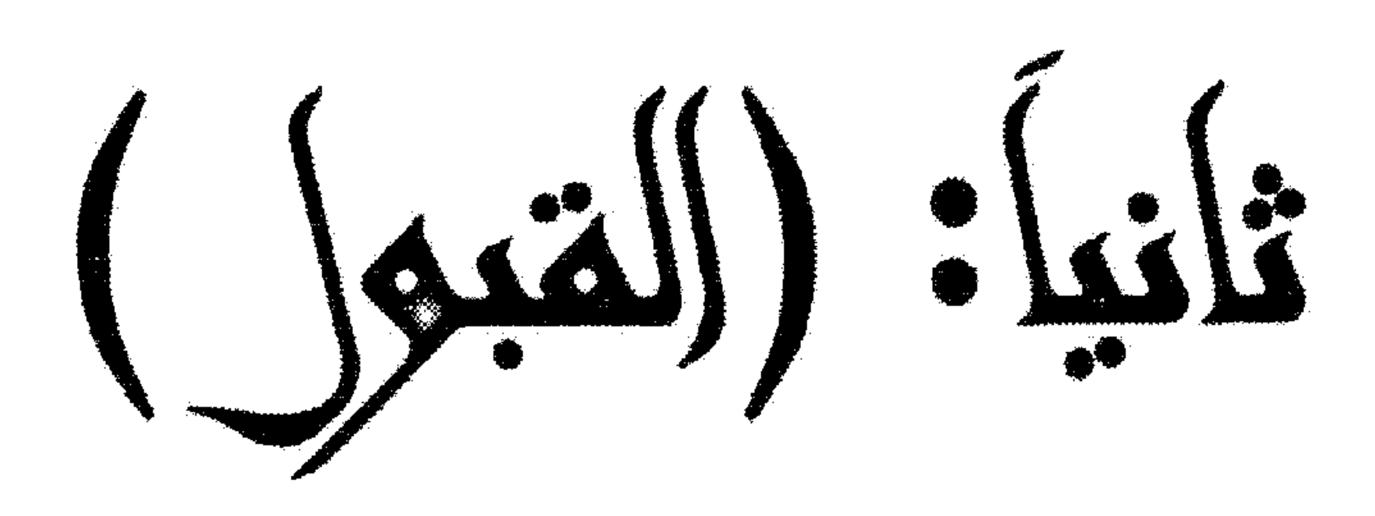
- **نخلص مما سبق:**

أن القصد هو بمثابة العمود الفقري للنص –أياً كان نوع النص–، كما أن مبدع/ منشئ النص يستخدم كل الآليات، والوسائل التي تخدم، وتحقق مقصده، والغاية التي من أجلها أنشأ وأنتج النص، ومن ثم فإننا لا نتردد في قولنا: بأن معياري السبك والحبك –خاصة– بل كل المعايير الأخرى –الإعلامية والسياق والتناص– تُعتبر آليات تحقق قصد المبدع/ منشئ النص، كما أنه يجوز أن يتحقق قصد منشئ النص وإن خلا النص من معياري السبك والحبك، ولا يجوز العكس، إذن فلا نص بدون قصد أو غاية.

---

(١) أسباب النزول ١/ ٥٨، التحرير والتنوير، ١/ ٩٨١.

Scanned by CamScanner



«Acceptability»

Scanned by CamScanner

مصطلح القبول:

للقَبُولِ في اللغة معانٍ كثيرة؛ يقول ابن فارس: «قَبِل: القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كَلِمُهُ كلّها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك»[1]. ويقول ابن منظور: «قبلتُ الهدية قَبُولاً، وكذلك قبلت الخبرَ: صدّقته...وقَبِلَ الشيءَ قَبُولاً وتقبّلهُ كلاهما: أخذه...، ويقال: عليه قبولٌ، إذا كانت العين تقبله...، وفي الحديث: ثم يوضع له القبول في الأرض- بفتح القاف - أي المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه»[2]. وأما الراغب الأصفهاني فيفرق بين التَّقبُّل والقبول بقوله: «التقبل:قَبول الشيء على وجهٍ يقتضي ثواباً كالهدية ونحوها، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(المائدة آية:٢٧)، وقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف آية: ١٦)...، وإنما قيل:﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ (المائدة آية:٣٧)...، ولم يقل -سبحانه وتعالى- يتقبّل؛ للجمع بين الأمرين: فالتقبل الذي هو الترقي في القبول، والقبول الذي يقتضي الرضا والإثابة»[3]. فالتقبل أعلى منزلةً من القبول، كما بين الراغب الأصفهاني، وبإنعام النظر في الأقوال السابقة يتبين لنا أن للقبول دلالات كلها تدور حول: التصديق، والمواجهة، والأخذ، والرضا،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٥١.

(٢) لسان العرب، (مادة: قبل)، ١١/ ٥٣٤، وتمام الحديث: عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض). رواه البخاري (باب ذكر الملائكة)، حديث(٣٠٣٧)، ٣/ ١١٧٥، ورواه مسلم (باب إذا أحب الله عبداً)، حديث(٢٦٣٧)، ٤/ ٢٠٣٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص٣٩١-٣٩٢.

Scanned by CamScanner

والمحبة، وميل النفس، والإثابة. وهذا الكلام وثيق الصلة بالمعنى الاصطلاحي للقبول، فالقبول من منظور «روبرت دي بوجراند» هو: اتجاه مستقبل النص إلى أن تُؤلف مجموعة الوقائع اللغوية نصاً متضاماًمتقارناً ذا نفعٍ للمستقبل أو صلةٍ ما به، أي اكتسابه معرفةً جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خُطَّةٍ ما، ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل من مثل: نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف...، وهنا أيضاً يمكننا اعتبار المحافظة على تضام النص وتقارنه من جانب المستقبل هدفاً بذاته، فيرى رأيه في تزويد مادةٍ ما أو التساهل إزاء جوانب الاختلال في تضام النص وتقارنه»[1]. ومن خلال هذا التعريف تتبين لنا مجموعة من الملاحظات المهمة وهي كالتالي:

أولاً: أن المتلقي هو الذي يعتبر النص مسبوكاً محبوكاً حتى وإن خلا من السبك والحبك، وهو ما سماه بروان (بانسجام المتلقي)، فالنص نفسه قد يفتقد للسبك أو الحبك – خاصة في المحادثات الشفوية – ثم يفهمه المتلقي بمساعدة عوامل أخرى تغني عن الكلام كالإشارات، والإيماءات، وتعبيرات الوجه، والسياق بنوعيه...إلخ.

ثانياً: من عوامل قبول النص أن تميل النفس إليه وإلى مغزاه والغرض منه، وهو ما سماه بروان (ذا نفعٍ للمستقبل)، ومن ثمّ فلابدّ أن يكون النص ذا إعلامية عالية، حتى يحقق التشويق والإثارة والمتعة للمتلقي فيُقبل على النص بنفس متلهفةٍ إقباله على كلامٍ جديدٍ يسمعه لأول مرة.

ثالثاً: تعاون المتلقي مع المتكلم شرطٌ أساسي لإنجاح عملية التواصل، وبه يُعَدُّ النص مقبولاً، وهو ما سماه بروان (أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطةٍ ما)، وفي حالة عدم التعاون يصبح النص معرضاً لعدم القبول.

رابعاً: فإن القبول وإن كان متصلاً بالمتلقي، إلاّ أنه يؤثر في منشئ النص، وبخاصةٍ في المحاورات الشفوية.

---

(١) مدخل إلى علم لغة النص، ص٣١.

ولقد تنبه علماؤنا إلى القبول بمعناه الواسع الذي تجاوز القواعد النحوية والدلالية ومنهم: سيبويه (ت: ١٨٠هـ) الذي قسم الكلام إلى: مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وجعل الكلام المستقيم هو الكلام المقبول، والكلام المحال هو الكلام غير المقبول، والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) الذي رفع من شأن المتلقي وجعل وجود المبدع ومنشئ النص واستمراريته في صناعته الأدبية؛ رهناً برد الفعل عند المتلقي المثالي، وابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ) الذي صرح بعلة قبول الفهم للنصوص: حسنها واعتدالها، وعلة إنكارها: قبحها واضطرابها، كقبول الحواس لما طبعت عليه من حسنٍ ولطفٍ واعتدال، وتأذيها بما يضاده، بل جعل للجوانب النفسية دوراً لا يقل عن دور الجوانب العقلية، ويذكر أهمية مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فلسياق الموقف أثر في قبول النص إن وافقته المعاني...إلخ[(١)]. وهذا قليلٌ من كثير نفخر به ونجتهد أن نضم إلى فخرنا به مواكبة العصر، ونكمل درب أسلافنا الذين قطعوا أشواطاً كثيرة، ولا نقتصر أن نتشدق بمآثرهم فحسب.

---

(١) ينظر للتفصيل:

- الكتاب، ١/ ٢٦:٢٥.
- البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤:٢٠٣.
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر ت: عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٢٢:١٥.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ١/ ١٩٩: ٢٢٥.
- النحو الدلالة، ص٦٣:٦٢.
- معايير النصية، ص٢٠٤:٢٠٣.

Scanned by CamScanner

القبول والتداولية:

إن التداولية تتدخل فى قضايا فلسفية ومنطقية ونفسية واجتماعية لاحصر لها، ومنها مفهوم الذاتية، فهى تثير تساؤلات حول مفهوم الفاعل عندما ننظر إليه بوصفه متكلماً ومتحادثاً، لا انطلاقاً من الفكر بل انطلاقاً من التواصل، ومنها مفهوم الغيرية وما توليه التداولية من نظر إلى المتلقى بوصفه الطرف الآخر فى عملية التواصل اللغوى فى المحادثة وغيرها من أشكال التواصل اللغوى، وأن هذا الطرف يمثل ـ بشكل ما ـ سلطة على المتكلم، إذ يراعى المتكلم ما يقتضيه حال المخاطب مهما كان شأنه الاجتماعى[1].

ومن ثم فإن اللغة ليست وظيفة المتحدث ولكنها منتج يتم استقباله بواسطة الفرد (المتلقي)...، وتدخل الانعكاسات والمشاعر فقط لتحديد نوع اللغة – وهذا ما ذكرناه أثناء الحديث عن الإعلامية والتداولية –. يقول كلاوس برينكر: «إن التركيز على دور (الباث) فقط لمعرفة المؤشرات التي تشير إلى وظيفة النص، قد يعني إهمال دور (المتلقي) في التأشير الصريح أو الضمني إلى الوظيفة الحقيقية للنص أو فهمه للوظيفة الحقيقية للنص، وذلك أمر يجب أخذه في الحسبان خصوصاً في النصوص التفاعلية كنص المداخلة الذي يأتي بعده نص الرد»[2].

لذا فالمتلقي عنصرٌ مهمٌ في عملية التواصل؛ إذ يكون هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسِلُ خطابه عمداً، فهو مكونٌ أساسيٌ في العمليات التخاطبية والتواصلية، ومن جانب آخر، فإن (المرسَل إليه/ المتلقي)، عند البلاغيين ذو أهمية قد تفوق أهمية المرسِل؛ الذي لولا وجود وجهة لخطابه ما كان ليكون «ففي النموذج

(١) التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، ص٢٤.
(٢) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج) ، ص ١٠٧.

Scanned by CamScanner

البلاغي للتواصل يحتل متلقي الخطاب المقام الأول بدون منازع»[1]، حيث أن قيام التواصل مرتبطٌ أصلاً بوجود مخاطب يتفاعل معه المرسل، ومن خلال معرفته لـ...... (المرسل إليه/ المتلقي) تكون طريقة الخطاب، ويختار الإستراتيجية المناسبة له[2].

القبول والنص القرآني:

فلا غرو أن العرب قد أدركوا تمام الإدراك النص القرآني: فهماً، ولغةً، وبلاغةً، ودعوةً، وما يرنوا إليه من دلالات: صريحة أو ضمنية. وما رواه ابن اسحاق، وابن هشام عن تأثير هذا النص القرآني العظيم على من أصرّ على عناده؛ بعدم توحيده واتباعه لرسول الله ﷺ أمثال: أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، والأخنس بن شريق[3]، وقصة الوليد بن المغيرة المخزومي[4]؛ لأكبر دليلٍ على تأثير هذا النص الكريم في نفس المشرك العنيد الذي وعى النص، وأدرك لغته وبلاغته وما يدعو إليه. لذا نستطيع القول بأن عدم قبول النص الكريم من قِبَل المشركين؛ لم يكن

---

(١) هنري بليث، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط٢، المغرب، ١٩٩٩م، ص٣٨.

(٢) انظر للتفصيل:

- الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١٠٤.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استيراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، المغرب، ٢٠٠٤م، ص٤٥.
- الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، منشورات الاختلاف، ط١، المغرب، ٢٠٠٧م، ص ٢٤.
- سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي (دراسة في ضوء اللسانيات التداولية)، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٨م/ ٢٠٠٩م، ص٤٩ وما بعدها.

(٣) ابن اسحاق، السيرة النبوية. ت: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ١/ ٢٢٦: ٢٢٧.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١/ ٣٣٨: ٣٣٧.

حيث إلاّ الخوف على زعامتهم، وهيبتهم، ومكانتهم الدينية، والأدبية، والاجتماعية، بل الإقتصادية بين أقوامهم، وعلى مر العصور، وليس معنى إعراضهم عن النص الكريم الطعن في فصاحته وبلاغته، والدليل على ذلك أنهم قد اعترفوا جميعاً بتلك الفصاحة والبلاغة ولم يستطع أحدُ منهم، أو يجرؤ على معارضته.

مظاهر القبول في سورتي النساء والأعراف:

أولاً: سورة النساء:

سورة النساء -شأن السور المدنية- تعني بالتشريعات التي تنظم حياة المجتمع والدولة المسلمة، سواءً ما يخص العلاقات بين المسلمين بعضهم مع البعض – كأفراد، وجماعات، وحكام، ومحكومين- أو ما يخص العلاقات الداخلية – أيضاً – بين المسلمين وغيرهم – خاصة اليهود الذين كانوا يعيشون داخل الدولة المسلمة الجديدة بالإضافة إلى وجود المنافقين، أو العلاقات الخارجية بين الدولة المسلمة الناشئة في المدينة وبين غيرها من الدول والحضارات المحيطة بتلك الدولة، سواءً منهم: الوثنيين أم من أهل الكتاب. ومن ثم فإن تلك التشريعات قد تباين موقف المتلقين منها؛ وذلك لتنوعهم داخل المجتمع المدني؛ فهم بين مؤمن، ومنافق، ويهودي، ومن خلال عرض مظاهر القبول لسورة النساء سوف يتبين لنا أثر هذا التنوع للمتلقين على النص القرآني – المدني – سورة النساء – قبولاً ورفضاً.

- فمن مظاهر ترقب المسلمين للنص القرآني بالقبول السؤال فيما لا نص فيه؛ فينزل الوحي على رسوله - ﷺ - تجاوباً مع المتلقين، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ

Scanned by CamScanner

﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء: ١١). فقد رويت في سبب نزول الآية أحاديث كثيرة.

ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله: أنه قال: (مرضت فعادني رسول الله وأبو بكر في بني سلمة فوجداني لا أعقل، فدعا رسول الله بماء فتوضأ ثم رش علي منه فأفقت، فقلت: (كيف أصنع في مالي يا رسول الله)؛ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[1]. وروى أبو داود عن جابر قال: جاءت امرأة سعد ابن الربيع فقالت لرسول الله – ﷺ-: «إن سعداً هلك وترك ابنتين، وأخاه فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد؛ وإنما تنكح النساء على أموالهن، فلم يجبها في مجلسها ذلك ثم جاءته، فقالت: (يا رسول الله ابنتا سعد)، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: (ادع لي أخاه)، فجاءه فقال: (ادفع إلى ابنتيه الثلثين، وإلى امرأته الثمن، ولك ما بقي)، ونزلت آية الميراث»[2].

• ومن مواقف تلقي المسلمين للنص القرآني بالقبول مراجعتهم لأنفسهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(النساء٢١-٢٢). ما حدث لعمر بن الخطاب أثناء حديثه عن المغالاة في المهور والصدقات؛ ولذلك خطب عمر بن الخطاب فنهى عن المغالاة في الصدقات، قالت له امرأة – من قريش بعد أن نزل-: «يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك» قال: (بل كتاب الله! بم ذلك؟). قالت: إنك نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله يقول في كتابه: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ ، فقال عمر: (كل أحد أفقه من

---

(١) صحيح البخاري، باب (يوصيكم الله...)، حديث (٤٥٧٧)، ١٥/ ١١٣.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط١، بيروت، باب ما جاء في ميراث الصلب، حديث (٢٨٩٤)، ٨/ ٤٨٣.

عمر)، وفي رواية قال: (امرأة أصابت وأمير أخطأ والله المستعان)، ثم رجع إلى المنبر فقال: (إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صدقات النساء فليفعل كل رجل في ماله ما شاء)، والظاهر من هذه الرواية أن عمر رجع عن تحجير المباح؛ لأنه رآه ينافي الإباحة بمقتضى دلالة الإشارة، وقد كان بدأ له من قبل أن في المغالاة علة تقتضي المنع فيمكن أن يكون نسي الآية بناءاً على أن المجتهد لا يلزمه البحث عن المعارض لدليل اجتهاده، أو أن يكون حملها على قصد المبالغة؛ فرأى أن ذلك لا يدل على الإباحة ثم رجع عن ذلك، أو أن يكون رأى لنفسه أن يحجر بعض المباح للمصلحة ثم عدل عنه؛ لأنه ينافي إذن الشرع في فعله أو نحو ذلك»[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨). فالخطاب لكل من يصلح لتلقي هذا الخطاب والعمل به من كل مؤتمنٍ على شيءٍ، ومن كل من تولى الحكم بين الناس في الحقوق. فقد ذكر الواحدي في أسباب النزول: «أن الآية نزلت يوم فتح مكة؛ إذ سلم عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة العبدري الحجبي مفتاح الكعبة للنبي -ﷺ-، وكانت سدانة الكعبة بيده وهو من بني عبد الدار، وكانت السدانة فيهم، فسأل العباس بن عبد المطلب من رسول الله أن يجعل له سدانة الكعبة يضمها من السقاية وكانت السقاية بيده وهي في بني هاشم؛ فدعا رسول الله -ﷺ- عثمان بن طلحة، وابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة؛ فدفع لهما مفتاح الكعبة، وتلا هذه الآية، قال عمر ابن الخطاب: وما كنت سمعتها منه قبل ذلك، وقال النبي -ﷺ- لعثمان بن طلحة: «خذوها خالدةً تالدةً لا ينتزعها منكم إلا ظالم»، ولم يكن أخذ النبي صلى الله عليه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة أخذ انتزاع، ولكنه أخذه ينتظر الوحي في شأنه؛ لأن كون المفتاح بيد عثمان بن طلحة مستصحب من قبل الإسلام، ولم يغير

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٩١٩.

Scanned by CamScanner

الإسلام حوزه إياه، فلما نزلت الآية تقرر حق بني عبد الدار فيه بحكم الإسلام فبقيت سدانة الكعبة في بني عبد الدار، ونزل عثمان بن طلحة عنها لابن عمه شيبة بن عثمان، وكانت السدانة من مناصب قريش في الجاهلية؛ فأبطل النبي -ﷺ- بعضها في خطبة يوم الفتح، أو حجة الوداع ما عدا السقاية والسدانة »(1).

• ومن مظاهر تفاوت المتلقين للنص القرآني-(مسلم أو يهودي أو منافق): بالرفض أو القبول، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء: ٧٧). قال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في طائفة من المسلمين كانوا لقوا بمكة من المشركين أذى شديداً، فقالوا للنبي -ﷺ- : «يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة»، واستأذنوه في قتال المشركين، فقال لهم: إني أمرت بالعفو؛ فكفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فلما هاجر النبي -ﷺ- إلى المدينة، وفرض الجهاد جَبُن فريق من جملة الذين استأذنوه في القتال؛ ففيهم نزلت الآية(2).

• ومن مظاهر قبول المؤمنين للنص القرآني: ترقب النص قبل نزوله من خلال السؤال فيما لا نص فيه فينزل الوحي بالنص على رسول الله -ﷺ- ، ومنه قوله تعالى:

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(النساء: ١٧٦). فقد سأل الناس رسول الله -ﷺ- عن صورة أخرى

---

(١) أسباب النزول، ١/ ٥٥.

(٢) نفسه، ٨/ ٥٤٧.

Scanned by CamScanner

من صور الكلالة، وثبت في الصحيح أن الذي سأله هو جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله وأبو بكر ماشيين في بني سلمة فوجداني مغمى علي فتوضأ رسول الله ـ ﷺ ـ وصب عليّ وضوءه؛ فأفقت وقلت: كيف أصنع في مالي؛ فإنما يرثني كلالة؛ فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية[1].

ثانيا: سورة الأعراف:

فسورة الأعراف –شأن السور المكية خاصةً– تمثل أكبر تجسيد لموقف المتلقين من النص القرآني –أو الخطاب القرآني– قبولاً أو رفضاً –، فالمجتمع المكي قبل الهجرة ومع بعثة النبي –ﷺ– تلقى دعوة الإسلام إما بالرفض وهو غالب حال أهل مكة من المشركين، وإما بالقبول وهوحال المسلمين الأوائل الذين شرح الله صدرهم للإسلام؛ لذا فإننا نجد أن أنواع المتلقين في المجتمع المكي ينحصر بين نوعين فقط وهما: مشرك ومؤمن، ومن ثم نجد أن الخطاب في السورة الكريمة موجه في المقام الأول لمشركي مكة، وأن عرض القصص التي تصور لنا حلقات الصراع بين الحق والباطل – مثل:

- صراع الحق والباطل: قصة آدم مع إبليس – لعنه الله – الآيات (١١ –٣٠).
- صراع أهل الجنة وأهل النار، وقصة أصحاب الأعراف: (الآيات ٤٤ –٥١).
- عرض الصراع بين الحق والباطل عبر قصص الأنبياء على مر العصور:

فقد عرضت الآيات قصة كل نبي مع قومه، والصراع بين الخير والشر، وكيف أن الله ينجي نبيه، ومن اتبعه على عدوهم من خلال الآيات (٥٩ –١٧١). – من أجل التأكيد «أن الغرض من هذه الأخبار تنظير أحوال الأمم المكذبة رسلها– وهو الرافض للنص أو الخطاب القرآني– بحال مشركي العرب في تكذيبهم رسالة محمد ﷺ»[2].

---

(١) صحيح البخاري، باب (يستفتونك...)، حديث (٤٣٦٤)، ١٤/ ٢٨٧، وصحيح مسلم، باب (ميراث الكلالة)، حديث (١٦١٦)، ٣/ ١٢٣٤.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٥٦٢.

Scanned by CamScanner

• ومن مظاهر ترقب مشركي مكة للنص القرآني - المكي - للإدعاء بأن رفضهم للنص ليس لمجرد العناد، وإنما لمآخذ رأوها فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠). فقد رُوي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾» أن أبا جهل سمع بعض أصحاب النبي -ﷺ- يقرأ فيذكر الله في قراءته، ومرة يقرأ فيذكر الرحمن، فقال أبو جهل: «محمد يزعم أن الإله واحد، وهو إنما يعبد آلهة كثيرة» فنزلت هذه الآية [1]. وكل ذلك تأكيد للرد على المشركين أن يكون بعض الأسماء الواردة في القرآن أو كلام النبي -ﷺ- أسماء لله - تعالى -؛ بتخيليهم أن تعدد الاسم تعدد للمسمى.

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٦٨٧.



Scanned by CamScanner

أولاً: المصادر العربية.

- **إبراهيم محمد الدسوقي**: نحو النص، دراسة تطبيقية لمفاهيم علم النص، قصة موسى عليه السلام في النص القرآني نموذجاً، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. تمام حسان، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- **أحمد محمد عبد الراضي**: المعايير النصية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- **أحمد محمود نحلة**: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **الأزهر الزناد**: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م.
- **أشرف عبد البديع عبد الكريم**: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد**: مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٢، القاهرة ١٩٩٩م.
- **البخاري** (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ): ١ - **صحيح البخاري**، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

  ٢ - **صحيح البخاري**، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **البقاعي** (إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- **البيضاوي** (أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البَيْضَاوِيّ، ت: ٦٨٥هـ): تفسير البيضاوي، دار الفكر، ط٣، بيروت، (د.ت).

Scanned by CamScanner

- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.
- أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، ت: ٧٤٥هـ): البحر المحيط، ت: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، ط ١ ، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٣ م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون، ت: ٨٠٨هـ): المقدمة، ت: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، ط٢، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: ٢٧٥هـ): سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- الرازي (فخر الدين محمد الرازي، ت: ٦٠٤هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، ط ١ ، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن ، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
- الزرقاني (محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ت: ١٣٦٧هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، القاهرة، (د.ت).
- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط ١ ، بيروت، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ): ١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. ٢- أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث ضمن الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية – جامعة الكويت، عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً، إعداد وديعة طه نجم، وعبده بدوي، ١٩٨٩م، ١٩٩٠م.
- سعيد بحيري: ١-علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية العالمية للنشر، (لونجمان) القاهرة، ١٩٩٧م. ٢- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د. ت).
- سعيد غلوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سوشبريس للطباعة، ط١ ، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.
- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، ت: ٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: ١٨٠هـ): الكتاب، ت: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢ ، القاهرة، ١٩٧٩م.
- سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق، ط ٣٢، القاهرة.

- السيد علي خضر: ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ت: ٩١١هـ): ١- الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٦٨هـ. ٢-أسرار ترتيب القرآن، ت: عبد القادر أحمد عطا،دار الاعتصام-القاهرة، (د.ت). ٣- تناسق الدرر في تناسب السور، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط٢، القاهرة، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. ٤- لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى، ت: ١٣٣١هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط١، بيروت، لبنان،١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الشوكاني (محمد بن على بن محمد الشوكانى، ت: ١٢٥٠هـ): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط١، المنصورة، ١٩٩٤م.
- صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- صلاح فضل: ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، فصول، مجلد ١، عدد ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨١م.
- طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، ط١، الإسكندرية، (د.ت).

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، تعليق حواشي: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.
- ابن عاشور(محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ.
- عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ت:٤٧١هـ) : دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط ٣، القاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استيراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، المغرب، ٢٠٠٤م.
- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
- عدنان ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط١، دمشق. ٢٠٠٠م.
- عزة شبل: علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- علي آيت أوشان: النص والسياق الشعري(من البنية إلى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، المغرب، ٢٠٠٠م.

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس، ت: ٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- فريد عوض حيدر: اتساق النص فى سورة الكهف مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.
- الفيروز آبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، ت:٨١٧هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد على النجار، المكتبة العلمية، ط١، بيروت، لبنان،(د.ت).
- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر شمس الدين القرطبى، ت: ٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن،، تحقيق: هشام سمير البخاري،دار عالم الكتب، ط ٢، الرياض، المملكة العربية السعودية١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م .
- القزويني (أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني، ت: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ ،بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ت: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- الكرماني (أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، ت: ٥٠٥هـ): أسرار التكرار في القرآن، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة،(د. ت).

Scanned by CamScanner

- الألوسيّ (أبو الفضل شهاب الدين محمود ابن عبد الله الألوسي البغدادي، ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- ابن ماجه (أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت:٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.
- مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط ، دار المعارف، ط٣، القاهرة،١٩٦٥ م .
- محمد حماسة عبد اللطيف: ١- الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م. ٢- بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١م.
- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، ط١، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١م.!
- محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٩م.
- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، ط ١، القاهرة، ١٩٩٥م .

Scanned by CamScanner

- محمد عزام: النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط ١ دمشق، ٢٠٠١م.
- محمد بن عمر بن سالم باز مول: علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، المكتبة المكية، ط ١، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.
- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط ٣ ، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٢م.
- محمد يوسف حبلص: البحث الدلالي عند الأصوليين،عالم الكتب،ط١، القاهرة، ١٤١١هـ١٩٩١م.
- محمود توفيق سعد: العزف على أنوار الذكر؛ معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، كلية اللغة العربية، الأزهر(فرع شبين الكوم)، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.
- محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، ط١، بيروت،(د.ت).
- محمود بن عبد الرحيم الصافي: الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد مؤسسة الإيمان، ط٤، دمشق، ١٤١٨ هـ.
- محمود فهمي حجازي:مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، ط١، القاهرة،(د.ت).
- محيي الدين درويش:إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، ط ٤، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.!
- مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط١، لبنان، ٢٠٠٥م.!

Scanned by CamScanner

- مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ): صحيح الإمام مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).!
- موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي، دراسة تطبيقية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م .
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط١، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .!
- النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ): السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- الواحدي (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى، ت: ٤٦٨هـ): أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط٢ ، الدمام، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

ثانياً: الكتب المترجمة

- أرسطو طاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٣م.!

- آن روبول، وجاك موشلار: التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوش، دار الطليعة، ط١، بيروت،٢٠٠٣م.!
- أوزوالد ديكرو: مقام الخطاب، مقال ضمن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط٢، المغرب، ٢٠٠٧م.
- براون. ج يول: تحليل الخطاب، ترجمة د محمد لطفي الزليطني د. منير التريكي. النشر العلمي، جامعة الملك سعود أ١٤١٨ هـ أ١٩٩٧م.
- رولان مارك أنجينو: بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، مقال ضمن كتاب آفاق التناصية المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م.
- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة: عباس صادق الوهاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، ١٩٨٧م أ
- جوليا كريستفيا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط ٢، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.
- جيرار جينت: طروس، الأدب على الأدب، ضمن كتاب آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ترجمة د. محمد خيري البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ ، القاهرة، ١٩٩٨م.
- جيفري ليتش، وجيني توماس: اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)، الموسوعة اللغوية، تحرير د. ن.ي. كولنج، ترجمة د. محي الدين حميدي، ود. عبدالله الحميدان، مج١ ، كلية اللغات، جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.
- ديكرو وتودوروف:القاموس الموسوعي لعلوم اللغة أباريز أسوي أ١٩٧٢م.

- رولان بارت: لذة النص، ترجمة فؤاد صفا، و الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، ط٢، ٢٠٠١م.
- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة،، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م.
- فان ديك : ١ - علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، (د.ط)، ١٤١٢هـ ٢٠٠١. ٢- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د.ط)، المغرب، ٢٠٠٠م.!
- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التَداوليّة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (دط)، الرباط، المغرب، ١٩٨٦م.
- ف.ر.بالمر: علم الدلالة، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر: مدخل إلى لغة النص، ترجمة: سعيد بحيري، زهراء الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.!
- فيليب بلانشيه : التَداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشنة، دار الحوار، ط١، سوريا، ٢٠٠٧م.!

Scanned by CamScanner

- هنري بليث: البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط٢، المغرب، ١٩٩٩م.
- يوري لوتمان: تحليل النص الشعري ، ترجمة: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.

ثالثاً: الدوريات العلمية

- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صحيفة دار العلوم، العدد١٦ ، مكتبة زهراء الشرق، ط١،، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٠م.!
- تمام حسان: ١ – العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني، مجلة الدراسات القرآنية، مجلد ٣، العدد ٢، يصدرها مركز الدراسات الإسلامية – كلية الدراسات الشرقية، جامعة لندن، ٢٠٠١م . ٢- مقال قرينة السياق، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم،مطبعة عبير للكتب،ط١، القاهرة ، ١٤١٣هـ،١٩٩٣م. ٣- نحو الجملة ونحو النص، نص محاضرة ألقيت في معهد اللغة العربية بأم القرى، الموسم الثقافي الصيفي، مكة المكرمة، ١٩٩٥م.!
- شربل داعز: التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره، مجلة النقد الأدبي (فصول)، المجلد ١٦، العدد (١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م .
- صلاح صبري حافظ: التناص وإشاريات العمل الأدبي، مجلة البلاغة المقارنة ألف، العدد ٤، ربيع ١٩٨٤م.

- عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم: المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد ٢، العدد ٢، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ يونيو ٢٠٠٥م.
- عبد الرحمن بسيسو: قراءة النص في ضوء علاقاته بالنصوص المصادر، مجلة النقد الأدبي (فصول)، المجلد ١٦، العدد ١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه أدراسة فى سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٣م،.
- علي عزت: اللغة ونظرية السياق، مقال في مجلة الفكر المعاصر، العدد(٧٦)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.!
- فايز أحمد الكومي: أثر الروابط في البناء النصيّ، دورية علوم اللغة، مجلد ١١، العدد ٣، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م .
- محمد سالم صالح: صور التماسك النصي في سورة القتال، مجلة فكر وإبداع، الجزء ٤٦، دار الإبداع، القاهرة، يوليو ٢٠٠٨م.
- محمد العبد: حبك النص، منظورات من التراث العربي، مجلة النقد الأدبي (فصول)، العدد ٥٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ربيع ٢٠٠٢م، .
- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ط١، عدد٩،، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، سبتمبر١٩٧٨م.

Scanned by CamScanner

فهرس

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة المعايير النصية في السور القرآنية في ضوء اللسانيات النصية الحديثة، من خلال دراسة تطبيقية مقارنة بين السور المكية والسور المدنية، وتحليل الخصائص والمعايير النصية فيهما، لاستجلاء جوانب جديدة في آفاق الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم .



سلسلة الرسائل الجامعية